زعابيب

رواية

فضل مسعود

زعابيب
رواية
فضل مسعود
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : ٢٠١٧
ISBN 978 -977-6535-96-1
رقم الإيداع : ٢٨٤٨٣ / ٢٠١٧
ديوى : ٨١٣
٣٠٠ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

نقطة ومن أول السطر

كان وحيد في زيارة لأحد أصدقائه المقربين والذي كان قد أصيب بوعكة صحية مفاجئة صبيحة هذا اليوم أثناء الحصة الأولى من اليوم الدراسي، والتي ترتب عليها نقله سريعًا إلى المستشفى ومن ثم إجراؤه لعملية الزائدة الدودية ظهر نفس اليوم، وأثناء عودته ليلا بعد زيارته لصديقه وفي أحد الشوارع الجانبية المظلمة والذي قاده حظه العاثر للمرور من خلاله مترجلا، وجد وحيد نفسه فجأة في مأزق لم يكن أبدًا في الحسبان وأضحى في موقف صعب لا يحسد عليه، حيث فوجئ بثلاثة من البلطجية قد اعترضوا طريقه واستوقفوه بعد أن أشهروا أسلحتهم البيضاء في وجهه وأمروه أن يُخرِج ما معه وكل ما في جعبته من نقود أو أية متعلقات.

وعليه رد عليهم الفتى بأنه لا متعلقات معه على الإطلاق، كما أنه ليس لديه أية نقود وأنه لو كان يمتلك حتى القليل منها ما كان ليعود إلى منزله والذي يبعد عن هنا بمسافة لا تقل عن ثلاثة كيلومترات مترجلا على قدميه، وفي هذا الوقت المتأخر من الليل كما رأوه.

وبالطبع لم يقتنع البلطجية بما قاله وحيد ولم يعجب رده كبيرهم، وعليه أمر زميليه الآخرين بسرعة تفتيشه وتجريده من كل متعلقاته حتى تيشرته وبنطاله وصولا إلى ملابسه الداخلية وبوكسراته، ومن المؤكد أنه لم يدر بخلد هؤلاء البلطجية أبدًا أو حتى يخطر ببالهم أنهم

سيواجهون مأزقا ربما يكون أسوأ بكثير من ذلك المأزق الذي قد ظننا أنه قد واجه وحيد، بل قد يكون مأزقهم هذا هو الأسوأ في كل ما تعرضوا له طوال حياتهم، ومن المؤكد أنه كذلك!

وعلى ما يبدو أن الحظ العاثر الذي قد صادف وحيد نتيجة عبوره لهذا الشارع المظلم الضيق وفي هذا الوقت المتأخر من الليل لم يلازمه طويلا، فما هي إلا ثوانٍ معدودة إلا وقد تخلى عنه وانتقل سريعًا إلى الناحية الأخرى ليكون في تلكم المرة حليفا وملازمًا للبلطجية، وليقودهم حتما إلى مصيرهم المحتوم حيث مواجهة بطل الجمهورية في رياضة ولعبة الكونغ فو.

وما إن هموا بتنفيذ ما أمروا به حتى فوجئ ثلاثتهم بوابل من اللكمات والضربات القوية والمتلاحقة أفقدتهم في التو صوابهم واتزانهم، لدرجة أن سقطت من أيديهم أسلحتهم البيضاء وتناثر ما في جعبتهم من أقراص ومخدرات وتبعثرت حباتها هنا وهناك ولاذ كبيرهم بالفرار وأطلق ساقيه للريح وتبعه الاثنان الآخران.

إلا أن الفتى الشجاع قد استمر في ملاحقتهم ومطاردتهم غير عابئ بما قد يحدث له، حتى تمكن من الإمساك بأحدهم، بل لقد كان في استطاعته أن يمسك بالاثنين الآخرين، لكنه اكتفى بما في يده، وعليه اقتاده إلى نقطة الشرطة والتي كانت ولحسن الحظ غير بعيدة عن مكان الأحداث.

ورغم إلحاح البلطجي وتوسلاته من أجل أن يعفو عنه وحيد ويطلق سراحه، إلا أن فتانا أصر على تسليمه للشرطة من أجل أن ينال جزاءه الرادع والذي يستحقه بالفعل هو وزميلاه الآخران، ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه اعتراض سبيل أناس آمنين مسالمين

وترهيبهم ومن ثم سرقتهم جبرًا وعنوة، وبالطبع سيكون من السهل على الشرطة الوصول إلى زميليه الآخرين ومعرفة مكان اختبائهما ومن ثم القبض عليهما، وذلك بمساعدة زميلهما الثالث والذي قد تم القبض عليه، والذي من المؤكد أنه حتما سيعترف عليهما وسيرشد عنهما.

لكن في نقطة الشرطة كانت المفاجأة التي لم يتوقعها وحيد ولم تخطر له على بال، إذ بعد أن استمع المساعد من وحيد لكل ما حدث معه وبالتفصيل، إذا به يعتدل في جلسته غير عابئ ويتأوه للحظات غير مبالٍ، وبدلا من أن يفتح محضرًا للبلطجي يسأله فيه ويوجه له من خلاله تهم قطع طريق وبلطجة وسرقة بالإكراه، فوجئ وحيد بموقف المساعد الغريب، حيث لا اهتمام بالمرة ولا اكتراث على الإطلاق، وإن شئت قل تبلّد كامل وفتور واضح في ردة فعله تجاه كل ما سرده له وحيد من وقائع وأحداث.

بل الأكثر من ذلك وما يثير الدهشة والاستغراب في آن واحد هو ما كان من هذا المساعد وسؤاله لوحيد عن إثبات شخصيته، وعندما أجابه وحيد بأنه ليس لديه بطاقة شخصية، حيث إنه لم يتم عامه السادس عشر بعد، وأخرج له كارنيه عضويته بالنادي، وهو بالمناسبة نادٍ كبير مشهور، وإن شئت قل إنه النادي الأشهر بين كل أندية ونوادي الجمهورية، والذي هو عضو عامل فيه، لكن المساعد لم يكترث بالأمر كعادته.

وكيف للصول أو المساعد أن ينتبه إلى ما أخرجه وحيد من محفظته أو من جيبه حتى لو كان ما أخرجه كارنيه عضوية في أشهر أندية الجمهورية؟ وهو من الأساس لم يهتم بحامله ولم ينتبه لوجوده ولم

يعره أي اهتمام، لذا نراه لم يكلف نفسه حتى بأن يرمق بعينيه أو يرنو ببصره إلى الكارنيه عله يقرأ أو يتفحص ما هو مكتوب ومسطور فيه، كما أنه أيضًا ومن البداية لم يسجل أية بيانات للمجني عليه، ويبدو أن ذلك لم يكن عفويًا، أو كما قد يقال قد سقط سهوًا من الرجل بقدر ما كان تعمدًا منه، لدرجة أنه لم يسأله حتى اسمه أو عنوانه، وكأن الأمر برمته لا يعنيه حتى أضحى وحيد في حيرة من أمره مذهولاً غير مستوعب ما هو فيه لا يدري من هو؟ هل هو الجاني؟ أم فعلا المجني عليه؟

ولقد رأى وحيد وبأم عينه في نقطة الشرطة تلك العجب العجاب، وفي خلال نصف ساعة فقط من الزمن تقريبًا هي كل ما قضاه داخلها، حيث توالت المفارقات الغريبة وتتابعت ردود الأفعال العجيبة والتي كان من بينها السماح للجاني الذي بلطج وقطع الطريق وأشهر سلاحه الأبيض أن يغادر النقطة قبل المجني عليه بعشر دقائق هي تقريبًا كل المدة التي استغرقها حضرة الصول في تعنيف وحيد والتنبيه عليه أن لا يرتاد مثل تلك الأماكن المظلمة وحيدًا، خاصة في الأوقات المتأخرة من الليل، ناهيك عن نصيحته له وتحذيره في ذات الوقت بألا يدخل أي مصلحة حكومية خاصة الشرطية منها إلا إذا كان حاملاً لبطاقته الشخصية أو الهوية، لكن من المفارقات التي حدثت وتثير الاندهاش حقا والتي لابد أن نتوقف عندها ولو قليلا، أنه لحظة انصراف وحيد من النقطة خارجًا ناداه المساعد ليسأله اسمه وعنوانه، وكأنه قد تذكر أخيرًا ما كان ليفعله ومن البداية.

ويبدو أيضًا أن المساعد وبعد أن عادت إليه ذاكرته الغائبة ظهرت فجأة أيضًا إنسانيته التي كانت مستترة هي الأخرى، حيث ما لبث أن

سأل وحيد هل معك نقود يا بني؟ وعندما أجابه وحيد بأن معه من النقود أكثر من خمسين جنيها، عندها أمر المساعد أحد الجنود بأن يرافق وحيد حتى يستقل تاكسي من أمام النقطة، وبالطبع لم ينس نصائحه لوحيد قائلا: على بيتكم يا وحيد ودوغري! وأيضا أفاض عليه بإحدى نبوءاته، حيث قال للفتى: إوعى تزعل مني يا بني "بكرة لما تبقى ظابط إن شاء الله هتعرف أنا عملت كدا ليه" ولم تلفت تلك الجملة أو النبوءة انتباه وحيد رغم أهميتها، لكن ربما توقيتها لم يكن الأنسب بالنسبة له، حيث كان في غاية الضيق والضجر بسبب ما بدا له من سلبية المساعد ولامبالاته.

لكن وحتى إن عادت للمساعد ذاكرته الغائبة وظهرت جلية واضحة إنسانيته المستترة، فهذا لا يمنع أنه وفيما يبدو والله أعلم أن هذا المساعد لم يقم بتحديث لمعلوماته أو تدقيق لبياناته منذ زمن بعيد، حيث كانت إحدى نصائحه للفتى وحيد وهو الذي لم يكمل عامه السادس عشر بضرورة حمل بطاقة الهوية، إذ يبدو أن الرجل لديه اقتناع كامل أن بطاقات الهوية كما شهادات الميلاد تمنح بعد الولادة مباشرة لا بعدها بستة عشر عامًا كما هو معمول به !

كما أنني وإن كنت مع المساعد مع قليل من التحفظ في نصيحته وتحذيره لوحيد بخصوص البطاقة والهوية، فأنا وبكل تأكيد لست معه أبدًا في تنبيهه على وحيد بعدم ارتياد الشوارع الجانبية المظلمة وحيدًا وخاصة في الأوقات المتأخرة من الليل، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية؛

أولها أنه بتنبيهه هذا قد سلب وحيد جزءًا كبيرًا من حريته بتحديد محل إقامته بعد إلزامه بعدم مغادرة منزله وحيدًا، وفتانا وكما كلنا

نعلم وكما هو مكتوب بشهادة ميلاده ومدون في كل بياناته وسجلاته لا يستطيع أن يكون وبأي حال من الأحوال غير وحيد.

وثانيها أنه لم يعد الظلام في أيامنا تلك حكرًا على الشوارع الجانبية أو الضيقة، بل نحن نراه في كل شوارعنا وأزقتنا وحوارينا دون تمييز بين هذا وذاك، بل ربما قد ذاقت وتذوقت مرارة ظلمته وغتاتة عتمته الميادين حتى الشهيرة منها ناهيك عن الطرق العامة والرئيسية، بالإضافة للدائرية والدولية.

وثالث الأسباب أن عمليات البلطجة والبلطجية لم تعد مرتبطة بالمكان أو الزمان كما كانت في سابق عهدها، بل أضحت وللأسف في كل الأوقات ومختلف المكانات دون تمييز بين هذا وذاك، حيث لا تتقيد مطلقا بالمواعيد المتأخرة من الليل أو بمكان دون آخر، بل أصبح من المعتاد أن ترى بلطجة وبلطجية في وضح النهار، وكذلك اتسعت دائرة نشاطهم وأضحت لهم أماكنهم الجديدة التي يرتادونها والتي لم تعد كما الماضي مرهونة بالأزقة والحارات خاصة المظلمة منها، لذا أضحى طبيعيا أن تجدها الآن في أرقى الأحياء وأكثرها أنوارًا وإضاءة، ناهيك عن الأماكن السياحية والنوادي والمزارات حتى المصالح الحكومية والمؤسسات وإداراتها المختلفة.

* * *

بلطجة وبلطجية

وأرجوا ألا تندهش قارئي العزيز مما أقوله وأسطره أو تظن يومًا أنني أكتب عن عالم غير عالمنا الذي نعيشه، أو ربما عن كوكب آخر غير الذي نحيا فيه ونعيش عليه.

أما إذا ما اندهشت فعلا مما كتبته عن البلطجة والبلطجية ظنا منك أن المكتوب والمسطور هنا لا يعبر إلا عن وجهة نظر كاتبه، وأنه لا علاقة له بواقع نحياه ونعيشه، بل إطناب واسترسال في غير محله فيه تضخيم ومبالغة من أجل مزيد من الجذب والتشويق، عندها وعندها فقط لابد لي أن أسألك وبكل جرأة ودون محاباة أو مواربة:

مَن مِنا لم يصادف في حياته موظفًا بلطجيًا؟ ومن منا لم يستقل سيارة واتضح له أن سائقها بلطجي؟ ومن منا لم يشتر في يوم من الأيام لحمًا من جزار بلطجي؟ وليت الوقت يسعفنا لأعدد لك وأعد معك الآلاف المؤلفة من البلطجية، حيث ستجد وبكل تأكيد الطبيب البلطجي، وكذلك المهندس والضابط والمحامي ورجل

الأعمال والمعلم والزبال والبواب والحارس والبائع والحلاق وهلم جرّا.

ثم ألم تسمع قارئي العزيز أو لم يصل إلى مسامعك في أي من الأيام أن شخصًا ما قد لا تعرفه وربما تعرفه وقد يكون صديقا لك أو من المقربين قد تم تثبيته (وبالمناسبة التثبيت هو المسمى الأرقى للبلطجة الفجة وكما حدث مع وحيد) في قلب ميدان ما كالتحرير مثلاً أو في شارع شهير معروف كشارع جامعة الدول العربية؟

وها أنا أعود وأسألك مرة أخرى، أليس التحرش الجنسي هو البلطجة وفي أقبح صورها بل وأكثرها انحطاطًا وتدنيًا؟ والذي وللأسف قد أضحى وباءً استشرى وظاهرة تفشت هنا وهناك، ثم ماذا عن هؤلاء المتحرشين الأوغاد؟ أليسوا همجًا وبلطجية تحكمهم عشوائية الفكر والدونية البهيمية؟

وأظنك قارئي العزيز لست في حاجة لأذكرك بما حدث مؤخرًا مع فتاة الشرقية والتي احتمت بالكافيه ومن فيه هربًا من جحيم المتحرشين بها فهجم عليها وعلى الكافيه ألوف مؤلفة منهم ولم يحُل بينها وبين هؤلاء الأوغاد المتربصين بها إلا رصاصات الشرطة، والتي تمكنت وبصعوبة بالغة وبعد جهد جهيد من تفريقهم ومن ثم إنقاذ الفتاة؟

وإياك أن تحدثني عن ما كانت ترتديه تلك الفتاة من ملابس قصيرة كانت أو خليعة كما يروي بعضهم.

لأنه وببساطة لو افترضنا جدلا أن تلك الفتاة نفسها كانت تسير في أحد شوارع الشرقية بل في الشارع نفسه الذي حدثت فيه الواقعة المؤسفة لكن من أربعة أو خمسة عقود خلت ولا أقول إنها حينها كانت ترتدي ملابس خليعة أو قصيرة كما يقولون ويتشدقون، بل كانت تسير عارية تمامًا كيوم ولدتها أمها، فماذا كنت تتوقع رد فعل الناس أو الشراقوة بمعنى أصح حينها؟

أقسم لك وقبل أن تقسم لي إنهم كانوا سيتسابقون وسيتصارعون لا من أجل التحرش بها ولكن من أجل إيوائها وسترها، نعم كان سيحدث ذلك وبكل تأكيد، فتلك كانت شيمنا وقيمنا وعاداتنا التي تربينا عليها وتحلينا بها لأزمان طويلة، بل إن أكثر ما يدهشني ويؤسفني في ذات الوقت أن يحدث ذلك بالشرقية المعروف أهلها بالكرم والجود ناهيك عن النخوة والمروءة.

وقبل أن ننهي حديثنا عن البلطجة والبلطجية يبقى لديّ سؤال كان لابد لي أن أسأله قبل أن نطوي تلك الصفحة وهو: **هل مرّ على أحدنا يوم كامل دون أن يرى بعينيه عنفا وبلطجة وبشتى أنواعها وصورها إن لم يكن هنا فهناك؟**

لكن وقبل أن تجيب على سؤالي هذا وحتى تكون إجابتك نموذجية دقيقة ومستوفية شافية وكما تعودنا منك وعودتنا دومًا ودائمًا، أرجو منك قارئي العزيز أن تستقل سيارتك وتحمل معك أجندتك لتدون فيها ما قد يصادفك خلال يوم كامل أو نصف اليوم أو حتى خلال ساعتين فقط أو بحسب مقدورك واستطاعتك، وذلك أثناء

قيادتك للسيارة وتجوالك بها داخل مدينتك التي تقطن بها ولا أقول لك مدينة القاهرة لأنه في القاهرة حتى وإن زاد كم تسجيلك وتدويناتك وكثرت حوادثك وأحداثك، لكنه وبكل تأكيد سيكون من الصعب إن لم يكن من المستحيل تجوالك خاصة إذا ما كنت من خارجها، وعليه وبعد انقضاء الساعتين عد إلى منزلك واستلقِ مسترخيًا على ظهرك لمدة عشر دقائق تريح فيها أعصابك وتلملم شتات أفكارك ثم بعدها أمسك بأجندتك وراجع كل ما دونته فيها خلال ساعتي تجوالك.

عندها ومن المؤكد ستكتشف شيئا غريبًا جديدًا ولا أبالغ إن قلت مريبًا، مع أنه يحدث كل يوم لدرجة أنه أضحى حدثًا مكررًا تصادفه وتكتوي بناره كل صباح ومساء، لكن يبدو أنك قد اعتدته كما اعتدناه نحن جميعًا وتعودناه، حيث ستجد قارئي العزيز وبعد تصفحك لأجندتك وقراءة تدويناتك أنك قد قضيت ساعة على الأقل من ساعتي تجوالك في دهاليز العشوائية والفوضوية الهمجية المتعمدة، ناهيك عن صيحات السطوة والبلطجة وصخب وضجيج البلطجية وحتى إن لم تكن قد تعرضت بشخصك لدناءة وخسة أفعالهم أو لم تطلك شرورهم وحقارة فعلتهم، فمن المؤكد أنك قد رأيت غيرك الكثير ضحية لهم ولجرمهم.

وهذا النوع من البلطجة والذي دونت الكثير من أحداثه خلال ساعتي تجوالك يطلق عليه البلطجة المتنقلة، حيث تنتقل الأحداث فيها سريعة من مكان إلى آخر وعادة تكون حيث تذهب بسيارتك أو

حيث يمتد طريقك، وهي في كل الأحوال بلطجة لفظية بمعنى أن الكلام هو قوامها الرئيسي وهى عادة لا تبدأ بلوم أو عتاب ثم تتطور إلى سباب بعد ذلك كما هي العادة بل هي ومن بدايتها سباب وشتائم وبألفاظ خارجة جارحة يندى لها الجبين يصاحبها في جميع الأحوال تشنجات غير مبررة وتشويح باليدين، لكن ولله الحمد أنها وفي كل الأحوال لا تتعدى المرحلة اللفظية ولم ترق أبدًا للتشابك بالأيدي والخناقات، وإياك أن تظن أن ذلك مرجعه الرحمة والتسامح والعفو والعقلانية، فالبلطجية أبعد ما يكونون عن كل هذا، ولا علاقة لهم به لكن ما يمنعهم هو ظروف السير والطريق والتي لا تسمح لهم وفي الكثير من الأحيان باكتمال الأدوار.

المهم أنك وبكل تأكيد بعد ساعتين من التجوال ستجد أن كل تدويناتك لا تعدو كونها حوارات بلطجية *متدنية في أغلبها سوقية وضيعة*، وياللأسف ستجد الكثير من أشباه جملهم ومفرداتهم تنم عن جهالة وانحطاط، وبالطبع لا تعبر إلا عن فكر قائلها المريض بكل ما فيه من سوداوية وانحدار، ناهيك عن ضحالة الأسلوب وهمجية التعبيرات والتي ما أنزل الله بها من سلطان، وبالطبع ستجد أن كل تلك النفايات اللفظية تصدر من فئات مختلفة وتعبر عن بيئات متنوعة وبكل اللكنات المصرية؛ الصعيدية والبحرية والبدوية والسواحلية.

وسيتضح لك عزيزي أن كل ما دونته هو أقل بكثير مما قد صادفك أو صادفته وإن شئت قل أقل مما قد واجهك وواجهته حيث لم تسعفك آلية تسجيلك في تدوين كل الأحداث والمواجهات، وبالطبع لا أحد يعيب عليك قصورك، بل على العكس تمامًا الكل يلتمس لك العذر ويشكر لك جهدك وفضولك، فالواقع يقول إنك وفي خلال ساعتين فقط قد رأيت مالم يخطر لك على بال، حيث العواصف والزعابيب الهمجية البلطجية قد هبت عليك من مختلف الاتجاهات لتجدها تزحف تجاهك من ناحية اليمين، وعندها تسمع بأذنيك من ينادي عليك قائلا: **ماتفتح ياحمار ولا البعيد أعمى**، ومرة أخرى تأتيك من الناحية اليسرى حيث تفاجأ بأحدهم يقول: **مين الحمار اللي علمكو السواقة يا بهايم وفي أنهي زريبة علمكو؟** ومن أمامك تراه يرنو إليك بعينيه ويرمقك مشمئزًا قائلا: **حاسب يا بني آدم مالك هتلبس ف اللي خلفوني كدا ليه؟ جاتكم القرف سواقين آخر زمن.** ومن خلفك قد تجد من ينادي عليك بأعلى صوت قائلا: **متخلصنا يا حيلة أمك انت ماشي على قشر بيض؟** ويواصل قائلا: **ماتنزل تسحبها أحسن أكنها الجاموسة اللي باعها أبوك عشان يشتريهالك!** وبالطبع تلك العبارات ليست مرهونة بسيارة دون غيرها أو موقوفة على موديل دون آخر، بل

تسمعها من مختلف السيارات بمختلف ماركتها وموديلاتها دون تفريق ملاكي كانت أوتاكسي أوميكروباص حتى التوكتوك والدراجة وفي أحيان كثيرة من المشاة عند قطعهم المفاجئ للشارع ووفق أهوائهم وتوقيتاتهم والتي عادة لا تكون أبدًا من خلال الأماكن المحددة لعبورهم، وهم عادة ما يقطعون الطريق غير مبالين، وإن سألت أحدهم أن ينظر هنا وهناك قبل أن يعبر طريقه حرصًا على حياته تراه يجيبك بتبلد واستهتار قائلا: أنا **أعدي الطريق وبس واللي سايق هوا اللي يشوف مش أنا.** وتسمع دائما منهم عبارتهم التي أضحت محفوظة عن ظهر قلب وهى: **هوا انتوا عشان راكبين عربيات عايزين تدوسوا ع الغلابة اللي ماشيين؟** وقد يزيد بعضهم في حديثه أثناء قطعه للطريق وهو مازال لا ينظر إليك ولا يعيرك أي اهتمام بالمرة قائلا: **واللي يدور يلاقيكم حرامية سارقين فلوسنا وراكبين بيها عربياتكم.** ويواصل قائلا: **وكمان مش مكفيكم عايزين تدوسونا بيها؟** وكذلك في إشارات المرور قد تسمع من أحدهم إذا ما جاورك في الإشارة وأثناء الانتظار يقول لك: **عمالين نكلكسلك من ساعتها وانت ولاهنا مش معبر أبونا ارحمنا وبلاش تروح وتيجي خيلت اللي خلفونا.** ويواصل قائلا: **وبطلوا بقى البرشام والهباب اللي بتبلبعوه ده.** ثم إذا ما لزم الأمر

وأردت أن تركن سيارتك لتشترى بعض احتياجاتك عندها ستجد من يظهر فجأة أمامك قائلا: **حيلك يا فندي مفيش ركنة هنا دي مش عزبة اللي خلفوكم.** ويواصل قائلا: **عايز تركن فيه قانون يقولك تستأذن الأول وتدفع بعدها ومتزعلش مني يافندي الأصول أصول.** وفي ترمبة البنزين إذا ما نفد وقودك قد تجد من يقول: **معندناش بنزين تمانين يافندي.** وإذا ما أبديت امتعاضك من كلامه تراه يرد منفعلا قائلا: **إيه رأيك ولا تسعين كمان، ولو مش عاجبك كلامي روح قل للحكومة صاحب البنزيمة بيشرب بنزينها.** وإذا ما حدث خطأ مروري وعند سحب رخصك ومخالفتك قد تجد أحدهم يأمرك: **اركن يالا يابن الـ.... على جنب يا بعكوك وطلعلي رخصك.** ويواصل قائلا: **شكلك كلك على بعضك كدا مش عاجبني يالا.** ناهيك عن تحرش المسيار، ولقد اسميته كذلك حيث إنه تحرش تتعرض له الأنثى أثناء **سيرها** وقيادتها لسيارتها في الطريق العام، حيث تسمع أحدهم يقول لها وبصوت جهوري دون حمرة من خجل أو حياء: **يا ريتني كنت دواسة عربيتك يا جميل.** ليسأله آخر في سيارة أخرى يبدو أنه قد أعجب بسؤال صاحبه المتخلف قائلا: **اشمعنى الدواسة يا عمدة؟** ليجيب الأول **عشان الدواسة بتشوف كل حاجة.** ويعلق السائل والذي ربما اعتقد أنه

ظريف خفيف الظل بالرغم من أنه لم يكن كذلك تمامًا قائلا: **وعلى إيه الواحد يبقى دواسة؟ مانا من هنا وشايف كل حاجة**. ويتحرش آخر بكلام أكثر سخافة حيث يقول: **مابدل ما تحضن الدريكسيون أجيك وتحضنني يا عسل.**

أما إذا قادك حظك العاثر ودون قصد منك لامست أو أوشكت أن تلامس سيارة جارك في الطريق، حينها ومن المؤكد ستتعدى البلطجة المرحلة اللفظية، حيث بأقصى سرعة يركن الجار سيارته ولا يهمه بالطبع أين يركنها لكنه عادة يكون بعرض الطريق وهو المكان المحبب دائما لمثل هؤلاء البلطجية، وبالطبع لا يهمه تعطيل حركة السير والمرور ومصالح الآخرين ولا يخطر بباله كل تلك الأشياء الصغيرة والتي لا قيمة لها من وجهة نظره الفوضوية القاصرة، وتراه يردد بصوت عالٍ يسمعه الجميع قائلا: **طب استناني بقى يابن الـ.. وحياة أمك لأوريك.** وعندها سيكون التشابك بالأيدي لابد منه، وتشتعل الخناقات بين هذا وذاك هذا في حالة إذا ما لامست أو كدت أن تلمس، أما إذا ما صدمت فعلا فمن المؤكد أن اسمك سيزين صفحة الوفيات في اليوم التالي، **وبالطبع لن تكون وفاتك نتيجة حادث السيارة، ولكن نتيجة ضربة من ضربات البلطجي سائقها!** وبالطبع لا أحد ينكر عقاب المخطيء أو المهمل ومجازاته أيما كان، ولكن من خلال القنوات الشرعية المعروفة في مثل تلك الحالات من الحوادث المرورية حيث

الفحص الفني من قبل إدارة المرور ومن ثم تحديد من المخطئ وحجم الخطأ، وطبقا لقانون المرور ولوائحه لا طبقا لقانون الغاب وشرائحه من بلطجة وهمجية وعربدة وفوضوية.

وفي نهاية تجوالك وإذا ما عدت إلى منزلك سليمًا معافى فمن المؤكد أنك من المحظوظين وعليك أن تحمد الله وتشكر فضله ونعمه عليك، وكما يقولون "تبوس إيدك وش وضهر" لأن يومك قد انتهى ولم يكن فيه سوى السباب والشتائم واللعنات فقط.

وبعد ما رأيناه بأم أعيننا من عنف وعربدة في كل مكان وحيثما نذهب وأينما نكون وجب علينا أن ندعو الله أن يديم علينا نعمة السب والشتم وحتى الشخيط واللعنات ويحفظها لنا من المحو والاندثار، كما ندعوه ألا تتطور أو تتحور في أي يوم من الأيام إلى ما هو أبعد من ذلك، فقلوبنا قد أضحت ضعيفة لا تصمد أمام أية صدمات إذا ما حدثت، كما لم تعد أبداننا تتحمل ضربًا أو لكمات!

وبتلك المناسبة وقبل أن ننسى لابد أن نرد الحق لأصحابه ونعطي كل ذي حق حقه ولنقف جميعًا تحية وإجلالاً واحترامًا للفنان علاء ولي الدين رحمة الله عليه لأنه حقا قد سبق عصره وتخطى زمانه بخياله الواسع وإدراكاته وخواطره ناهيك عن قراءاته المستقبلية المستنيرة وشفافيته المفرطة عندما قال في أحد أفلامه وهو فيلم الناظر صلاح الدين مقولته الشهيرة وحكمته الرائعة: **"هوا كله ضرب ضرب مافيش شتيمة؟"**

وأرجو إن تسامحني قارئي العزيز فيما سطرته عن البلطجة والتحرش حيث جفاء ملحوظ قد يبدو في أسلوبي وتعبيراتي وصراخ مسموع ونواح وضجيج من كل جملي ومفرداتي، رغم أني قد حاولت جاهدًا وبذلت كل ما في وسعي في سبيل أن أنتقي كلماتهم وأفلتر الكثير من مفرادتهم قبل أن أخطها وأسطرها حروفًا لكلماتي، وعليه لا تؤاخذني إن لم أبدُ لطيفًا رقيقا كما اعتدت أسلوبي في الغالب الأعم من كتاباتي ولا تلمني إن كنت قد أوجعت قلبك كثيرًا وزدت جرحك وآلامك بما فيه الكفاية من خلال مضامين وفحوى ما احتوته سطوري، فذلك كله مرجعه أني مصدوم مكلوم أعيتني حيلي وأدواتي ومحبط مهموم بسقمي وعلاتي، بالضبط كما هو حالك قارئي العزيز..

وحتى لو افترضنا قارئي العزيز أن كل ما ذكرته وسطرته لك هو الاستثناء لكنه يبقى استثناء لا ينفي أبدًا واقعنا المؤلم والمرير، بل يؤكد ويبرهن على ما نحن فيه ونعيشه ونتجرع آلامه ومرارته ليل نهار.

وظاهرة العنف والبلطجة والتحرش والعربدة كلها مسميات لجريمة واحدة لها أنماطها المختلفة وجميعها مرتبطة ببعضها البعض وهي قطعًا وبأنماطها تلك جديدة على مجتمعنا لم تكن موجودة أو على الأقل لم تكن بتلك الفجاجة والبشاعة، حيث كانت لا تعدو كونها حالات فردية تحدث هنا أو هناك وكانت حال وجودها تواجه برفض مجتمعي بات وحاد يجتثها من جذورها ويئدها في مهدها،

لكنها في السنوات الأخيرة وللأسف قد تنامت كثيرًا بل وقد توحشت وتغولت لتزداد معدلاتها وتكثر جرائمها وأماكن حدوثها.

لذا بدلا من أن نجلس ونضع أيدينا على خدودنا ونبكي على اللبن المسكوب، دعونا نجد ونسعى من أجل إيجاد حلول لتلك الظواهر الغريبة والتي ابتلينا بها وأضحت تؤرقنا ليل نهار.

وبما أن تلك الظواهر الاجتماعية الغريبة والتي تسللت مؤخرًا وخلسة إلى مجتمعنا فاستشرت وانتشرت هنا وهناك لدرجة أنها أضحت نمطًا وأسلوب حياة وهي بكل تأكيد لا تتناسب ولا تتلائم مطلقا مع قيمنا النبيلة وموروثاتنا من العفة والفضيلة ومبادئ ديننا وتعاليمه القويمة إسلاميًا كان أو مسيحيًا، بل ولا تتماشى مطلقا مع عادتنا وتقاليدنا التي جبلنا وتربينا عليها، وعليه إذا ما أردنا أن نقضي على تلك الظواهر ونتخلص منها إلى غير رجعة لابد أن نبدأ بالأسرة وننتهي عندها أيضًا، وقد يكون للمدرسة دورها، وكذلك لا ننكر ما تؤديه المؤسسات المختلفة خاصة الاجتماعية منها حتى وإن تقلص أو انعدم نهائيًا دورها كما هو الحال لدور المدرسة.

❊ ❊ ❊

أسرتي وإلا!

لذا تبقى الأسرة ولا غيرها، وعليه لابد من الاهتمام بها ورعايتها والحفاظ عليها والحرص على استقرارها والعمل على توثيق العلاقات والروابط بينأفرادها، فالأسرة السوية المترابطة دائما لها دورها الفاعل في التنشئة السليمة والتربية والرعاية، ناهيك عن حرصها على التمسك بالفضيلة وغرس المبادئ والقيم النبيلة، بالإضافة لحفاظها على الأخلاقيات الفاضلة وزرع الحب والانتماء وتشجيع المشاركة الهادفة وتنمية الوعي الجمعي لدى كل أفرادها، وعليه إن صحت الأسرة من المؤكد سيكون هناك مجتمع سليم معافى تملأه المحبة والوئام يسوده التناغم والتوافق الكامل بين كل طوائفه وفئاته، مما يساعد في خلق بيئة تنويرية خلاقة عمادها الأخلاق والفضيلة وأساسها الوعي الديني المستنير بما فيه من تسامح وتواد ومحبة ورحمة ونقاء وما يحتويه من شفافية وروحانية وصفاء بعيدة كل البعد عن مناطق اللاوعي بما فيها من الجفاء والغطرسة وما تحتويه من جهالة وظلامية فكرية متطرفة بتشرذماتها الضالة العرقية وتقسيماتها الطائفية.

وعليه إذا أصبح لدينا تلك الأسرة التي نأمل ونرجو فمن المؤكد أن مجتمعنا سيعود إلى سابق عهده وربما أرقى وأفضل، وعندها

سترفرف علينا رايات الفضيلة والمودة وستجد الشهامة والنخوة في كل شوارعنا وحارتنا وأزقتنا حتى نجوعنا وكفورنا، وسيختفي الخنوع والاستكانة وسيندحر التواكل واللامبالاة إلى غير رجعة.

وبعد الأسرة يأتي دور المدرسة التربوي والمهم جدًا والذي كانت تقوم به إلى عهد قريب والذي تلاشى تدريجيًا حتى انتهى تمامًا في السنوات الأخيرة وللأسف من كل مدارسنا دون استثناء، وعليه أنا لا أعول إطلاقا على المدرسة بنظامها الحالي في أي إصلاح مجتمعي، حيث إنه وقبل أن نطلب يد العون والمساعدة من المدرسة لابد أن نكون حريصين على أن تكون هناك مدرسة أولاً وبما تعنيه الكلمة من معنى، وهذا موضوع شائك يطول شرحه وليس مكانه هنا الآن.

وبعد المدرسة يأتي الدور على الهيئات والمؤسسات الأخرى كالمؤسسات الاجتماعية ودور الرعاية والجمعيات الخيرية ومجالس المرأة والأسرة وغيرها، وللأسف كلها كيانات هلامية تستخدم عبارات فضفاضة وعناوين براقة خادعة وتراها دائما أبدًا في اجتماعات متتابعة ومحاضر وعقد جلسات وورش عمل وندوات وهي لا فائدة ترجى منها ولا أمل، وبالطبع هي الأخرى ليس لها أي دور في أية إصلاحات مجتمعية، ولن يكون لها أي دور طالما بقيت بوضعها الحالي شأنها في ذلك كشأن كل مدارسنا.

ونعود لوحيد مرة أخرى وبعد مرور أكثر من أسبوعين على واقعة البلطجة وما حدث فيها وما كان بعدها من تبعات، حيث مازال الفتى مندهشا غير مصدق لكل ما حدث معه داخل نقطة

الشرطة، والذي لم يجد حتى اللحظة أي تفسير أو تبرير له خاصة ذلك الموقف الغريب من المساعد تجاهه.

لكن ربما قد يكون للمساعد وجهة نظره والتي يجب أن تحترم، وذلك في كل ما حدث منه من أفعال وتصرفات والتي تبدو في ظاهرها غريبة وغير منطقية، هذا إن كان حقا لديه وجهة نظر والتي ومن المؤكد إن كانت فنحن لا نعلمها وبالطبع لا نعلم ما تهدف إليه على الأقل حتى اللحظة التي نحن فيها، كما أنه قد يكون الرجل محقا في كل ما فعله أو حتى البعض منه، إذ ربما كان يرنو إلى شيء ما نجهله، وعليه إن صحت وجهة نظره تلك وكذلك ما يرنو إليه ونجهله نحن عندها لابد أن نعتذر له عما حدث منا قبل أن نلتمس له العذر في كل ما حدث منه، بل وندعو الله ضارعين بألا يعاقبنا جزاء سوء ظننا بالرجل وبنواياه الحسنة الطيبة!

لكن وبعد كل ما حدث نجد أن ما صادفه وحيد في تلك الليلة لم يكن أبدًا ليحبطه ولم يفت إطلاقًا في عضده ولم يثنِه عن مواصلة طريقه الذي رسمه لنفسه وحدد معالمه مسبقا، كما أن وحيدًا ورغم صغره قد تعود ذلك كما أنه اعتاد ألا يعطي الفرصة ليأس أو قنوط ليتسرب إلى نفسه ويحول بينه وبين تحقيق آماله وحلمه الذي طالما حلم به وعاش من أجله.

بل إني أكاد أجزم وأؤكد أن ما حدث معه وما صادفه في تلك الليلة غريبة الأطوار قد زاده عزيمة وإصرارًا على مواصلة الطريق حيث هدفه الذي يرجوه وينشده، ومن ثم تحقيق كل آماله وآمانيه في أن

يكون ضابط شرطة، وبالطبع لا دخل لنبوءة المساعد في توجهات وحيد، فقد كانت أماني وحيد وآماله في أن يكون ضابطًا تسبق ما عداها من نبوءات وبزمن طويل، حيث حينها وحينها فقط ربما يكون من الممكن أن يجد تفسيرًا لما حدث وكان من المساعد **عبادة** في موقفه الغريب تجاهه، والذي قد يكون له مبرراته كما أشرنا آنفًا، والتي إن كانت فهي لن تعدو كونها مبررات إنسانية بحتة، لكنها لن تكون أبدًا وفي أي يوم من الأيام وبأي حال من الأحوال قانونية تخضع للوائح تنظيمية وتحكمها نظم دستورية.

❊ ❊ ❊

مفاجآت معلومة !

هذا وبالرغم من حداثة سنه فقد أضحى وحيد رجلا لا يشغله ولا يعنيه سوى تحقيق هدفه والوصول إلى مبتغاه، وعليه نراه قد أعد عدته ورسم خريطته المستقبلية ومنذ سنوات خلت بكل دقة وإتقان، ففند وحدد فيها كل أهدافه وأعد عدته وعتاده ليتخطى صعابها وجفاء تضاريسها، فكان اختياره وكما ارتأى لنفسه وكما أشارت عليه بوصلاته وأيدته فيه رؤاه وكل ما في أعماق دهاليزه وخبايا أغواره، وباركت له تطلعاته، وما وصل إليه في كل خطواته، فأضحى طريقه الذي رسمه لنفسه واضحًا جليا ليسير عليه رابط الجأش واثقا في كل ما يخطوه بعد أن تحددت الملامح والسمات وتجلت الوجهة والمسار.

لذا كان لزامًا عليه وبادئ ذي بدء، ومن أجل إدراك كل ما يرنو إليه أن يجد ويسعى ويبذل قصارى جهده حتى ينجح في اجتياز المرحلة الأصعب في حياة أي طالب، ألا وهي الثانوية العامة، حيث إنه بالصف الثاني الثانوي أو ما يعرف بالمرحلة الأولى من الثانوية العامة.

وأنا هنا أقسم إنني لا أدري لماذا مرحلوها؟ أقصد لماذا جعلوها مرحلتين أولى وثانية؟ كما أنني وحتى الآن لا أجد أية مبررات

لتقسيمها أو تجزئتها، وإياك أن تقول إن قرار التقسيم قد جاء لأهداف شخصية من أجل توسيع دائرة الدروس الخصوصية وزيادة أعداد المستفيدين منها؛ لأن ذلك وباختصار مردود عليه بأن مافيا الدروس الخصوصية ليست في حاجة إلى ذلك ولا يعنيها التقسيم أو التجزيء من عدمه، حيث إن دائرة الدروس الخصوصية قد اتسعت بما فيه الكفاية في خلال السنوات الأخيرة، وإن شئت قل خلال العقود الأخيرة، مما مكنها من اجتذاب شرائح مجتمعية ومجموعات فئوية جديدة لم تكن أبدًا في الحسبان أو من ضمن المستهدف، بداية من مرحلة البامبرز أو ما قبل الـ"كي جي ون" وحتى ما لا نهاية.

ناهيك عن أن الكثير من أعضاء تلك المافيا لديهم حجوزات مستقبلية تمتد لأكثر من خمس سنوات قادمة، وعند بعضهم قد تصل لسبع سنوات، مما قد يضطرهم للاستعانة بمقاولين . أقصد مدرسين . من الباطن لإنجاز مرماتهم . أقصد مهمتهم . في ميعادها المحدد والمتفق عليه مع الزبون . أقصد ولي الأمر . هذا وسوف نتحدث عن الدروس الخصوصية باستفاضة فيما هو قادم ووفقا للسياق والأحداث المكتوبة.

لكن وحتى لا نبخس الآخرين حقوقهم، وحتى نكون منصفين ونعطي كل ذي حق حقه، فإني أرجح أن قرار التقسيم هذا كما هو شأن كل قرارات التعليم العنترية قد جاء من رجل مستنير لديه أفكاره الألمعية، وذلك من أجل تدريب أبنائه من الطلاب وإكسابهم خبرات

وسابقات أعمال حتى وإن كانت تلك الخبرات والسابقات من الأعمال لا هي علمية بحثية ولا هي معملية مخبرية.

لكن بالقطع ومن المؤكد أنها الفكاكة والبهلوانية والعشوائية التدريبية التي تمكن طلابنا وبكل تأكيد من اجتياز مراحل مستقبلية قد تكون أكثر صعوبة مما واجهوه، وأكثر تعددية ولاسيما تلك الخاصة بمكتب التنسيق بمراحله الأربعة وما يترتب عليها من قرارات تعسفية نرجسية وهي بالقطع قرارات إلزامية لا رجعة فيها ولا مجال أبدًا لترضية، والتي بموجبها وعلى أساسها يتم توجيه الطالب وتحديد مساره طبقا لمجموع درجاته لا طبقا لميوله وقدراته.

فيالها من أكذوبة كبيرة تلك المسماة بالثانوية العامة، تلك الكارثة الأسرية المدوية والتي تحمّل الأسرة ما لا طاقة لها به، والتي بالتأكيد تزيد أعباءها وتثقل كاهلها.

فالثانوية العامة اتفقنا أو اختلفنا مع نظامها أو منظومتها تبقى دومًا هي المأساة السنوية الدورية المتكررة، وهي عادة ما تباغت الأسر وتأتيهم خلسة وهم في أغلبهم غير مستعدين لاستقبال سعادتها والترحيب بها وضيافتها، خاصة هؤلاء محدودو الدخل من أهالينا، مع علمي ويقيني أنهم لا يجهلون ميعاد قدومها ولكن يتناسون عامدين هروبًا من جحيم فواتيرها باهظة الأسعار والتكاليف، ناهيك عن فواتير الكهرباء والماء والغاز، والتي في الأغلب الأعم تفوق إمكاناتهم المادية ودخولهم المتدنية، وإن كنت لا أجد

عذرًا لأصحاب الدخول العالية وميسوري الحال في أن يتفاجأوا بقدومها شأنهم في ذلك كمن يتناسون عامدين، إلا لكونهم جزء من مجتمع قد تعود هذا وجبل عليه، بل لقد أصبح كل ما تعودوه هو نمط سائد وأسلوب حياة عليهم أن ينتهجوه ولا يحيدوا عنه.

ومع أنني مع من يتناسون ويتجاهلون ميعاد قدوم أو وجود هذا الوهم الكاذب والمسمى بالثانوية العامة، بل إني أرى أنها لا تستحق أبدًا . وهي قطعا لا تستحق . كل تلك الضجة السنوية المتكررة من قريب أو بعيد، إلا أنني لم أقصد بسردي هذا إلا أن أوضح وأبين أننا دومًا نضع رؤوسنا في الرمال متجاهلين كل ما سيحدث، وعليه لا نعد أنفسنا مطلقا ودائمًا أبدًا لا نستعد لما هو قادم وآت، رغم علمنا المسبق بميعاد قدومه وتشريفه لنا.

لذا من الطبيعي جدا أن نتفاجأ بأشياء قد علمناها وعلمنا موعد مجيئها مسبقا، بل في الأغلب الأعم هي مسجلة مرصودة لدينا، وإن شئت قل مؤرخة مكتوبة، لكن المدهش أننا مع كل ذلك دائما ما نتفاجأ بحدوث كل الأشياء المعلومة المعروفة مسبقا وهكذا دواليك، لا نتعلم أبدًا من أخطائنا وهفواتنا المتكررة، وبالتبعية لا نستفيد مطلقا من زلاتنا وخطايانا ولا نقرأ دومًا ماضينا، كما أننا وبكل تأكيد وكما هي عادتنا نجهل حاضرنا الذي نعيشه، ولله الحمد لا نسعى أبدًا أو نشغل بالنا بما هو قادم أو آت من مستقبل.

وأكبر دليل على صدق حديثي ما يحدث معنا أحيانا في أعياد ميلادنا، والتي قد تجد البعض منا متفاجئًا بمداهمتها وكأنه لا يعلم

بتشريفها أو ليس لديه علم مسبق بمقدمها، أو يكون قد نسي يوم ميلاده، وأحيانا يكون قد تناساه، وعليه ليس بمستغرب أن تقول لأحدهم خاصة إذا كان من المقربين: كل سنة وأنت طيب وعقبال مائة سنة، فيرد عليك متفاجئًا وسائلا: وما المناسبة؟

وهكذا دواليك في كل أعيادنا القومية وحتى الدينية منها، والتي سبحان الله دائما ما تفاجئنا قبل أن نستعد ونرتب لمجيئها بالضبط كما أعياد ميلادنا، رغم علمنا المسبق ومنذ آلاف السنين أن أعياد المسلمين عادة تزورنا في شهر رمضان، ذلك الشهر الكريم، ويأتي بعدها عيد الفطر وهو دائما أبدًا في بداية شوال والأضحى في نهاية الثلث الأول من شهر ذي الحجة، وكذلك أعياد إخواننا المسيحيين تبدأ في أواخر ديسمبر وبدايات يناير كما في عيد الميلاد المجيد، ثم تتوالى فيما يلي من شهور حيث عيد القيامة وحد السعف وغيرها، وكذلك عيد شم النسيم وهو عيد المصريين جميعًا ومنذ أجدادنا الفراعنة.

وكذلك كم من المرات يداهمنا السيل وتحدث بسببه المصائب والكوارث والنكبات وكأنه لم يأتنا أبدًا في السابق، وكأنه لم يكن له أية دلالات أو إشارات يرسلها إلينا وتنبئ بقدومه، وكأنه لم يكن معلومًا أوان ووقت حدوثه، لكن والحق يقال الذنب يبقى دائمًا ذنبه ذلك الغادر الآثم الذي لم ينبئنا بميعاد مداهمته وهجومه!

وها هو فصل الشتاء بأمطاره ورعده وبرقه يزورنا الآن وسوف يزورنا العام القادم لا محالة، وبكل تأكيد سوف تتجمع مياهه

فتتكون بركه وتمتلئ مستنقعاته، وبالطبع سيتضرر منه صرفنا الصحي وتزيد معاناته، وربما إن زاد الكيل يطفح المسكين كما عودنا في الآونة الأخيرة ويغرق شوارعنا الغريقة ويلوث الملوث وبنيران صديقة، ناهيك عن انبعاث الغازات والروائح الكريهة، وبكل تأكيد في الشتاء ستلسعنا برودته وسيؤرقنا حتمًا صقيعه وتقلبات مناخه، ونحن كما هي عادتنا دومًا لم نرتب لقدومه ولم نستعد لمجيئه لا لعيب فينا أو تقصير لا سمح الله، ولكن لسبب بسيط جدًا وهو أننا وللأسف لم نكن نعلم بقدومه!

ويالللعجب العجاب أننا لا يخجلنا أبدًا تقصيرنا في مواجهة سيولنا وأمطارنا، تلك الهبات والعطايا الربانية التي يمكن الاستفادة منها واستغلالها كما تفعل كل دول العالم المتحضر حتى الأفريقية منها واللاتينية، لا أن نحولها بأيدينا وبجهلنا وتقاعسنا إلى كوارث مدوية تأكل الأخضر واليابس، وللأسف لا نقوى على مجابهتها، وكذلك الحال مع كل كوارثنا؛ الطبيعية منها وغير الطبيعية.

لكن ما يزعجك ويثير اندهاشك في ذات الوقت أننا نرى السيد المسئول دائما أبدًا ما يصرح بأننا قد تعلمنا الدرس واستوعبناه جيدًا بعد ما حدث لنا، وعليه قد وضعنا خططنا المستقبلية وأعددنا عدتنا وأخذنا حذرنا من أجل تجنب أية كوارث أو نكبات في الأعوام القادمة بإذن الله تعالى، ثم ما يلبث أن يأتي العام القادم سريعًا وربما بغتة لا كما تعودناه، وعليه يتفاجأ السيد

المسئول بقدومه، وبالطبع لا ذنب له المسكين، فقد تفاجأ الرجل كما تفاجأنا نحن، وعليه يحدث في هذا العام ما حدث في سابقه من مآسٍ ونكبات، وعندها يقوم نفس المسئول أطال الله في عمره ودون حمرة من الخجل أو الحياء ليكرر ذات الكلام وما قاله في كل الأعوام السابقة وهكذا دواليك.

وفي نهاية كلامنا عن الكوارث وجب علينا أن نحمد الله على نعمه ونشكره على فضله بعد أن حبانا أرضًا وموقعًا، حيث لا توجد أية فوهات بركانية قد تنشط وتقذفنا بحممها ونيرانها، كما أن الجزء الأكبر من بلادنا خارج حزام الزلازل ومساراتها، وإلا لحدث ما لا يحمد عقباه.

❊ ❊ ❊

خارج التصنيف

ونعود للحديث مرة أخرى عن الثانوية العامة، ذلك الضيف الثقيل صاحب الظل الكئيب، والتي تتذوق مرارتها كل الأسر وتعاني من كلفتها وتكلفتها ومتطلباتها المادية التي ترهق وبكل تأكيد كاهلها، والتي للأسف تزداد عامًا بعد عام وسنة بعد أخرى، وفي الآونة الأخيرة أصبحت الزيادة شهرية وفي بعض الأحيان نصف شهرية، في حال إذا كان التعامل "قطاعي" أي بالحصة، ولا تندهش قارئي العزيز من تلك الزيادات المتلاحقة والمتتالية، حيث إنها ومن المؤكد تتناسب طرديا مع الارتفاع المستمر في قيمة الدولار، والذي ترتفع أسعاره يومًا بعد يوم هو الآخر، تلك الورقة الخضراء التي أضحت أكثر أهمية وأعلى مكانة من أية أوراق أخرى سواءً كانت تلك الأوراق عملات بنكية أو حتى أوراق العرفي والوفيات وما شابهها.
وبالتبعية كلما ارتفعت أسعار الورقة الخضراء تزداد تلقائيا التسعيرة من قبل أصحاب حظائر الدروس الخصوصية والقائمين عليها وأنا لا أدري لماذا هذا الربط إلا إذا كان العاملون بتلك الأوكار يتناولون إفطارهم مازوتًا وكيروسين ويحرصون على ألا تخلو وجبة عشائهم من السولار والبنزين.

لكن وحتى نكون منصفين يجب ألا ننسى الكلفة والتكلفة الباهظة من العملات الصعبة، والتي يتكبدها هؤلاء المساكين نظير عمراتهم المتلاحقة وحجاتهم الفاخرة والمتكررة، والتي بالطبع تختلف كثيرًا عن عمرات وحجات عامة الشعب من حيث المدة وأماكن الإقامة ووسيلة المواصلات.

كما أنهم . والحق يقال . لا ينسون أبدًا الدعاء لأبنائهم الطلاب أثناء تأديتهم لمناسك العمرة والحج، وبالطبع دعاؤهم ودعواتهم من النوع الفاخر، ورغم ذلك هي مجانية لن يتم محاسبة أولياء الأمور عليها كرمًا وتفضلا منهم، وإن كان بعضهم وفي بعض الأحيان يقوم بإضافتها إلى فواتير المراجعة النهائية، حيث يكون المسكين في حاجة ماسة لإكمال برجه الأخير، وبالطبع لم ينس أن يجعل من الدور الأرضي مسجدًا كما هو الحال في كل أبراجه السابقة.

ونعود مرة أخرى لتلك الأوكار مجهولة الهوية والتي هي بالأساس مراكز للجهالة واللاوعي، والتي للأسف انتشرت كالنار في الهشيم هنا وهناك وعلى كل أرض مصر، ناهيك عن الأساليب الملتوية والتي ينتهجها سماسرة ومروجو الدعاية لتلك الأوكار من أجل بيع مذكراتهم التافهة المملوءة بالجهل والتفاهات، والتي تنم عن مدى الضحالة الفكرية والسطحية المتناهية، والتي هي بالأساس منقولة أو مشفوفة من كتيبات الفكاكة والعشوائية التي ابتلينا بها مؤخرًا، بل لقد امتلأت بها أسواقنا ومكتباتنا خاصة في العقدين الأخيرين، وبالطبع أضحت تلك الكتيبات وللأسف أغلى ثمنا وأكثر رواجًا

ومبيعًا من كل كتب الأدب والتراث والعلوم والأبحاث، والتي ولى زمانها وانقضى، ولا غرابة في زمننا هذا أن يحل مكان كتاب العقاد كتاب المرصاد في اللغة العربية، ومكان الأيام لطه حسين تجد البركان في التاريخ لمؤلفه الألمعي حمدين، وكتب شكسبير محلها كتب المغير في الكيمياء والفيزياء والتعبير، وهلمّ جرّا، ولك أن تتخيل قارئي العزيز مستقبل أبنائنا والمجهول الذي ينتظرهم وهم المحشوة رؤسهم بهذا الكم الهائل من الفكاكة والعشوائية والجهالة والضحالة واللافكرية الألمعية.

لكني أسوق إليكم أحبائي وقرائي الأعزاء ما هو أسوأ، إذ إن انتشار الدروس الخصوصية وبكل تأكيد يؤدي بما لا يدع مجالا للشك إلى الضحالة الفكرية والتفاهات العقلية، فنرى الجهالة مجسمة وبكل إبداعاتها وتفاصيلها ومفرداتها ومعانيها، حيث تعتمد تلك المراكز على الحفظ والتلقين لصفحات بأكملها، والتكرار النمطي الممل لمقاطع دون غيرها، وتدوير لفقرات وجمل بعينها وفي بعض الأحيان قد يكون للفهلوة والتنشين والفكاكة والتخمين ومعهم لعبة حادي بادي الدور الفاعل في نشر اللاوعي واللامفهومية بين أبنائنا وبناتنا.

إذن وباختصار أستطيع أن أقول إنه لا مجال في تلك المراكز إطلاقا للعلم أو المعلومة، حيث لا وعي فيها، وبالتأكيد لا فكر لدى القائمين عليها، ولا توجد مقدرة لديهم لابتكار أي جديد أو خلق بيئة تنويرية أو تثقيفية، وبالطبع إنه من المستحيل أن تجد الفرصة لأي إبداعات أو تعلم.

العلم يا أحبائي وباختصار إذا ما أردناه فعلينا ببذل الجهد والعرق ومواصلة العمل الدؤوب والمثابرة وتنمية وإذكاء روح الفريق، كما أن العلوم بكل فروعها وتخصصاتها وأيًا كانت مجالاتها وتفريعاتها يلزمها بادئ ذي بدء مختبرات ومعامل بتقنيات حديثة، ودورات تدريبية، وورش عمل ذات جودة عالية، لتواكب الأحدث والأكثر تطورًا، بالإضافة إلى الدراسات المستمرة والتواصل والتنسيق مع الآخرين لمتابعة المستجدات أولاً بأول، ناهيك عن التجارب والأبحاث ومراكز التدريب والممارسات.

ويالللأسف إننا وبعد أن تذيلنا التصنيف العالمي لجودة التعليم ولسنوات عديدة، وكنا قانعين بل وفخورين ومهللين بترتيبنا هذا متباهين غير مبالين بمن يأتي وراءنا أو بعدنا، رغم أنه لم يكن هناك بعدنا ولا وراءنا! ترانا الآن ويالللعار قد خرجنا من التصنيف تمامًا، وها نحن نتحسر على مركزنا الأخير والمحبب بالنسبة لنا، والذي ظللنا قابعين فيه لمدة طويلة، فما أسوأ أن تمشي بلا ترتيب أو تسير بلا هوية أو مركز!

وكيف يكون هناك تعليم وهذا هو حال مدارسنا، والتي أضحت خاوية على عروشها، هجرها تلاميذها وطلابها لقلة عدد فصولها وتدني مستواها وخدماتها، حتى بعد أن بنوا ملاعبها وعرشوا فناءها وألغوا حصص التريض والموسيقى وقضوا تمامًا على إبداعات طلابها، حتى تم استبدالها بما هو أسوأ، ألا وهو تلك الأوكار أو كما يسمونها بمراكز الدروس الخصوصية، وكيف لنا أن نتعلم من

خلال تلك المراكز البديلة؟ والتي فرضت علينا فرضًا، وهى مراكز مجهولة المصدر والهوية، تلك الآفة التي ابتلينا بها خلال العقود الأخيرة، فانتشرت في كل مدننا وقرانا، وكما أسلفنا حتى طالت العزب والنجوع، وفي كل المراحل الدراسية وما قبل الحضانة حتى الجامعة في التعليم العام بالإضافة إلى الفني والخاص أيضًا، وها هي ولله الحمد قد شبت عن الطوق في أيامنا تلك وتسلقت مؤخرًا أسوار الدراسات العليا وسياجات البحوث العلمية.

ومن المدهش أنه يتوجب ويلزم على كل من يريد ويود أن يكون له مكان في أوكارهم أو حظائرهم أن يحجز مسبقا وبفترة طويلة قد تصل إلى ما يعادل زمن فصل دراسي أو سنة دراسية كاملة وربما أكثر، وذلك هو الواقع والحقيقة حسب ما لدي من معلومات.

وآسف جدًا قارئي العزيز على زلات لساني إن كانت قد خانتني واندست خلسة في البعض من تعبيراتي، لتظهر في ثنايا جملي ومفرداتي بعض الكلمات كالأوكار والحظائر، لكن يشفع لي ويغفر لي كل زلاتي وأخطائي وإسقاطاتي أني مغتاظ مستاء مما يحدث من مهانات واستهانات بأولادنا وأولياء أمورهم وأسرهم، وإني أقسم إن ظاهرة الدروس الخصوصية تؤدي وبكل تأكيد إلى ظواهر أبشع وأسوأ مما نتخيل سوف نتعرض لها باختصار من خلال السطور التالية.

فهي بادئ ذي بدء تنشر العدوى بين أبنائنا نتيجة وجودهم في أماكن سيئة التهوية مع التكدس والازدحام، خاصة عدوى الأمراض

التنفسية كالأنفلونزا بأنواعها وكل مضاعفتها ومخاطرها مثل الالتهاب الدماغي والحميات الشوكية والنزفية وغيرها، أضف إلى ذلك الأمراض الجلدية كالجرب والإكزيما والتنيا، بالإضافة إلى الجديري والحصبة والحصبة الألمانية، وفي أحيان كثيرة الدرن.

ولا ننسى دورها الفاعل في تفشي ظاهرة التحرش الجنسي وتناميها في السنين الأخيرة وتزايد أعداد مرتكبيها، كل ذلك بفضل تلك الأوكار ومرتاديها، حتى أصبحنا نحتل المركز الثاني وفي بعض الأحيان الأول بين دول العالم في تلك الظاهرة المشينة، ناهيك عن الإدمان للمواد المخدرة بأنواعها ومبتكراتها وبكل مستجداتها، ولمَ لا وهناك تجمعات طوال الليل والنهار لمجموعات شبابية من الجنسين جميعهم من بيئات وأوساط اجتماعية مختلفة ومن فئات ومراحل عمرية وسنية متفاوتة بلا رقيب أو حسيب، فتراهم يقضون يومهم كاملا يفترشون الشوارع والطرقات ويتسكعون فرادى وجماعات على الأرصفة والنواصي في انتظار دورهم ومن يأذن لهم بالدخول، فمن بائع الرياضيات إلى تاجر اللغات مرورًا ببهلوانات التاريخ وأبناء بطوطة في الجغرافيا، حتى أباطرة علم النفس والرسم وراقصي السامبا في الأحياء، وفكيك اللغة العربية والإملاء، وصولا إلى جهابذة المنطق والفلسفة.

وبالطبع فإن القائمين على تلك الأوكار لا يهمهم ولا يشغل تفكيرهم إلا جمع الأموال بالضبط كما صاحب الغرزة أو الكباريه الذي لا

يهمه مطلقا أخلاقيات زبائنه ولا يعنيه ماهية رواده، لكن كل هدفه أموالهم وكل ما في جيوبهم.

وإن كان ذلك السلوك لا يعيب أبدًا ولا يشين مطلقا صاحب الغرزة أو الكباريه، والذي له هدفه الواضح الجلي حيث لم يكن وبكل تأكيد في أي يوم من الأيام يهدف إلى التقويم أو ينشد الإصلاح، لكن ذلك التصرف المشين والسلوك غير الحميد وبكل تأكيد يبقى وصمة عار ودائما أبدًا في جبين كل معلم أو مدرس، بل إني أرى أن صاحب الوكر أو مركز الدروس الخصوصية أسوأ بكثير وأكثر جرمًا وفداحة، بل ويفوق الجميع خسة ووقاحة، وذلك لأن مرتاد الغرزة أو الكباريه أو ما شابهها يدفع باختياره ويذهب غير مجبر، وعادة المترددين على تلك الأماكن هم من ميسوري الحال، على عكس المترددين على أوكار الدروس الخصوصية، حيث يكون الدفع جبرًا وعنوة دون اختيار أو تخيير، وفي العادة أو في الأغلب الأعم لا يملك ولي أمر الزبون أقصد الطالب قوت يومه ولا يجد ما يسد به رمقه.

فمَن الأسوأ إذن؟ صاحب الملهى أو البار الذي يجمع أمواله من الميسورين المنتفخة جيوبهم وباختيارهم؟ أم أباطرة الدروس الخصوصية الذين تنتفخ جيوبهم وتتضخم ثرواتهم مما يبتزونه عنوة وقسرًا من أهلنا ومن أولياء أمور أبنائنا، والذين أغلبهم من العامة والبسطاء المحتاجين، وإن شئت قل المساكين؟

وفي نهاية كلامي عن الدروس الخصوصية أرجو أن لا تتعجب قارئي العزيز مما كتبته وسطرته بشأنها، حتى إن بدا لك في بعض الأحيان أن بعض المسطور عنها قد جانبني فيه التوفيق وخانتني فيه البعض من جملي ومفرداتي، وأنه ومن ظاهره يبدو استرسالاً غير مبرر وسردًا غير منطقي، لكن عذري إن كان ما يبدو لك هو الحقيقة أننا كنا بصدد الحديث عن عالم اللا فكر، وحيث يكون اللا فكر لا يسأل إطلاقا عن مبررات للا منطق!

وللأسف فإننا نرى أن البعض دائما ما يحاول أن يلتمس للمعلم الأعذار والمبررات والتي تؤدي به رغما عنه إلى السقوط في مستنقع الدروس الخصوصية، وهم يعزون ذلك دائما إلى الظروف الاجتماعية الضاغطة والأحوال المعيشية القاسية التي تجبره بقسوتها على سلوك هذا المسلك غير السوي، وأنا بالطبع لست مع هذا الرأي ولا أؤيده على الإطلاق، حتى وإن كنت ألتمس العذر للبعض منهم.

وللقضاء على ظاهرة الدروس الخصوصية هناك مساران اثنان:

أولهما أنه لابد أن يكون لدينا اقتناع تام، وأن يستقر في قريرة نفس كل ولي أمر أن الثانوية العامة ما هي إلا مرحلة تنافسية بحتة وليست للحصول على أعلى الدرجات.

بمعنى أن كلية القمة كذا ستقبل هذا العام الألف الأوائل في الترتيب من طلاب الثانوية العامة، وعندها ستجد أن أول طالب في الألف لا يزيد مجموعه على سبعين في المائة بالكاد، والأخير في

الألف سيكون ثمانية وستين في المائة تقريبًا، وبالطبع يحدث هذا في غياب الدروس الخصوصية.

ثم ماذا لو كانت تلك الدروس الخصوصية والتي عندها وبالتأكيد سيحصل الأول في الترتيب على مجموع مائة وعشرة في المائة، وآخر الألف سيحصل على مائة وثمانية في المائة تقريبًا، وبالطبع ستكون نفس الأسماء وبنفس الترتيب في حالة الدروس أو عدمها، وبالضبط كما هي بمعنى أن من حصل على ١١٠ % بالدروس هو نفسه من حصل على ٧٠ % بدونها، لكن في حالة عدم الدروس توجد ميزات عدة، منها أن هناك متسع من الحرية المتروكة للطالب للابتكار والخلق والإبداع، خاصة من كان لديه الملكة ويمتلك الموهبة، لكن في حالة الدروس الخصوصية يبقى الطالب دومًا أسير لما يملى عليه وما يتم تلقينه إياه، وعليه توأد داخله وفي مهدها كل مواهبه وملكاته!

والمسار الثاني للقضاء على مشكلة الدروس الخصوصية هو أنه لابد من الاهتمام بالمعلم علمًا وتأهيلا، ناهيك عن ورش العمل والتدريب المستمر، وذلك لتزويده بكل ما هو جديد، وخلق مناخات تساعده على الخلق والابتكار والإبداع، وبالطبع وقبل هذا وذاك لابد من الاهتمام بالمعلم نفسه كإنسان ومنحه حقوقه الأدبية كاملة، ليكون له مكانته ومكانه وتقديره واحترامه الذي يليق به وبمهنته، والتي هي من أرقى المهن، ولا أجامل إن قلت إنها المهنة الأعلى والأسمى؛ فالمعلم يعلّم أمة بأكملها وينتشلها من غيابات

الاضمحلال والتخلف والجهالة، وتلك المكانة التي يجب أن يكون فيها المعلم ليست مِنّة من أحد، كما لم تكن يومًا من الهبات والعطايا، فهو قطعًا يستحقها وأكثر منها وبكل تأكيد.

ولعل ما قد يدهشك عزيزي القارئ أنني هنا أتحدث وأسهب كثيرًا عن المعلم الإنسان وما أرجوه وآمله له ليكون دومًا ودائما صاحب القامة والمقام والمكانة الرفيعة، ولم أتطرق إلا قليلا إلى ظروفه المعيشية والتي أعلم أنها صعبة إن لم تكن مستحيلة لدى البعض، شأنهم في ذلك كشأن الكثيرين من أبناء الوطن، وذلك كله مرجعه أن جل اهتمامي ودائما أبدًا بالإنسان، وإن كنت لا أغفل أبدًا تأثير الظروف المحيطة، والتي من ضمنها بل وأهمها بكل تأكيد الأحوال المعيشية الصعبة والظروف الحياتية القهرية، لكن ثقتي في المعلم الإنسان تبقى دائما أبدًا أكبر بكثير من تأثيرات ومؤثرات كل تلك الظروف المحيطة صعبة كانت أو قهرية.

ودعنا الآن نتحدث عن ما هو بعد الثانوية العامة والتي حتما ستمر إن آجلا أو عاجلا وبمرحلتيها وبكل همومها ومشاكلها، وها نحن الآن على أبواب الالتحاق بالجامعة وما أدراك ما الجامعة وما يحدث بالجامعة، وتلك قصة أخرى لابد من الغوص والولوج فيها لنعرف البعض من تفاصيلها (لكن قبل هذا وذاك أقول وبكل أسف إنني قد علمت مؤخرًا أن مصر قد خرجت من التصنيف العالمي للتعليم).

حيث هناك ما يعرف بكليات القمة والتي يلتحق بها آلاف من الطلاب المخدوعين المغرر بهم من أصحاب المجاميع الأعلى وهم وبكل تأكيد الأكثر استيعابا للمقرارات دونًا عن باقي أقرانهم وإن شئت قل هم الأكثر قدرة على الحفظ لا التحصيل، وهم من تعودوا التكرار والتلقين، ودائما هم أصحاب الرؤوس المحشوة بمقررات ما أنزل الله بها من سلطان، عفا عليها الزمن ومنذ زمن مضى ولفظتها كل الأمم ونحتها جانبًا، إلا نحن مازلنا متمسكين بها متحمسين لمضامينها ومحتوياتها، فخورين متباهين بمردودها على أبنائنا، مع العلم أنه لا مردود لها على الإطلاق، وإن كان فهو السطحية والجهالة.

❊ ❊ ❊

قمة في الحضيض!

وكليات القمة تلك أو ما يطلق عليها هذا المسمى زورًا وبهتانا هي أبعد ما تكون عن القمة، ولا علاقة لها بها من قريب أو بعيد، حيث إن المناهج بتلك الكليات هي مناهج روتينية نمطية لا مجال فيها إطلاقا لأي إبداعات أو ابتكار، بل إنها وفي الأغلب الأعم تئد الموهوبين وتقضي عليهم إن ساقهم حظهم العاثر إلى الدراسة فيها، بل إني أراها مقبرة للمبدعين، ولا أبالغ إن قلت إن ما يسمى بكليات القمة ما هو إلا قمة السطحية والعشوائية في الاختيار، وإن الكثير ممن اختاروها قد جانبهم التوفيق في اختياراتهم، ومن أمثلة تلك الكليات تجد كليات الطب والهندسة وكل من يمت لهما بصلة نسب أو قرابة كالصيدلة والبيطري والأسنان بالنسبة للطب، والكليات التي كانت يومًا ما معاهد صناعية ثم أضحت بين عشية وضحاها وبقرارات عشوائية كليات هندسية، وذلك بالنسبة للهندسة.

وإني أتمنى أن تكون كليات القمة هي تلك الكليات التي تنتهج المنهج العلمي البحثي الهادف وتتخذ المسارالتربوي التنويري في ذات الوقت، وعليه تكون كلمة قمة في مكانها الصحيح رمزًا ومضمونا لا

فنتظية شكلية لا طائل من ورائها، أو شياكة مجتمعية كاذبة باهتة المعالم والسمات لا تغني ولا تسمن من جوع.

على أن يتم في تلك الكلية وبين جنباتها دراسة المواد العلمية غير النمطية كالفيزياء والرياضيات والعلوم الطبيعية والكيميائية، بالإضافة إلى فتح آفاق جديدة في مجال التقنية المعملية والبحوث المخبرية، وذلك لمواكبة كل المستجدات العلمية العالمية أولاً بأول، وعليه يجب أن تكون تلك الكلية مجهزة ومعدة إعدادًا يليق بالدارسين فيها، حيث معامل الأجهز التقنية الأحدث، وتوفير كل المناخات الملائمة وتهيئة كل الظروف لتكون دافعًا لهؤلاء الطلاب للخلق والابتكار والإبداع، وليكونوا علماء نفخر ونتباهى بهم وهم يصنعون مستقبل مصرنا الغالية.

وبعد الحديث عن القمة وكلياتها وتوضيح مفهومها ومعناها نجد أن هناك كليات أخرى قد فقدت الكثير من مكانتها وبريقها وتراجعت هيبتها كثيرًا خاصة في العقود الأخيرة، مثل الحقوق والآداب والتجارة، وذلك بسبب الأعداد الكبيرة من الطلاب والتي تقبل بها تلك الكليات، حيث كثافة طلابية ليس لها مثيل على مستوى العالم، وبالطبع ليس هناك أي ربط أو تنسيق بين ما تقبله تلك الكليات من أعداد وحاجة أسواق العمل.

والأغرب ما يحدث في كليات الزراعة، والتي أحترمها وأجلها وأعتبرها من كليات القمة العلمية، حيث من المفترض أن تمدنا بالعلماء والباحثين في مجال الزراعة، حيث علم الوراثة والتهجين وأمراض

النبات وعلاجاتها، والتي من المفترض أن تؤدي إلى زيادة إنتاجية المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها وتحسين جودتها، لكن وللأسف لا يحدث ذلك مطلقا، نظرًا للعشوائية الموجودة والروتينية المتراكمة داخل تلك الكليات، لدرجة أنه ومن المضحك أن بعض أقسامها يكون عدد الطلاب فيه من صفر إلى واحد طالب، وهناك من الأساتذة والمعيدين في ذلك القسم ما يزيد على العشرين، جميعهم يدرّسون ويعلمون هذا الصفر أو الطالب الواحد على أقصى تقدير، كما أن الزراعة ربما هي الكلية الوحيدة التي فيها عدد الطلاب أقل بكثير من عدد الأساتذة، وذلك ليس مرجعه قلة عدد الطلاب المقبولين، ولكن يرجع للزيادة الرهيبة في أعداد الأساتذة والمعيدين نتيجة الروتينية المفضوحة والعشوائية الفجة في التعليم والتعيين.

ناهيك عن كليات الآثار والإعلام، والأغرب تلك المسماة بالخدمة الاجتماعية، والتي في أغلبها بالمصروفات إن لم تكن كلها، وبالمناسبة هي لم ولن تقدم أي خدمة للمجتمع، كما أنها لم تكن يومًا ولن تكون اجتماعية وبأي حال من الأحوال، لكن وبكل الأمانة وحتى لا نبخسها حقها فإن لها دورها البارز والذي لا ينكره إلا جاحد حاسد في زيادة أعداد العاطلين، وبالتالي تؤدي إلى ارتفاع نسب البطالة، حيث إنها الكلية الوحيدة التي ليس لها سوق عمل في الداخل أو الخارج، ناهيك عن الأعداد المهولة والتي يتم تفريخها من خلالها كل عام.

كما لا ننسى الجامعات الخاصة والتي انتشرت هنا وهناك على كل ربوع أرضنا وهي بالطبع باهظة التكاليف نظرًا لمصروفاتها المتزايدة عامًا بعد آخر، ناهيك عن متطلباتها الدراسية وكلفة امتحاناتها، وتلك الجامعات ربما فاقت أعدادها الجامعات الحكومية، كما أصبح لدينا جامعات ونوعيات جديدة من الكليات، فهناك الكندية والألمانية والبريطانية ناهيك عن الامريكية وغيرها، وفي النهاية يكون لدينا جيوش من الخريجين كل عام وإن شئت قل مئات الألوف من العاطلين يضافون لملايين العاطلين خريجي الأعوام السابقة، ليغدوا جميعهم قنابل موقوتة من الممكن أن تنفجر وتدمر مجتمعات بأكملها.

وفي النهاية إذا ما أردنا أن نلحق بالركب العلمي العالمي يجب علينا أن ننحي العشوائية والفكاكة جانبًا ونأخذ الأمور مأخذ الجد، ونتخلص من كل الهيئات العلمية والتعليمية العقيمة، والتي لا فائدة ترجى منها ولا أمل في وجودها، فلقد عاشت وتربت في بيئة ظلامية كلها العشوائية والتخبط والارتجال، ناهيك عن تدني المعاني ووسائل الإيضاح والقيم والمعاني التربوية، فحيث كانت تجد اللا تنظيم واللا تقييم وتغيب دومًا ودائمًا في وجودها المعايير وتتوارى الموضوعية والالتزام ليحل محلها تواؤم غير مُرضٍ وتواكل مذل في إطار من اللا منطقية وعدم وضوح الرؤية، بالإضافة للأبجدية الروتينية وغياب الشفافية والمكاشفة.

كما لابد أن يكون هناك دراسة مستفيضة وتكون لنا خططنا المستقبلية قصيرة وبعيدة المدى، ومن خلال تلك الخطط يمكن تحديد احتياجاتنا وطبقًا لحاجة سوق العمل ومتطلباتنا لا وفق أهوائنا ونزواتنا، وعليه لابد أن نعرف كم من الأطباء والمهندسين والمعلمين نحتاج، وكذا خريجي كل الكليات الأخرى، وبناء عليه وعلى أساسه يتم قبول الطلاب، وإن كنت أعتقد أننا لسنا في حاجة إلى أغلب خريجي جامعاتنا، تلك الجامعات التي كانت يومًا ما عريقة لها قيمتها وقامتها بين كل جامعات العالم، والآن لا ترتيب لنا ولا مكان بين كل جامعات العالم.

ومن العجب العجاب أن تجد كل هؤلاء الخريجين أو جيوش العاطلين يبحثون دائمًا أبدًا عن الوظيفة الحكومية، وكأنها طوق النجاة بالنسبة لهم، حيث مازالوا متمسكين بالمثل الموروث والمغروس في عقلهم الباطن (إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه) بالرغم من أن لدينا أكثر من ستة ملايين من الموظفين الحكومين لا نحتاج منهم إلا ثلاثة أرباع المليون، وإن شئت قل مليونا وعلى أقصى تقدير.

❊ ❊ ❊

مساحات مفتتة

وما يثير انتباهك ويدهشك كثيرًا أن أعداد البطالة في الريف وبين سكان القرى والنجوع قد تزايدت أعدادها وتنامت في العقدين الأخيرين وتفاقمت تبعاتها، وتلك ظاهرة غريبة على مجتمعنا الريفي وبكل تاكيد تستحق منا البحث والدراسة، وإن كنت أرى أنها بسبب تآكل الرقعة الزراعية وتفتتها حيث كنا وإلى فترة قريبة نرى مُلاكًا تزيد أملاكهم عن العشرة أفدنة وبكل قرية تقريبًا، لكن في تلكم الأيام قلما تجد من يمتلك أكثر من الفدان الواحد، ناهيك عن أصحاب القراريط الأربعة والثلاثة وربما أقل من ذلك، وفي كلا الحالتين لا يحتاج ذو الفدان أو الثلاثة قراريط أية عمالة، فلديه من الأبناء ما يكفي ويزيد، وكلهم على استعداد أن يزرعوا تلك المساحات الصغيرة بأقل مجهود، وربما يلتهمون نتاجها وإنتاجها أثناء فلاحتها، ولايبقون شيئا لنسائهم وأطفالهم الصغار المنتظرين بلهفة وشوق لعودتهم من حقولهم حاملين ما لذ وطاب من خيرات الله، ناهيك عن أن صاحب الفدان قد يجرف نصفه وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك، ومن ثم البناء عليه، وقد يلجأ إلى تسقيع النصف الآخر، فما بالك بصاحب المساحة الأقل من الفدان، والتي قد لا تكفي لسكنى مالكيها.

وليس بمستغرب أبدًا أن تجد الآلاف المؤلفة من القرويين حاملي الشهادات المتوسطة والعليا وربما الماجستير والدكتوراه من رواد المقاهي يقضون عليها كل الليل والجزء الأكبر من النهار، وهم كذلك مستمرون حتى تأتيهم الوظيفة التي ينتظرونها، والتي قد لا تأتي وهي بكل تأكيد لن تأتي.

كما أن هناك مشكلة تواجه هؤلاء وهي مشكلة نفسية في الأساس لها أبعادها الاجتماعية، مرجعها ضيق الأفق والنظرة السطحية للأمور، ويجب أن تتغير وستتغير قطعًا إن آجلا أو عاجلا، وهي كيف لحاملي تلك الشهادات أن يعملوا هنا أو هناك في الأراضي الزراعية أو في بعض المهن التي من وجهة نظرهم القاصرة هي مهن متدنية لا تناسبهم وشهادتهم ومؤهلاتهم، حيث كل منهم يحلم بمكتب يجلس عليه ويتحكم في مرؤوسيه ويتحكم فيه رؤساؤه، وكأن تلك الشهادات والمؤهلات حصلوا عليها لتكون وبالاً عليهم بدلا من أن تعينهم وتأخذ بأيديهم من خلال توسيعها لمداركهم وإثراء مفاهيمهم، لكنهم وعلى رأي المثل الدارج وبتلك المؤهلات والشهادات "لا طالوا بلح الشام ولا عنب اليمن".

ولا غرابة عزيزي القارئ أن تجد أن المقاهي قد انتشرت هنا وهناك، وأضحت في كل القرى والنجوع وأضحت تعج بأعداد مهولة وجيوش من العاطلين، وتلك ظاهرة جديدة أيضًا على ريفنا المصري لم نتعودها ولم نعتد عليها في الأزمنة المنقضية أو في أيام الزمن الجميل كما يحلو للبعض تسميته، لما كان في هذا الزمن من

ازدهار للثقافة والآداب ناهيك عن المشاعر الجميلة والأحاسيس الرقيقة والذوق العالي والأداء الراقي في كل مناحي حياتنا.

لذا لابد لأبنائنا أن يدركوا أن الكرامة في العمل والعزة في الجدية والاجتهاد، ولم تكن أبدًا في التواكل والخنوع، ولابد أن تعرفوا أن الطبيب والضابط والمهندس وأستاذ الجامعة والمحاسب والقاضي والمحامي إلخ.. كل تلك المهن خدمية ويبقى العامل والفلاح وتلك هي المهن المنتجة الوحيدة في بلادنا، لذا لابد من الاهتمام بها ورعايتها وتنمية مهارتها وقدراتها وتدريبها باستمرار، ورغم أن المهن تكمل بعضها البعض، فالمدرس هو من يعلّم ابن العامل والفلاح، والطبيب هو من يعالجهم، والضابط هو من يؤمنهم وهلم جرّا، لكن لابد أن نحافظ على ذلك التكامل ونسبه المئوية، بمعنى أن لا تكون النسب معكوسة، كأن يكون لدينا آلاف من الأطباء يقابلهم مئات من الفلاحين، ومئات من الضباط يقابلهم عشرات العمال، وتلك نسب غير متوافقة وهي مرفوضة تمامًا والعكس هو المطلوب.

ونعود مرة أخرى لوحيد والثانوية العامة، والتي للأسف مازالت وإن جاز لنا أن نقول هي المرحلة التنافسية والمحطة الرئيسة التي تؤهل أصحابها خاصة المجتهدين منهم إلى تحقيق أمانيهم وما يصبون إليه، حتى وإن تدنى محتواها العلمي وانحدر مستوى طلابها، لذا كان لابد لصاحبنا وحيد أن يحصل على مجموع يؤهله لتحقيق هدفه، وبالرغم من أن كلية الشرطة من تلك النوعية من الكليات والتي هي في العادة قد لا تحتاج الدرجات الأعلى، لكن يبقى

للمجموع دوره الفاعل دومًا، ويظل عاملا مساعدًا وفي أغلب الأحيان مرجحًا لكفة على أخرى إذا ما تساوت الكفتان.

هذا ويجب أن لا ننسى أن هناك عوامل أخرى مهمة وأساسية لها الدور الفاعل لمن أراد الالتحاق بأي من الكليات العسكرية أو الشرطية، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفالها أو تنحيتها جانبًا كالياقة البدنية والذهنية بجانب السيرة الذاتية الحسنة والبعد الاجتماعي المناسب والملائم وغيرها، وحيث إن كل تلك العوامل والصفات ولله الحمد موجودة ومتوفرة في وحيد، فالفتى يتمتع باللباقة ويمتلك الذكاء والحضور، ورغم حداثة سنه فإن الكل يحبه لطيب حديثه وخفة ظله وسرعة بديهته، أضف إلى ذلك قدرته على التحكم في ردود أفعاله والسيطرة على كل انفعالاته، كما لا تخفى على كل ذي عين لياقته البدنية العالية والتي تظهر واضحة جلية في بنيته وقوامه، فالفتى وكما نراه قوي البنية ممشوق القوام ولم يكن ذلك بمستغرب عليه، فهو رياضي منذ نعومة أظافره، وبالطبع نحن لا ننسى ما حدث للبلطجية الثلاثة والذين حاولوا تثبيته!

ناهيك عن أنه ابن لأسرة مشهود لها بالأخلاق الحميدة ومعروف عنها سيرتها العطرة وعلاقتها ومعاملتها الحسنة الطيبة بالجميع.

❊ ❊ ❊

هل يتحقق الحلم؟

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ومع بدء امتحانات الثانوية العامة يصاب المسكين بوعكة صحية شديدة، ورغم الأم المرض وشدته أصر وحيد على دخول الاختبارات ولم تفلح معه توسلات أسرته ورجاؤها له بتأجيلها، وبالطبع كانت النتيجة المتوقعة هي النجاح، لكنه لم يكن النجاح الذي يليق أو يرضي طموحه ويحقق أمانيه وأسرته، لقد حصل على واحد وخمسين في المائة، وعندها ظن الجميع أن الحلم الذي عاش السنين مع فتانا قد تلاشى وانتهى تمامًا، لكن صاحبنا كان له رأي آخر، فهو لم ييأس ولم يبتئس ولم يفقد أبدًا أمله ولم يتُه منه هدفه.

كل ما في الأمر أنه ربما تكون لكل تلك الظروف الطارئة وكل ما استجد من أمور تأثيره على تغير السيناريو المرسوم وتحريك الدفة قليلا لتغير الاتجاهات، لكن تبقى الغاية المقصودة والهدف المرجو واحد ألا وهو الصعود إلى حيث مصاف النجوم ومواقعها.

تقدم الفتى بأوراقه إلى معهد الأمناء وبالطبع كان قبوله طبيعيا ودون عناء، فهو وكما أسلفنا يتمتع بصفات ومواصفات قلما تجدها في أقرانه أو فيمن هم دونه، ومضت الشهور سريعة وتخرّج من معهده، وكان بطبيعة الحال الأول على دفعته، وتم تعينه

بمباحث الآداب، وعلى الفور شرع في استكمال السيناريو الجديد وما رسمه لنفسه، وإن كان هو ذات السيناريو القديم، حتى وإن أعيدت صياغته فتغيرت بعض من جمله ومفرداته لمواكبة ما استجد من أمور، وعليه تقدم بأوراقه للالتحاق بكلية الحقوق، وبعد مرور سنوات اربع تخرج وبتقدير عام جيد جدًا وتقدم بأوراقه من أجل ترقيته إلى رتبة ضابط.

ولله الحمد لم تكن عليه أية ملاحظات أو سلبيات خلال فترة عمله، كما لم توقع عليه بالطبع أية جزاءات، بل على النقيض كانت هناك شهادات التقدير والتكريم بالإضافة إلى المدح والإشادة من كل رؤسائه بل ومن مرؤوسيه، لذا لم يكن صعبًا ولا مستحيلا أن يصدر قرار الترقية وبسرعة مذهلة، وها هو في انتظار تنفيذه وتحقيق الحلم الذي راوده طوال سنوات عمره.

❊ ❊ ❊

نجمة في عز الضهر !

ولحسن الطالع وتوافقات الأقدار نجد أن وحيد الذي طالما سعى جاهدًا في الوصول إلى النجمة قد أكرمه ربه بنجمتين في آن واحد لا نجمة واحدة، نعم نجمتان واحدة يحملها على كتفه أو بالمعنى العامي يعلقها، وأخرى تعلق بها بعد أن سكنت كل قلبه، ومع أنه يبقى للنجمة المعلقة على الكتفين بريقها ولمعانها وهي بالطبع غالية عزيزة على صاحبها أو حاملها، لكن على صاحبها أن يكون حذرًا فقد تحرقه غير آسفة عليه إذا ما تعالى بسببها أو اغتر بها، ورغم أن نجمة القلوب أو الحبيبة لها المكانة الأسمى والأرفع وهي الأغلى والأعز دومًا ودائما، لكن أيضًا يجب علينا أن لا ننسى وأن نضع دائمًا في حسباننا وأمام أعيننا أنها قد تحرق بلادًا بأكملها وتفني شعوبًا بأسرها وليس فقط صاحبها، وذلك إذا ما استهين بها أو أسيء إليها، ويجب أن يكون في الحسبان ودائما أبدًا أن كيدهن عظيم!

ولقد أحب وحيد نجمة حبًا ما بعده حب، ونجمة ذلك هو اسم محبوبته، وإن كان نادرًا أن تسمع بمثل هذا الاسم في أيامنا الحالية، حيث إنه وفي نظر البعض موضة قديمة قد ولى زمانها وأفل نجمها، وكأن الأسماء كما الأزياء موضات وموديلات، وربما

أيضًا "نيولوكات" تظهر وتختفي، وتلك حقيقة وواقع، ففي كل عام تجد اسمًا يسطع نجمه ويزداد بريقه ويبقى له الغلبة ويظل هو الأوسع انتشارًا، وقد يستمر كذلك لسنوات حتى يأتي غيره ويأخذ مكانه ويزيحه من على منصات التتويج ويحرمه شهادات التقدير والأوسكار، وكما أننا نلاحظ أن هناك أسماء قديمة تعاود الظهور أو بمعنى أدق أسماء قديمة جديدة، وذلك بعد أن كدنا ننساها لعدم تداولها، وبعد أن غاب وانطفأ بريقها زمنا طويلا وهكذا دواليك، بالضبط تبقى الأسماء كما الأزياء، وكما أسلفنا في حديثنا حتى أن هناك أسماء طويلة وأخرى قصيرة، حتى وإن كان الطول والقصر مقياسه عدد الحروف الموجودة بالاسم لا كما الأزياء فوق الركبة وتحت الركبة.

لكن هذا لا يمنع أن الكثير منا مازال يذكر ويتذكر بكل خير وحب وامتنان الفنانة القديرة والمحبوبة دومًا ودائمًا الراحلة نجمة إبراهيم، والتي أحبها الجميع بفضل أعمالها المتميزة وأدوارها المتفردة، حتى وإن كانت تلك الأعمال والأدوار في أغلبها شريرة لكنه الشر الجميل لخدمة السياق ووفقا للسيناريو المكتوب ومن أجل توضيح المعنى وإبراز المحتوى والمضمون.

ونجمة الحبيبة أو التي تعلق بها وأحبها وحيد هي أخت زوجة رئيسه في العمل الرائد ضياء، والذي يعتبره وحيد الأخ الأكبر له، والذي طالما شجع وحيد كثيرًا ووقف بجانبه وسانده طوال مشوار عمله معه في مباحث الآداب، وذلك منذ اللحظة الأولى التي بدأ

وحيد عمله فيها ضمن الأفراد العاملين بالمكتب، حيث استشعر فيه الضابط ضياء فراسته وحسن تدبيره للأمور واستشف منه ذكاءه الفطري، وأدرك فطنته وطموحه وعليه بارك تطلعاته المشروعة في تحقيق أمانيه وما يأمله ويرجوه.

وقد يبدو موقف الضابط ضياء ومساندته وتشجيعه للأمين وحيد مستغربًا بعض الشيء، لكنه وبكل تأكيد ليس مستهجنا وبأي حال من الأحوال، إذ إن الواقع يقول إن هناك عددًا لا بأس به من الضباط لا يحبذون ترقية الأمناء إلى ضباط، وليس ذلك تعاليًا من الضباط أو تقليلا من شأن الأمناء لا قدر الله، فلكلٍ دوره وعمله المنوط به، وكلٌ يؤدي واجبه حسب اللوائح والقواعد المعمول بها في مجاله واختصاصاته.

لكنه ومن المؤكد أن هؤلاء الضباط لهم وجهة نظرهم الخاصة بهم والتي يجب أن تحترم، وبكل تأكيد أيضًا لديهم مبرراتهم، وللعلم هذا الأمر ليس بمستغربٍ بل هو أمر طبيعي، وذلك إذا ما دخلنا في الخبايا والدهاليز لبعض المهن كما نرى في علاقة الأطباء ونقاباتهم بالعاملين بمجال التمريض والعلاج الطبيعي، وكذلك علاقة المهندسين مع خريجي المعاهد الصناعية، وفي المدارس الحكومية ما بين المعلمين والإداريين وهلمّ جرّا في كافة المجالات.

لكن من المؤكد أن الوضع بالنسبة لوحيد يختلف تمامًا نظرًا لما يتمتع به من **الأمانة** وحسن الخلق والأدب الجم، بالإضافة لقوة الشخصية والتي لا تخفي أبدًا ظرفه وخفة ظله، ناهيك عن

ابتسامته التي لا تفارقه أينما كان، وقد تعرف وحيد على نجمة صدفة ولم يكن هناك أي ترتيب مسبق، ولم يكن اللقاء في الحسبان، لكنها الصدفة والأقدار كما أسلفنا، وكم من المنح والعطايا تهدينا إياها مقاديرنا وتمنحها لنا وعن طيب خاطر الصدف والأقدار، لكن يبقى الأرجح عقلا وحكمة والأكثر نباهة وفراسة والأعظم حنكة وإدراكًا هو من يقبل بتلك الهدايا الممنوحة ولا يفرط فيها أبدًا، ويستغل كل هبات الصدف وعطاياها.

ومن المعروف أن الصدفة وكما هو معلوم لا تأتي أبدًا ولا تقترب إلا ممن يستحقها، وكذلك الأقدار لا تأتي عشوائيا وحاشا لله أن تكون كذلك، لكنها وبكل تأكيد لا تكون أبدًا ولا تصطف إلا بجانب من يؤمن بها وبمقدورها ومقدراتها.

❊ ❊ ❊

ملازم أم ملازم أول ؟

نعم لقد تعرف وحيد على نجمة وتعلق بها قلبه وبعيدًا تمامًا عن الرائد ضياء، وكما أسلفنا كان اللقاء صدفة وقدرًا عندما ذهب إلى أحد البنوك من أجل مشكلة تخص معاش والده، والذي كان يشغل وظيفة محترمة وكانت له مكانته المرموقة، لكن للأسف لم تمنع تلك المكانة ولا الوظيفة المرموقة التي كان يشغلها والده أن يعاني الأمرين كما غيره كثيرين من أرباب المعاشات من مساوئ النظام المعمول به لصرف معاشاتهم، والذي لم يتغير منذ عقود في بلادنا، ناهيك عن تدني القيمة المادية للمعاشات والتأخير في صرفها وبيروقراطية الأداء والإجحاف، والتي نأمل ونتمنى أن تتغير وتتبدل ويكون هناك الاحترام والود والتقدير في كل المعاملات التي تخص أرباب تلك المعاشات، بالإضافة إلى سرعة إنجازها كما يحدث في كل العالم، وذلك حتى نرفع عن كاهل آبائنا وأمهاتنا وكل أهالينا أية مشاكل ومعضلات، ونزيل كل المعوقات والصعاب من طريقهم وننحيها جانبًا.

فأرباب المعاشات ما هم إلا أهلنا وكما ذكرنا آنفا هم آباؤنا وأمهاتنا، وهم الذين أفنوا عمرهم في خدمة مجتمعاتهم وعاشوا

حريصين على رفع راية بلادهم عالية خفاقة، وذلك طوال سنوات عملهم وخدمتهم.

ولحسن الطالع أو لمحاسن الصدف كما يقولون كانت نجمة موظفة بذلك البنك الذي قصده وحيد وساقها القدر لأن تكون هي المسئولة عن الشكاوى الخاصة بمثل تلك المشاكل والخاصة بالمعاشات، وبالقطع لم يكن اختيارها لمثل هذا العمل اختيارًا عشوائيا من قِبَل رؤسائها، فهم قد لمسوا فيها حسن معاملتها وطيب أخلاقها واحترامها لكل العملاء والمترددين على البنك كما كل موظفي البنك، وإن زادت هي بابتسامتها العريضة وبشاشتها دومًا ودائمًا ولم يكن ذلك منها تصنعا أو كلفة زائدة أو كما لغة العصر "أفورة زايدة" بل كانت تلك هي عادتها وطباعها التي جبلت عليها.

وعندما بدأت نجمة بتسجيل بيانات الشاكي أو صاحب الشكوى وهو وحيد نيابة عن والده، كان لابد لنجمة أن تسأله مبتسمة بشوشة كما هي عادتها بعض الأسئلة الروتينية والتي تعودناها في كل المصالح الحكومية ومنها البنوك بالتبعية، وتلك الأسئلة دومًا ودائمًا عن المهنة ومكان العمل وطبيعته ولا أدري من أين جاء وصفنا لتلك الأسئلة بالروتينية، ربما يكون مرجع وصفنا هذا هو كثرة تكرارها وتداولها هنا وهناك.

لكن الروتينية والحق يقال تبقى بعيدة تمامًا عن البيروقراطية المعروفة والمنتشرة بكل تأكيد في كل مناحي حياتنا وتداولاتنا اليومية، والتي تؤدي في الأغلب الأعم إلى تعطيل الأعمال وتأخير

إنجازها، وعادة ما تكون حجة الموظف أو المسئول وإن شئت قل تلكيكاته هي نقص معلومات لابد من استيفائها أو أوراق لابد من إرفاقها، أو حتمية المراجعة وتصحيح البيانات رغم أنها وفي الغالب الأعم قد روجعت ودققت مرارًا وتكرارًا قبل ذلك، وفي كثير من الأحيان عليك أن تنتظر عقد اللجان ثم بعد ذلك تنتظر ما يأتي بمحاضر تلك الجلسات، وفي النهاية تعود من حيث بدأت وتكرر خطواتك بنفس الترتيب علّك تكون من المحظوظين وتنصفك محاضر اللجان في تلكم المرة وهكذا دواليك.

لكني أجزم أنه في وجود تلك البيروقراطية المتأصلة لدينا وتزايد وتنامي أعداد البيروقراطيين لا تحلم أبدًا أن يكون هناك تقدم أو ازدهار في بلادنا ناهيك عن هجرة رؤوس الأموال وهروب المستثمرين ورجال الأعمال وكافة الشركات الأجنبية، حيث إن البيروقراطية لا توفر أبدًا مناخًا استثماريًا وبأي حال من الأحوال.

لكن الروتينية والتي يحلو للبعض أن يطلقوا عليها البيروقراطية الحميدة فإني أرى أنها لا ترقى أبدًا لبيرقراطية حتى وإن كانت حميدة، فهي لا ضرر ولاضرار منها، وربما جاءت تسميتها وكما أسلفنا من كثرة تكرارها هنا وهناك، وللحق إنها لا تؤدي إلى تعطيل العمل بالمعنى الشامل، ونادرًا ما تتأثر سرعة الأداء بسببها، وإن حدث فإنه يبقى تأثيرًا غير ملحوظ وإن كنت أتوق وأتمنى أن تنتهي حتى وإن كان للروتينية أحيانًا فوائدها كما حدث مع وحيد

ونجمة، فلولا الأسئلة والاستفسارات الروتينية والتي سألتها نجمة لوحيد ما أدركت أنه يعمل مع زوج أختها الكبرى.

وها هي نجمة قد أنهت له مشكلته سريعًا وكما ينبغي وفي غضون دقائق معدودة، وبالطبع لم يكن سرعة إنجازها وحلها للمشكلة لكونها استشفت أن العميل يعمل مع زوج أختها، لكن وكما أسلفنا أن تلك هي عادتها في عملها وهذا هو ما اعتادته دائما من بذل لقصارى جهدها مع أي عميل أيا كان.

وفي النهاية كان لابد على وحيد أن يشكرها.

حيث قال لها بأدبه الجم: متشكر جدًا يا ست الكل. وواصل قائلا: تأمريش بأي خدمة سعادتك؟

لترد عليه مبتسمة قائلة: لا شكر على واجب، دا عملنا وشغلنا واحنا هنا عشان خدمتكم.

وواصلت قائلة: بس وصل سلامي لأبيه ضياء، وعندها صمت الأمين مذهولا:

وقبل أن يفيق من ذهوله قالت نجمة: مترحش بعيد قوي يا أستاذ وحيد، الرائد ضياء يبقى جوز أختي!

❊ ❊ ❊

طلاق وانطلاق

وبمضي الأيام توطدت العلاقة العفيفة بين وحيد ونجمة وتنامى الحب العذري في قلبيهما، وكان طبيعيًا أن يعلمها وكل تفاصيلها الضابط ضياء والذي سعد بها وباركها من أول لحظة، حيث وجد فيها الفرصة ليعوضها عن زيجتها السابقة والتي كان هو السبب الرئيسي فيها، والتي لم تدم إلا ثلاثة أشهر وبعدها كان الطلاق، حيث تفاجأ الجميع بما فيهم الضابط ضياء أن الزوج الوسيم المهندم الشيك ابن الناس كما يقولون ما هو إلا مدمنٌ مقامرٌ له صولاته وجولاته في كل الغرز والأوكار، وكل رفاقه وخلانه هم من باعة السموم وتجارها والمتعاطين لها، فهو الزبون الدائم لكل تلك الأماكن المشبوهة، والكل يعلم ذلك إلا أسرة نجمة، وبالطبع زوج أختها ضياء، فالمذكور قد خدعهم جميعًا ربما بمظهره وأناقته وربما بادعائه الغنى الفاحش، وربما كما يقول المثل **ساعة القضا يعمى البصر.**

لكن هذا لا يعفي أبدًا من وافقوا عليه وباركوا الزيجة من الذنب خاصة الضابط ضياء بحكم عمله كضابط شرطة، فهو دومًا ودائمًا الأقدر على استيضاح كل الأمور وملابساتها كون التحري والتقصي جزءًا لا يتجزأ من طبيعة عمله وتكليفاته.

لذا أعود وأؤكد محذرًا مرارًا وتكرارًا، إياكم أن تنخدعوا بالمظاهر والشكليات والهندام واللباس، أو تنجذبوا غير منتبهين إلى المنمق من الأحاديث وحلو الكلام، أو يغركم معسوله ومنطوقه، وحذارِ من الانسياق وراء عشوائية الاختيار المبنية فقط على العواطف والأهواء، خاصة في مرحلة المراهقة وما يليها، حيث تكون المشاعر والأحاسيس غير ناضجة وغير صادقة، وتلك هي المرحلة الحرجة والأكثر خطورة في حياة أبنائنا وبناتنا، وهي بالتأكيد مرحلة غير ناضجة فكريًا، وكيف لها ذلك وهي من الناحية العضوية والفسيولوجية غير مكتملة تمامًا، تتحكم فيها إنزيمات وهرمونات أنثوية وذكورية لا يد للشاب أو الفتاة فيها ولا سيطرة مطلقًا عليها، حتى تصل إلى مرحلة الاستواء أوالاتزان الهرموني، وعندها يكون النضج أو الرشد، وعليه فإن أية قرارات تتخذ في تلك المرحلة عادة لا يعتد بها، حيث إنها قرارات انفعالية في المقام الأول، وطبقا لردات الفعل وأهواء المراهقين تتحكم فيها مشاعرهم وعواطفهم والتي هي مازالت غير مكتملة، وبما أن معظم قصص الحب تبدأ في تلك المرحلة، لذا نرى أن أغلبها إن لم يكن كلها تأخذ طريقها للفشل الذريع ومن بدايتها، وعادة إذا ما تم الزواج في هذه الحالة يكون الانفصال سريعًا وفي خلال الأسابيع أو الشهور الأولى من الزواج على أقصى تقدير.

هذا ولا يعيب تلك المرحلة السنية الحرجة كل ما يحدث فيها أو بسببها، لكن يجب على كل الأسر خاصة التي بها أبناء أو بنات في

تلك المرحلة السنية أن يحيطوهم بكل العناية والرعاية وأن يحتووهم ويكونوا لهم العون والسند والمأوى والملاذ، وأن يردوا على كل استفساراتهم وتساؤلاتهم في إطار من الفهم الواعي والإدراك الكامل لكل مشاعرهم وإحساستهم، دون جفاء أو صد أو تقليل من شأن السائل وسؤاله أيا كان موضوعه واستفساراته، كما يجب أن يكون هناك توجيه وإرشاد دون تعنت أو تعالٍ وسعة صدر من الأبوين، حتى يتخطوا بأبنائهم تلك المرحلة بكل منعطفاتها وعثراتها، ويصلوا بهم إلى بر الأمان، وعندها سيكون أبناؤنا قد أصبح لديهم مزيد من التعقل والحكمة والتروي التي من المؤكد ستمنحهم الثقة الكبيرة، والتي بدورها تمكنهم من التدقيق في اختياراتهم وتجعل لديهم القدرة على اتخاذ كافة القرارات التي تخصهم.

وفي الزواج أيضًا يجب علينا ألا نغفل أهمية التوافق الأسري والعائلي والبعد الثقافي والاجتماعي، ناهيك عن عادتنا وتقاليدنا وقيمنا الدينية والروحية، بالإضافة إلى البحث والتحري عن ماهية الأصول والمنبت والجذور، وكل تلك المعايير والمعاني الجميلة والتي للأسف قد نحاها جانبا الكثيرون منا بعد أن جذبت انتابهم وشغلتهم كثيرًا تقليدات عمياء لا تناسبنا وتقاليع جوفاء ما أنزل الله بها من سلطان لا تتوائم مطلقا مع ظروفنا أو عاداتنا، وكل ما تتحلى به مجتمعاتنا الشرقية من قيم ومعاني نبيلة قلما تجدها في غيرها من المجتمعات.

ولقد ذاقت نجمة الأمرين خلال مدة زواجها القصيرة والتي وصلت إلى المهانة والضرب ناهيك عن التعذيب والسب بأفظع الشتائم والألفاظ، كل ذلك في خلال فترة زواج لم تدم إلا ثلاثة أشهر فقط، فما بالك إذا ما امتدت لعام أو عامين.

وأرجو منك عزيزي القارئ ألا تدهشك تلك التصرفات والأفعال المشينة، وكذلك لا تستغرب كثيرًا من حدوث ذلك السلوك غير السوي، فتلك هي شيم المدمنين وطباعهم دائما أبدًا مع كل المحيطين بهم، حتى لو كانوا أقرب الناس إليهم بل لو كانت حتى الأم أو الزوجة، وكما حدث مع نجمة وهى تلك الفتاة الطيبة الرقيقة المهذبة جدًا الصادقة في كل مشاعرها وعواطفها، والتي وصل بها الحال أن يتم تجريدها من كل مجوهراتها ومصاغها وتبديد منقولاتها الزوجية بل والسطو عنوة ودون إرادتها على ما كان لديها من حسابات بنكية، وذلك لتغطية تكاليف إدمانه والتي فاقت كل الحدود وأنهت تمامًا كل ثرواته والتهمت كل ما لديه من ممتلكات وأراض، وها هو وفي غضون شهور قليلة هي كل فترة زواجه من نجمة قد باع كل ما كان قد تبقى لديه من أصول وعقارات.

ولقد حاولت معه نجمة وبشتى الطرق وبذلت قصارى جهدها وعبر كل الوسائل ولكن فشلت تمامًا معه، وبالطبع فشلت كل محاولات علاجه، ولقد كان طبيعيًا لمن خسر نفسه وآدميته أن يخسر أغلى ما يملكه وهو زوجته، تلك الجوهرة المكنونة والتي لم يعرف قيمتها ولم يقدرها حق قدرها، لكني أعود وأقول كيف للمسكين أن

يعرف؟ وكيف له أن يقدّر وهو الغائب الحاضر طوال الوقت؟ بل لو شئت قل هو المغيب تمامًا ودومًا ودائما عن الوعي والإدراك، لذا كان طبيعيًا أن يحكم لها بالطلاق ومن الجلسة الأولى.

وإن كان الطلاق في حالة نجمة حلا بل هو الحل الوحيد، لكننا وللأسف في أيامنا تلك نجد أن معدلاته قد زادت، وكذلك ارتفعت أسهم الانفصال وتنامت أسرع وأكثر من أي أسهم لأية بورصات محلية كانت أو حتى عالمية، لدرجة فإننا غدونا ربما البلد الأول على مستوى العالم في الطلاق، وتلك مشكلة ما بعدها مشكلة وآفة كبرى ما بعدها آفة، أن تصل نسب الطلاق في بلد كمصرنا العزيزة إلى ما يقارب ال ٤٥% من عدد الزيجات التي تتم، ونحن بلد كنا نتباهى وإلى عهد قريب بتماسكنا واتحادنا وقيمنا الفاضلة الموروثة، ولكم كنا نعتز بودنا وتعاطفنا ومشاعرنا الطيبة تجاه بعضنا البعض، ودائما كان حرصنا على التوافق والتسامي عن الصغائر والتفاهات، ناهيك عن اعتزازنا بأصولنا وجذورنا الطيبة وتمسكنا على الدوام بعاداتنا وتقاليدنا الجميلة وعلاقتنا الحميمة وفطرتنا الدينية السليمة.

❊ ❊ ❊

ضحايا الانفصال

وعن تبعيات الطلاق ومساوئه حدّث ولا حرج، لكني هنا وباختصار سأتحدث عن ضحاياه من الأطفال الصغار وهم في العادة من يدفعون الثمن غاليًا ويسددون فاتورة أخطاء آبائهم وأمهاتهم دون ذنب جنوه أو إثم اقترفوه، إلا لكونهم أبناء لمثل هؤلاء المعدومة ضمائرهم من الآباء والأمهات.

هؤلاء الأطفال وبكل تأكيد سيعانون ولا محالة في ذلك، حيث سيصبح أغلبهم فريسة لبعض الأمراض النفسية والمجتمعية كالانعزال والانطواء، وقد يؤدي بهم الأمر وينتهي بهم المطاف إلى التوحد والانفصام، وبالتأكيد سيكونون أكثر عرضة دون غيرهم من الأطفال للأمراض العضوية بمختلف أنواعها وتوصيفاتها، ولمَ لا وهم لا يجدون من يعتني بهم أو يرعاهم سواء من هنا أو من هناك.

ونظرًا للتشتت الأسري وغياب الرعاية والعناية قد ينتهي الأمر بالعديد منهم كنزلاء في دور الملاحظة والرعاية والأحداث، لتكون النهاية المحتومة ألا وهى التشرد والضياع، وقد ينتهي بهم الحال كأطفال شوارع يضافون إلى الآلاف المؤلفة الموجودة والذين يعيش

أغلبهم بلا مأوى مفترشين الأرض تحت الكباري وأسفل الجسور وفي كل الخرابات.

وبالتأكيد سيكون مصير هؤلاء الضحايا هو الضياع لا محالة في ذلك، وسيعيشون طيلة أعمارهم كعورات أسرية مزمنة، وسيبقون ما عاشوا كديفوهات مجتمعية تتأفف منهم حتى أسرهم ومجتمعاتهم وتنبذهم كل الطوائف والفئات، مع أن المجتمع نفسه بمختلف تفصيلاته ومكوناته الأسرية هو المسئول الأول والأخير عن ضياعهم وتشريدهم، كونه السبب الرئيس في وجودهم والمنوط به توفير الحماية والأمان لهم، ومع ذلك لم يكن أبدًا أمينا عليهم بل قصر كثيرًا في رعايتهم والاعتناء بهم والحفاظ عليهم.

وإياك أن تحدثني أنه يمكن للأبوين المنفصلين خاصة إذا كانا من ميسوري الحال أنهما يستطيعان أن يعوضا أطفالهما ماديًا أو بمعنى أصح يدفعون لهم مقابل معاناتهم وما يواجهونه، وعليه ينام الأبوان ويغطان في سباتهما العميق مرتاحي البال والضمير غير مبالين بعد أن قاموا بتحصين أبنائهم أو هكذا يظنون ضد كل كوارث الحياة ومصائبها.

وتلك هي الأكذوبة الكبرى، فالأطفال كل ما يعنيهم هو المناخ الصحي المجتمعي الذي يعيشون فيه ويتعايشون معه والذي هو بالقطع نتاج التماسك الأسري القوي والجو العائلي الجاذب والمفعم بالحب والحنان المليء بالتعاطف والتراحم المزين ودائما أبدًا بألوان المحبة والود ناهيك عن السعادة والبهجة والحبور،

وتلك هي البيئة الأنسب والأكثر ملاءمة ومواءمة ليكون لدينا أطفال أصحاء بلا عيوب تشينهم أو ديفوهات تعيقهم.

وإني أرجع أسباب الطلاق إلى ماهو قبل الزواج وما هو بعده، فبالنسبة لما قبل الزواج فهو عادة التسرع والعجلة في إتمام الزيجة، أضف إلى ذلك الانخداع بالمظاهر والاهتمام بالشكليات بعيدًا عن المضمون والجوهر، كما كان في حالة نجمة وكما أسلفنا وأسهبنا كثيرًا في هذا الموضوع آنفا.

لذا لابد من التأني والسؤال والبحث والتحري رغم أن هناك أسباب قد تدفع البعض إلى التعجل في مثل تلك الأمور، ربما بسبب الخوف من الوصول إلى مرحلة العنوسة، والتي زادت حالاتها وارتفعت معدلاتها خاصة في الآونة الأخيرة، وأحيانا قد يكون بسبب الفقر وضيق ذات اليد، حيث ترحب الأسرة حينها بمن **يدفع ويشيل** كما يقولون دون أن يكلفهم أية نفقات، لكني أرى أنه من الأفضل أن يبقى الرجل وحيدًا أو المرأة عانسًا، أفضل لهم وبكثير جدًا من أن يحيوا ما بقي لهم من أعمارهم ولم يجنوا سوى ألقاب غير محببة في نظر الكثيرين ويتأفف منها حتى أقرب المقربين، حيث تلتصق بهم وتعيش معهم ما بقوا على قيد الحياة **كالمخلوع والمطلقة**.

ونعود لأسباب الطلاق بعد الزواج والتي في أغلبها عدم التوافق والتواؤم واختلاف الطباع وعدم ملاءمتها لبعضها البعض، وكذلك التباين في الرؤى ووجهات النظر، وقد يكون بسبب الفروقات

الاجتماعية بين الزوجين، ولا أقول الفروقات الثقافية؛ لأن المستوى الثقافي ومما لا شك فيه متساوٍ تمامًا ودائمًا أبدًا بين الزوجين وكذلك أي زوجين، خاصة في زمننا هذا، حيث إن الجميع وبلا فخر من المعدمين ثقافيًا، ولكم كنت أتمنى لو كانت تلك الثقافة أو ما تسمى كذلك موجودة أو حتى القليل منها، ربما عندها كانت قلت كثيرًا حالات الطلاق، بل من المؤكد أنها كانت ستقل!

وبالمناسبة الثقافة لا ترتبط بالتعليم ولا المؤهل العلمي، خاصة إذا ما كان مستوى التعليم في أسوأ حالاته كما هو الحال لدينا، بل الثقافة هي الوعي والإدراك والفكر والاستنارة، وهي اطلاع دائم وإلمام كامل وقراءة مستفيضة ومستمرة، كما أنها استنباط واستجلاء للأمور وتجليات في الرؤيا والرأي وهي أن يكون لديك الملكة كي تستشف وتستنتج، وهى أيضًا أن تعرف كيف تسمع الآخرين وتقنعهم بحجتك وتؤثر فيهم، وفي نفس الوقت يجب أن تعرف ماذا تسمع منهم وتقيم بوعي وإدراك كل ما قد سمعته.

ومن ضمن أسباب الطلاق بعد الزواج ما يتعلق بالظروف المعيشية والحياتية الصعبة، والتي قد يواجهها الزوجان بسبب ضيق ذات اليد خاصة في بداية مشوار الزواج، والتي مرجعها كثرة الديون التي أرهقوا أنفسهم وأرهقوهم بها والتي هي عادة استدانة من هنا ومن هناك، وللأسف قد يكون تم صرفها وفي الأغلب الأعم على مظاهر كاذبة وشكليات لا تسمن ولا تغني من جوع، والتي هي وبكل تأكيد يحين مواعيد سدادها بعد الزواج، وعادة ما تكون في السنة

الأولى، لذا تبقى تلك السنة هي السنة الأعلى في معدلات الانفصال، وبالتأكيد في النسبة المئوية لحالات الطلاق.

وقد يكون الطلاق بعد الزواج نتيجة التدخلات المستمرة من الأسرتين سواءً من هنا أو من هناك، وبالرغم من أن ذلك التدخل هو عادة سيئة للغاية وتعود أسري غير مرغوب فيه، إلا أن بعض الأسر قد اعتادته وكأنه حق مكتسب، بل أضحى لدى العديد منهم عرفًا ونظاما يجب العمل به بالرغم من علمهم المسبق وتجاربهم الحياتية وخبراتهم المتراكمة بأن تلك التدخلات الأسرية دائمًا عواقبها وخيمة، وعادة نهاياتها مؤلمة موجعة، ونادرًا ما تأتي بفائدة ترجى أو تعود بمنفعة، وأنا وبصفتي الشخصية ومن البداية ضد هذا المنحى تمامًا ولا أحبذ مطلقا أية تدخلات من الآباء والأمهات وكذلك الأهل والأقارب، حتى لو كانت تدخلاتهم تلك من أجل الإرشاد وإسداء النصيحة.

بل إني أدعو الزوجين أي زوجين أن يعملا سويًا ويتعاونا معًا وأن يحافظا على سرية علاقتهما، وأن يحترم كل منهما الآخر وأن لا يعطيا الفرصة لتدخلات من هنا أو هناك حتى لو كانت تلك التدخلات من أقرب الناس للطرفين، وذلك من أجل أن تستمر الحياة بينهما دون منغصات ومشاكل، ولابد أن يدركا أنهما الاثنين في مركب واحد له نفس المسار ونفس الاتجاه، والغاية واحدة وهى الوصول إلى بر الأمان بأسرتهما الصغيرة، وعليه وجب العمل الجاد والسعي معًا من أجل ألا يعطيا الفرصة لموجات البحر العاتية والتي

قد تباغتهما من هنا أو هناك لتتلاعب بهما وتقذف بمركبهما بعيدًا عن مساره تمهيدًا لإغراقه في دوامات اللارجعة، كما لابد لأي زوجين أن يؤمنا بأن الحياة الزوجية ما هي إلا مشاركة وشركة مساهمة، **لابد فيها من ال"خد والهات" والتفويت لا التطنيش في بعض الأحيان والتغاضي لا التناسي في أحيان أخرى** على ألا نجعل التفويت والتغاضي يأخذنا بعيدًا إلى مناطق التساهل اللا محدود أو يجرنا إلى لامبالاة غير مبررة نحيا فيها كما المغيبين وفاقدي الوعي.

وبمناسبة كلامي عن الشركة التساهمية الزوجية أود أن أقول وبكل صدق وشفافية كم أعجبني المثل القائل: **حبيبك يمضغ لك الزلط** بكل ما فيه من سمو في المعنى وحب ومحبة وتسامح ورقي رغم كميات **الزلط** الموجودة فيه، كما لابد أن يكون في حسباننا أن الزواج ما هو إلا مودة ورحمة وسكنى واطمئنان وهو حتما الرباط المقدس دعائمه الحب والعطاء والتسامح والمحبة.

كما أنه يجب على الأهل أن يكفوا عن التدخل في حياة الابن أو الابنة الزوج أو الزوجة، وأن يدركوا أيضًا أنه يجب أن نتعاون جميعًا ونتكافل من أجل إنجاح وتكوين أسرة جديدة فتية وقوية إذا ما أردنا لتلك الأسرة أن تكون النواة واللبنة الأولى والأساسية في بناء مجتمع صحي قوي ومعافى.

وقبل أن نعود مرة أخرى إلى روايتنا وقبل أن نتوه وتتوه منا أحداثها أرجو أن تعذروني وتغفروا لي خروجي المتكرر بعيدًا عن

السياق وتسلسل الأحداث، فما كان خروجي وتكراره إلا من أجل غاية أنشدها وهدف أحرص على الوصول إليه، ألا وهو إيصال الفكرة ومضمونها إلى كل أحبائي وأعزائي من القراء، وإذا ما نجحت في ذلك عندها سأكون قد حققت كل أمانيّ والتي من أجلها قد سطرت كتابي

❊ ❊ ❊

أخيرًا عام

وها نحن في مباحث الآداب حيث سيكون التحقيق مع اثنتين من المتهمات، واللتان قد أتي بهما للتو مقبوضًا عليهما وكانتا حصاد رحلة قصيرة لم تستغرق من الوقت أكثر من ربع ساعة، ربما لأن المسافة بين المكتب والأوكار التي تم اصطيادهما منها أو بمعنى أدق تم القبض عليهما منها لا تتعدى الخمسمائة متر تقريبًا، مما يعطينا انطباعا بتزايد أعداد البؤر والأوكار التي تمارس فيها الدعارة والتي للأسف قد تفشت كثيرًا دون حمرة من الخجل أو الحياء، حتى أضحت بعضها بجوار إدارات المباحث والأقسام، وهى الأماكن المنوط بها القبض عليهم وضبطهم، كما هو الحال مع المتهمتين المقبوض عليهما اليوم.

حيث تذكرنا عملية القبض على متهمتين من خلف مبنى مباحث الآداب بما كان عليه الحال في الماضي غير البعيد مع **رية وسكينة** حيث كان منزلهما الذي تسكنانه خلف قسم اللبان بالإسكندرية ومنذ ما يقرب من قرن من الزمان، واللتان مارستا جرائمهما بالاشتراك مع آخرين وجعلتا من منزلهما مسرحًا لجرائمهم حتى أضحى مقبرة جماعية لعدد غير قليل من الأبرياء، واللاتي تم قتلهن بدم بارد بغرض سرقتهن والاستيلاء على مصاغهن بلا وازع من دين

أو ضمير، ومع العلم بأن تلك الجرائم التي اقترفوها مرارًا كانت في بدايتها دعارة غير مستترة، ومع مرور الوقت غيروا من نشاطهم فتبدلت أنشطتهم، وعليه طوروا من جرائمهم فزادوا عليها وأبدعوا فيها، فكان نتاج إبداعاتهم السرقة والقتل حتى أضحت في النهاية قتلاً لمجرد القتل تلذذًا واستمتاعا بإزهاق أرواح ضحاياهم شأنهم في ذلك كما هو حال كل من هو سادي مصاص للدماء.

وللأسف إنه في العقد الأخير قد تزايدت أوكار الدعارة وتزايدت أعداد مرتاديها وزبائنها وأصبحت في عرف البعض تجارة رابحة تدر أموالا وأرباحًا طائلة، وعليه كثرت أعداد الداعرات والداعرين وتنامى نفوذ القوادين والمنتفعين وتمكنوا من إحكام قبضتهم على المشتغلين والعاملين معهم وكل من يمتهن تلك المهنة سيئة السمعة، وعليه تنوعت مجالاتهم وزاد نشاطهم وتمكنوا بوسائل شتى من استقطاب العديد من الوجوه الجديدة، ومن ثم إخضاعهم وتوظيفهم كل حسب مؤهلاته وإمكاناته، وبالطبع ما أقصده بالمؤهلات ليست المؤهلات بمفهومها الضيق والذي ترسخ في ذاكرتنا ومن عقود عدة ولت ومضت وأصبح معروفًا ومعلومًا للجميع تلك المؤهلات الدراسية التي هي بالطبع أصبحت في أيامنا تلك لا قيمة لها ولا جدوى منها ولا طائل، وأظن أننا جميعًا قد رأينا وبأم أعيننا جحافل من العاطلين ومن حملة الماجستير والدكتوراه في تجمعاتهم ومطالبتهم المتكررة والتي يستجدون فيها وظيفة ويتوسلون من أجل فرصة عمل، وكذلك الإمكانات لم تعد كما

كانت وكما كنا نظنها ألا وهي القدرة على الخلق والابتكار والبحث عن الجديد ومسايرة ومواكبة كل المستجدات والتعامل مع المواقف مهما كانت صعوبتها ناهيك عن القدرة على إدارة وتصريف الأزمات.
وأظنك الآن قد استبان لك واتضح ما أعنيه بإمكانات ومؤهلات في عالم الدعارة وأوكار الرذيلة والبغاء، وبالطبع لم تكن أبدًا كما تلك المؤهلات الدراسية والإمكانات العلمية التي سطرتها عاليه، وإنما هي وببساطة إمكانات ومؤهلات الشيء لزوم الشيء، **كالقوام والهندام والتضاريس والسيقان** واسمحوا لي واعذروني فأنا لا أستطيع أن أوضح أكثر من ذلك، وأظنكم الآن قد فهمتم ما أعنيه وأقصده.

وبالطبع لكل مؤهل أجره الذي يناسب قوامه وهندامه، وكل إمكانية لها نسبتها وتسعيرتها وما تستحقه وفقًا لتضاريسها وهضابها، وعليه أصبح هؤلاء القوادون والقوادات مافيا يتربحون مبالغ طائلة تتناسب والمعروض من بضاعتهم من التضاريس والقوام، كما هو الحال فيمن يتربحون من تجارة الأعضاء، وربما أضحى القوادون أكثر جرمًا، لكن يبقى أن هؤلاء وأولئك جميعهم قد تخلوا تمامًا عن آدميتهم وإنسانيتهم وألقوا بها جانبًا في سبيل جمع أموالهم العفنة والتي تفوح رائحتها النتنة في كل مكان، ولن تفلح أبدًا محاولات غسلها حتى لو تم مرارًا وتكرارًا وبكل ماء الدنيا.
وللأسف أصبحت تجارة اللحم الرخيص تجارة رائجة رابحة وانتشرت هنا وهناك رغم ارتفاع كلفتها خاصة في السنوات الأخيرة،

بعد أن ظلت أسعارها لسنوات طويلة ثابتة لا تتحرك، وعليه يعزو الخبراء والمحللون ارتفاع أسعارها لارتفاع قيمة الدولار؛ لارتباط تلك التجارة الوثيق بالعملة الخضراء، حيث يفضل القائمون على تلك الأوكار التعامل بالورقة المدللة دون غيرها من العملات، ولا مانع أبدًا إن كان الدفع بالإسترليني والدرهم والريال أو حتى الليرة والين والدينار، لكن من المؤكد أنه لا تعامل مطلقًا وبأي حال من الأحوال بالجنيه!

مما يجعل الجنيه أكثر حظًا دونًا عن غيره من العملات الأخرى، حتى وإن علت قيمتها وارتفعت قامتها كثيرًا، وذلك بسبب عدم تورطه في تلك التجارة العفنة الدنيئة حتى وإن كان ذلك رغمًا عنه ولأسباب خارجة عن إرادته لا يد للمسكين فيها، بل إنه وفي قرارة نفسه كم تمنى أن يشارك حتى ولو ليلة واحدة حمراء يمتع فيها ناظريه كما كل العملات! نعم المسكين وجد نفسه ما بين عشية وضحاها بطلا حتى وإن كان من ورق، وهو كذلك فعلا، لكن سيخلد التاريخ له موقفه العظيم حتى وإن كان رغمًا عنه كما أسلفنا ذلك اليوم المشهود الذي غاصت فيه وغرقت كل العملات في بحر الرذيلة والبغاء إلا **عمنا الجنيه فقد عام**!! ونأى بنفسه بعيدًا، لذا كم هو محظوظ هذا الخلبوص، فلقد عاش طاهرًا عفيفا شريفا حتى وإن قلت كثيرًا وتدنت قيمته مقارنة بأقرانه من العملات الأخرى والتي عاشت معه زمنا طويلا وعاش معها في ذات السلة وكان هو سيدها لعقود وسنوات، لكن سبحان الله مرت

الأيام وتغيرت الأحوال فهجرته تلك العملات ولم تصن العيش والملح ولم تراع العشرة وتخلت عنه وتركته وحيدًا في سلته يعاني الأم الفراق ومرارة الوحدة، ترى ماذا سيفعل المسكين في المستقبل القريب؟ وهل سيصبح حقا ابن شوارع إذا ما فقد مأواه وملاذه ولفظته حتى سلته وبعد أن تخلت عنه كل العملات وهجرته؟

ونعود إلى تجارة اللحم الرخيص، والتي أصبحت تدار وفق تقنيات حديثة يتعامل بها القائمون على تلك التجارة، ويتم التحديث أولا بأول ويكون التحكم فيها وإدارتها من خلال غرف عمليات مجهزة ومزودة بأجهزة الاتصالات الحديثة، كما يتم استغلال صفحات الإنترنت وكل وسائل الاتصال الإليكترونية والتي جعلت منها تجارة جاذبة لجنسيات أخرى أجنبية وفي أغلبها من أوربا الشرقية.

وعليه تم إفراز أنواع جديدة من الدعارة لم تكن معروفة إلى عهد قريب، ومنها دعارة **السفاري أو الترانزيت**، وهي عادة خاصة بالأجنبيات حيث يأتين لفترات محددة المدة وهي في العادة تتراوح ما بين شهر أو شهرين على الأكثر، ثم يغادرن إلى دولة أخرى يمارسن فيها نفس الدور وهكذا دواليك، وفي العادة يبقى لكل واحدة منهن صفحتها الخاصة والتي منها ومن خلالها يتم الاتفاق والتوافق على المقابل المادي ونوع العملة المدفوعة والمدة بالإضافة للمكان، وعادة ما يكون لهن وكلاء أعمال ومنسقون بالإضافة للسماسرة ورجال التأمين والبودي جاردات.

وهناك نوع آخر من الدعارة يعرف بدعارة **الديليفري**، وهي خدمة التوصيل للمنازل، وتتم من خلال مكاتب مجهولة المكان لها منسقوها السريون أو بمعنى أدق قوادوها المتخفون.

بالإضافة إلى دعارة الجنس **الجماعي**، والتي تتم عادة في الفنادق والمنتجعات، والتي كثيرًا ما تتخللها الحفلات الماجنة والديسكوهات.

هذا وإن كانت الدعارة بكل أنوعها وفي مجملها مقززة فإن هناك منها ما هو مقزز أكثر ويثير مشاعر الاشمئزاز والقرف مثل دعارة الجنس الواحد، وكذلك ما يعرف بتبادل الزوجات والتي للأسف نجدها منشورة على صفحات الجرائد والمجلات بين الحين والآخر.

ناهيك عن الأنواع المتدنية والمعروفة بالدعارة البهيمية، والتي عادة ما تتم في الأماكن المفتوحة وفي الهواء الطلق، وبالطبع ليس هذا بسبب أن ممارسيها لديهم فوبيا الأماكن المغلقة، فهم لا يعرفون حتى ما تعنيه كلمة فوبيا وربما أيضًا كلمة المغلقة، وإنما تدفعهم غريزتهم البهيمية إلى ممارستها دون خجل أو حياء أو حتى تفكير في اتخاذ أية تدابير احترازية تستر فعلتهم وتغطي عوراتهم بالضبط كما الحيوانات، وإن كانت بعض الحيوانات أكثر منهم خجلا وحياء، وعادة ما يكون مسرح عملياتهم ومكان ممارساتهم أسفل الكباري وفي الأماكن المهجورة والخرابات وأحيانا على الأرصفة وفوق أسطح العمارات والعمارات تحت الإنشاء وفي العشش والحقول وفي دهاليز وخبايا العشوائيات، وعادة في هذا النوع من الدعارة لا يتم التعامل إلا بالجنيه وربما أنصاف الجنيه

وأحيانا بالمقايضة، وقد تكون الممارسة تطوعية من البداية للنهاية وبلا أي مقابل، فقط من أجل إشباع رغباتهم ونزواتهم الحيوانية.
وبالقطع هناك أسباب عديدة أدت إلى رواج مثل تلك التجارة سيئة السمعة والتي تتنافى مع كل الأعراف والتقاليد كذا كل القيم والأخلاقيات، كما أنها تهدر كرامة المرأة والرجل معًا وتحط من القدر وتجعل كل من يعمل بها سلعة رخيصة يلفها المهانة والإذلال وهذا ما لا نرضاه لا للرجل ولا للمرأة، وإن كانت المهانة والمذلة للمرأة أكثر، تلك المرأة التي هي رمانة الميزان والعمود الفقري للمجتمع؛ فهي الأم والأخت والزوجة وأحيانا الأب لكثير من الأسر، ومن منا ينسي دور الأم المعيلة والمسئولة مسئولية كاملة عن مئات الآلاف من الأسر، ولا أبالغ إن قلت الملايين من الأسر، تلك الأسر التي فقدت عائلها إما بالوفاة لا قدر الله وإما في حال الإصابة بالعجز الجزئي أو الكلي للرجل العائل، والذي يفقده القدرة على العمل ومن ثم الوفاء بمتطلبات الأسرة واحتياجاتها الضرورية.
كما أن تلك التجارة والعاملين بها والقائمين عليها لا يرضاها الرب ولا العبد، حيث تحرمها كل الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، ولها عقابها المعروف وجزاؤها في الدنيا والآخرة.
ويبقى للدعارة أسبابها ومسبباتها، ومن ضمن تلك الأسباب قد يكون تأخر سن الزواج بسبب المغالاة في المهور والتكاليف الباهظة وارتفاع كلفة الزواج ناهيك عن الفقر وضيق ذات اليد، والظروف المعيشية والحياتية وربما ارتفاع أعداد المطلقات وتزايد معدلات

العنوسة بين الفتيات، ناهيك عن الانحلال الأسري والانفصال، وكذلك لا نغفل الإباحية التي استشرت وانتشرت ودخلت البيوت دون إرادة أهلها عن طريق الأفلام المتاحة في كل وسائل الاتصال وبأنواعها المختلفة حتى على صفحات الويب والإنترنت، وقد تكون الدعارة عند البعض مجرد إشباع لرغباتهم وعند أشباه الرجال وسيلة لإثبات فحولتهم ورجولتهم، وعند آخرين اكتساب خبرة وتجربة وسابقة أعمال في مجال المتعة الحرام، وقد يكون من ضمن الأسباب أطفال الشوارع من خلال بؤرهم المتناثرة في كل المستويات الدنيا من العشوائيات وأسفل الكباري وفي المحطات المهجورة وعربات السكك الحديدية المكهنة وغيرها، نعم أطفال الشوارع تلك الآفة التي ابتلينا بها والتي دائما أبدًا ما تكون عاملاً مشتركًا في كل ما في مجتمعنا من مشكلات وموبقات، لكن يبقى السبب الرئيسي لازدهار تجارة الرقيق الأبيض واللحم الرخيص ألا وهو الطمع والجشع والشراهة والنهم في جمع المال.

مع العلم أنه لا يوجد مطلقا أية مبررات أو أعذار تبرر الولوج والسقوط في ذلك المستنقع القذر المسمى بالدعارة أو تجارة اللحم الرخيص ومهما كانت الأسباب أو الظروف.

وهنا يجب أن لا ننسى أن هناك آثارًا ومشاكل نفسية وصحية واجتماعية وخيمة من المؤكد أنها تترتب على تلك العلاقات المشبوهة، فمن الأضرار النفسية أن من يمتهن تلك المهنة يحس

دومًا ودائمًا بالحقارة والدونية وذلك أمام نفسه أولا قبل أن يكون أمام الآخرين.

ومن الآثار الاجتماعية المترتبة والناجمة عن الشخص المنغمس في بحور الرذيلة أنه ومهما ازدادت أمواله وتضخمت ثرواته فإنه يعيش عمره كله وضيعًا منبوذًا من كل أفراد المجتمع وجميع المحيطين به.

ناهيك عن الأضرار الصحية والتي من المؤكد أنها تنتقل لا محالة ما بين العاملين والمشتغلين بتلك المهنة المهينة والتي لا يجيزها شرع أو قانون، والتي من بينها لا كلها انتقال أخطر الأمراض كالإيدز والالتهاب الكبدي بي، بالإضافة إلى الزهري والسيلان والأمراض الجلدية الخطيرة وغيرها من الأمراض.

وبعد التنويه وباختصار عن تلك الآثار والأضرار المترتبة والناجمة من ممارسة الدعارة لا تندهش أبدًا إن وجدت أن الغالبية العظمى من العاملين بتلك التجارة الرخيصة يحيون منعزلين ما بقي من أعمارهم وهم دومًا ودائما مكتئبون، لذا ليس مستغربًا أن تجد أن أغلبهم يموتون منتحرين غير مأسوف عليهم.

❊ ❊ ❊

آداب ونقاب

ونعود وقبل أن ننسى للمتهمتين حيث كانتا بحجز الإدارة وهو ليس حجزًا بالمعني المعروف، ولكنه عبارة عن حجرة ملحقة بالمكاتب حيث يتم حجز أية متهمات بها تمهيدًا لعمل محاضر لهن ومن ثم عرضهن على النيابة، وعادة ما يكون الحجز لفترة قصيرة، حيث سرعان ما يتم عرضهن على النيابة للبت في أمرهن، وفي الحجز أو مايسمى بالحجز كانت إحدى المتهمات غير مبالية لا تهتم ولا تعير أية أحداث حولها أية أهمية، فهي تمضغ اللبان وتدخن السجائر المارلبورو غير مبالية أو مكترثة بالأمور، ويبدو أنها متمرسة في مجال عملها لها خبرة واسعة في مجال الآداب، ومن المؤكد أن لها سابقة أعمال وإن شئت قل سوابق أعمال في كل الأعمال خاصة المنافية منها للآداب.

وعلى النقيض تمامًا من المتهمة الأولى كانت المتهمة الثانية والتي جلست تبكي منتحبة تنعي حظها العاثر الذي جاء بها إلى هذا المكان، والشيء الغريب واللافت للنظر أنها كانت منتقبة مما دفع المتهمة الأولى للسخرية منها والتهكم عليها، حيث بادرتها المتهمة الأولى قائلة: الأمورة بتبكي ليه كدا ومتشحتفة بالقوي؟

وواصلت قائلة: وفري دموعوك يا حلوة لسة قدامك المشوار طويل تبكي وتولولي براحتك يا عسل.

ثم تواصل قائلة: بس يا حلوة أنا بقالي في الحكاية دي سنين من أول وأنا عندي يجي أربعتاشر خمستاشر سنة، لحد أهو زي مانتي شايفة قربت اعتزل، عمري ما شفت واحدة لابسة لبسك ده يعني أول مرة أشوف زميلة منقبة.

وتواصل قائلة: تتصوري إن فكرة النقاب دي فكرة فل الفل، أنا اتمنى إنها تتعمم على كل الزميلات.

وتواصل قائلة: على الأقل لما يجي الزبون من دول ميقعدش ينقي وفي الآخر يختارله بنت صغيرة ويحرج الجماعة اللي زي حالاتنا اللي أشرفوا ع الاعتزال.

وتواصل قائلة: أيوا دي حقيقة اللي زي حالاتنا مبيجلهاش غير الزبون الواقع والمفلس واللي يمكن كمان ميدفعش وإن دفع بيدفع بالجنيه، يعني زباين ملهاش لازمة وعملة ملهاش ميت لازمة.

وتواصل قائلة: لكن لما يبقى كله متغطي ساعتها الواحد من دول هياخد أي واحدة يعني زي البطيخة وهو وحظه، يا تطلع حمرا يا تطلع زي حالاتنا، وقبل ما تنكشف اللي زي حالاتنا ساعتها يكون دفع واتدبس!

ثم تواصل المتهمة الأولى موجهة كلامها للمنقبة قائلة: هوا انتي مالك يا اختي؟ واكلة سد الحنك ولا حاجة؟

وتواصل قائلة: بقالي ساعة عمالة اتكلم وأهاتي معاكي وأجيبلك من هنا ومن هنا عشان أخرجك من مودك واللي انتي فيه وانتي لا بتردي لا من فوق ولا من تحت وعمالة تعيطي وخلاص.

وتواصل قائلة: بصي يا بنت الناس انتي يا واكلة سد الحنك بصحيح يا إما بقى الحاجة اللي في دماغي.

وتواصل قائلة: إوعي يا متنيلة تكون الحاجة اللي ف دماغي وتطلعي دكر؟ قصدي راجل ومتخفي؟

وتواصل قائلة: صارحيني يا نغة انتي إيه بالظبط ومتخافيش سرك ف بير يعني لو طلعتي ولية مفيش مشكلة أهو كلنا ولايا وهنقعد ونتنيل نرغي مع بعض.

وتواصل قائلة: ولو طلعتي راجل يبقى أحلى كلام، على الأقل نضيع وقت الشوية اللي احنا قاعدينهم في الحجز ونمارس عملنا.

وتواصل قائلة: دا حتى الإيد البطالة نجسة وأنا بقالي يجي نص ساعة من غير شغل من ساعة ما قفشوني مع المغدور.

وتواصل كأنها تذكرت شيئًا قائلة: مغدور إيه جاته ستين نيلة دا كان بيحكيلي حكايات، دا أنا على كدا يبقى ماشتغلتش من امبارح.

لترد المنقبة قائلة: حرام عليكي تكلميني بالطريقة دي، وبعدين أنا مبحبش الكلام ده أرجوكي بلاش تكلميني بالطريقة دي.

وتواصل قائلة: وبعدين إيه حكاية راجل دي اللي بتقولي عليها؟ أنا زيي زيك أنا واحدة ست وحظي وبختي هما اللي جابوني هنا عشان يحصلي كدا.

لترد المتهمة الأولى قائلة: الحمد لله إن انتي نطقتي بركة يا اختي إن عقدة لسانك اتفكت.

وتواصل قائلة: بصي يا نغة، انتي بتقولي إنك واحدة ست وزيي زيك يعني انتي عرفتي إن أنا ست عشان مش متغطية لكن أنا أعرف منين إن انتي واحدة ست وزيي زيك وجنابك متغمية من فوق لتحت واسود ف اسود؟

وتواصل قائلة: بصي يا حلوة سيبك من الكلام اللي لا بيجيب ولا بيودي انتي لازم توريني وشك عشان أتأكد إن انتي مش دكر، ولازم تعرفي يا حلوة إن نوسة لما تقول لازم يبقى لازم.

وتواصل قائلة: على فكرة يا أخ ولا يا أخت الأيام دي الصوت مبيفرقش والحكايات دخلت ف بعضها وبقى فيه جنس بيقولوا عليه تالت ولا رابع.

وتواصل قائلة: والتالت ده أنا مش عارفة هوه إيه بالظبط، لكن اللي باعرفه إني نفسي ربنا ياخده ويشيله م الدنيا بحالها، وحياتك أول مرة أعرف بيه السنين السودة اللي احنا فيها دي واللي يعيش ياما يشوف.

وتواصل قائلة: وبعدين يا أمورة إن كنتي خايفة حد يشوفك أطمنك مفيش حد غريب معانا يعني تعري براحتك انتي خايفة من إيه؟

وبالفعل رفعت المنقبة نقابها كي تراها المتهمة الأخرى، وعندها كانت المفاجأة، حيث اكتشفت المتهمة أن المنقبة لم تكن فقط امرأة، بل هي امرأة من أجمل ما رأته من النساء.

وعندها تقول المتهمة: أنا آسفة يا اختي باين عليا ظلمتك ياريت تسامحيني.

وتواصل قائلة: على فكرة أنا دلوقتي عرفت ليه انتي متنقبة سامحيني يا اختي تاني وتالت على سوء ظني بيكي.

لترد عليها المنقبة قائلة: يا ستي والله مسامحاكي وربنا يسامحنا جميعا ويهدينا.

لترد المتهمة الأولى قائلة: صحيح زي ما بيقولوا النقاب ده ياما مداري تحتيه يا جدعان.

وتواصل قائلة: على فكرة أنا بعد ما شفت وشك الجميل والبريء ده بقى نفسي أعرف إيه حكايتك بالظبط؟

وعليه ترد المتهمة المنقبة قائلة: والله بريئة والله عمري الحمد لله ما عملت حاجة تغضب ربنا، وحظي هوا اللي رماني الرمية دي وهعمل إيه مكتوب!

وتواصل قائلة: والله بريئة ويعلم ربنا وهو سبحانه اللي شاهد على براءتي وعارف كل حكايتي.

لتقاطعها المتهمة الأولى قائلة: سيبك يا حبيبتي من الكلام ده، كلنا في الأول بنقول كدا.

وتواصل قائلة: صحيح انتي وشك ولا الملايكة طاهر وبريء لكن برضه أنا عايزاكي تصارحيني بالحقيقة.

لترد المتهمة المنقبة قائلة: اقسم لك بالله إني بريئة واللي كان معايا جوزي على سنة الله ورسوله!

لتقاطعها المتهمة الأولى قائلة: ولما كنتي انتي وجوزك مقلتيش لهم ليه الكلام ده؟ وبعدين هوا فين جوزك وماقالهمش ليه دي مراتي؟

لترد المتهمة المنقبة قائلة: انتي عارفة حضرتك لما دخلوا علينا وكسروا الباب جوزي افتكرهم عصابة جاية تقتله، وعليه قالي ياله بسرعة نطي معايا من الشباك وحاول معايا بالعافية إني أهرب معاه لكن أنا رفضت.

وتواصل قائلة: ولما كان القرار لازم يتاخد في جزء من الثانية وماكانش فيه وقت وعشان كدا نط هوا وفضلت أنا وبنفس لبسي ده.

وتواصل قائلة: وبعدين اتضح إنهم بوليس آداب مش عصابة، مع إن الطريقة اللي اقتحموا الشقة بيها وجرجروني بعدها لحد هنا بتخليهم ميفرقوش كتير عن العصابات، دا إن ماكانوش أكتر منهم همجية.

لترد المتهمة الأولى قائلة: لا دا انتي حكايتك غريبة قوي، وباين عليكي من كلامك إنك فعلا مظلومة.

وتواصل قائلة: أنا مش عارفة الرجالة جرالهم إيه اليومين دول، بقوا مايعرفوش ينطوا خالص غير من الشبابيك وبس!

وتواصل قائلة: مهو اللي معايا برضو عمل كده بعد ما قعد معايا ع السرير يجي ساعة يحكيلي ف حداويت، وفي الآخر لما البوليي جه وهجم ع الشقة ربنا كرمه ونط بس م الشباك برضه!

لترد المتهمة المنقبة قائلة: والله العظيم مظلومة وإن كان مش دا الأهم دلوقتي.

وتواصل قائلة: المهم دلوقتي سمعتي اللي هتبقى على كل لسان وأهلي وعيالي.

وتواصل قائلة: ياريتهم كانوا عصابة فعلا وقتلوني أحسن من اللي أنا فيه دلوقتي.

وتواصل قائلة: أيوا ياريتني مت ولا كنت شفت اليوم ده!

لترد المتهمة الأولى قائلة: اهدي يا حبيبتي ومتعمليش ف نفسك كدا وكل عقدة وليها حلال.

وتواصل قائلة: طب انتي مفيش فيه حد من أهلك ممكن يجي ويجيب جوزك معاه ويخلصوا موضوعك ده؟ ولو الحكاية فعلا زي اللي انتي بتقوليه يبقى بسيطة وسهلة وحلها بسيط.

لتقاطع المنقبة قائلة: ماهو ده اللي مخوفني أكتر.

وتواصل المنقبة قائلة: أكيد لو أهلي عرفوا هيخلصوني وف ساعتها، بس هتبقى فضيحة كبيرة والصحف ما هتصدق والتليفزيون، وأهلي مناصبهم حساسة والصحفيين انتي عارفاهم هيقولوا خرجوها عشان أهلها مش عشان إن أنا بريئة، وهتعيشي عمرك بفضيحة انتي ماعملتهاش وبريئة منها تمامًا وليوم الدين!

لترد المتهمة الأولى قائلة: والله كلامك مظبوط يا بنت الناس وكل كلمة قلتيها أنا حاسة بيها وكأني أنا.

وتواصل قائلة: انتي عارفة أنا أول مرة اتمسكت بالصدفة وأنا رايحة أزور واحدة صحبتي وكنت مظلومة أقسم بالله وماعملتش أي ذنب، ورغم إن النيابة برئتني على طول وفي ساعتها أخلوا سبيلي.

وتواصل قائلة: لكن ياريتني ما خرجت، مفيش حد صدق إني بريئة أبدًا أحلف وأقسم ولا حياة لمن تنادي، وأصبحت منبوذة حتى من أقرب الناس، والله أقرب الناس ليا اتبروا مني.

وتواصل قائلة: تتصوري يا اختي انتي بريئة وعمرك ما عملتي حاجة غلط، وبعدين أهلك يتبروا منك وناس تغمز وتشاور عليكي وكتير بيبقوا عايزين يفترسوكي بعنيهم، وتسمعي كلام قذر من هنا وهناك يوصل لدرجة التحرش!

وتواصل قائلة: صحيح أنا أمي وأبويا كانوا متوفين وماكانش ليا أهل غير أختي وجوزها وخالي، لكن ما صدقوا إن اللي حصل حصل واتخلوا عني رغم إنهم عارفين ومتأكدين إن أنا بريئة تمامًا لكن هتقولي إيه؟

وتواصل المتهمة الأولى قائلة: ولما لقيت مافيش فايدة وقتلتني نظرات الناس وهمساتهم واتهاماتهم ليا بالباطل لعب بيا شيطاني وفكرت أنتحر أكتر من مرة لكن فشلت، وكان آخر مرة نطيت من على كوبري قصر النيل وكنت خلاص لكن ولسوء حظي أنقذوني.

وتواصل قائلة: وبرضه الشيطان ماسكتش وواصل دوره معايا وبهمة ونشاط، ووسوس لي وقالي شوفي انتي بريئة والناس كلها بتتهمك، يبقى خلاص خليكي مش بريئة ومش هتفرق حاجة.

وتواصل قائلة: ومن يومها ابتديت ورجلي جات وشوية شوية غوصت في بحر الهم والقرف والزبالة اللي أنا فيها ولحد دلوقتي!

وتواصل قائلة: عشان كدا انتي فعلا صعبانة عليا ونفسي محدش يلوث سمعتك وانتي بريئة وطاهرة.

وتواصل قائلة: وفعلا محدش هيقدر يلوث سمعتك خالص وهتخرجي من هنا زي الشعرة م العجين ومن غير حد ما يعرف عنك حتى اسمك أو انتي مين.

لتقاطع المنقبة قائلة: يا ريت يا اختي ربنا يخليكي يا رب.

لترد المتهمة الأولى قائلة: أنا هاقولك على فكرة كويسة جات في دماغي دلوقتي ممكن تخرجك من الموضوع ده خالص بس قبليها هسألك سؤالين.

لترد المنقبة متلهفة قائلة: اسألي حضرتك براحتك اللي انتي عايزاه.

وتواصل قائلة: يا ريت يا اختي تساعديني ربنا يخليكي وأنا عمري ما هنسالك الجميل ده وربنا يقدرني وأردهولك.

لترد المتهمة الأولى قائلة: ترديلي جميل إيه يا بنت الناس أنا خلاص وصلت لدرجة مينفعش معاها أي حاجة! سيبك من الموضوع ده واسمعي سؤالي الأول.

حيث توجه المتهمة الأولى سؤالها الأول للمنقبة قائلة: انتي فيه حد شاف وشك من الجماعة اللي قبضوا عليكي؟

لترد المنقبة قائلة: لا ولا حد منهم خالص شافني ومن وقت ما قبضوا عليا ولحد دلوقتي محدش شافني غير حضرتك.

وتواصل قائلة: حتى المخبرين وأنا في العربية حاولوا يغلسوا ويتراذلوا عليا لكن نهرتهم ومنعتهم يقربوا مني.

لترد المتهمة الأولى قائلة: يبقى السؤال التاني: انتي معاكي أي حاجة تثبت شخصيتك؟

لترد المتهمة المنقبة قائلة: أيوا معايا بطاقتي ومعايا كارنيه العضوية بتاع نادي الجزيرة.

لترد المتهمة الأولى باندهاش قائلة: نادي الجزيرة مرة واحدة؟

وتواصل قائلة: جاتنا نيلة في حظنا الهباب!

وتواصل قائلة: بصي يا حبيبتي، البطاقة والكارنيه دول كأنهم مش معاكي خالص واخفيهم تمامًا، ولو حد قالك فين إثبات الشخصية قوليله مامعاييش أي حاجة، ولو سألك اسمك تقوليله أي اسم غير اسمك الحقيقي.

لترد المتهمة المنقبة قائلة: خلاص حاضر أنا هنكر خالص إن معايا أي حاجة تثبت شخصيتي ومهما عملوا معايا!

وتواصل قائلة: بس تفتكري ده هيجيب نتيجة حضرتك مع الناس دي؟

لترد المتهمة الأولى قائلة: أكيد إن شاء الله هيجيب نتيجة بس لما أقول لك تعملي إيه بالظبط.

وعندها تميل على المنقبة قائلة: طرطقيلي ودانك كويس واسمعيني عشان هقولك كلمتين مهمين تحفظيهم وتنفذيهم زي ما قلتهم لك.

وتواصل قائلة: بصي يا حبيبتي انتي هتعملي.....

لتقول المنقبة بعد ما سمعته من الأخرى وتكرر قائلة: تفتكري الموضوع ده هيجيب نتيجة وأخرج من عندهم من غير ما حد يحس بيا؟

لترد المتهمة الأولى قائلة: سيبيها على ربنا يا اختي وقولي يارب؟

وعندها تنظر إليها المنقبة نظرة طويلة وكأنها تتأملها لأول مرة!

فتقاطع المتهمة الأولى قائلة: أنا عارفة انتي مستغربة إن واحدة زيي بتقول سيبيها على ربنا وقولي يارب!

لترد المتهمة المنقبة قائلة: أبدًا مش قصدي حضرتك بس يمكن لما شفت وشك وانتي بتقوليها حسيت إن انتي بقيتي واحدة تانية خالص غير اللي كانت من دقايق.

وتواصل قائلة: وإن شاء الله ربنا هيتوب عليكي دا إن ماكانش تاب فعلا!

وتواصل قائلة: وماتنسيش يا حبيبتي دا ربنا تواب رحيم وهو غافر الذنوب ورحمته كبيرة قوي!

لترد المتهمة الأولى بتأثر شديد قائلة: ونعم بالله! وعندها تمتلئ عيونها بالدموع وهي تنظر إلى الأرض!

وتواصل حديثها للمنقبة قائلة: ولو فرضنا يا أختي إن الفكرة اللي قلتلك عليها لا قدر الله.. لا قدر الله مانجحتش يبقى ساعتها لازم تغيري خالص الحكاية ولازم تقوليلهم الحقيقة عشان متقعديش هنا ولا ساعة ومهما كانت العواقب.

وتواصل قائلة: ومهما حصل ماتخافيش عشان ربنا هيكون معاكي يا حبيبتي.

وتواصل قائلة: ربنا عمره ما هيسيب مظلوم أبدًا.

لترد المتهمة المنقبة قائلة: ولو نجحت وعرفت أخرج من هنا وإن شاء الله هانجح وهاخرج لأن عندي إحساس بيأكدلي كده، ساعتها هاقدر أرد جميلك ده إزاي حضرتك؟

لترد المتهمة الأخرى قائلة: جميل إيه وحضرتي إيه يا حبيبتي؟

وتواصل قائلة: يا حبيبتي أنا عارفة إني زبالة ومالیش لازمة وطول عمري متسابة لكلاب السكك وخنازير الشقق والغرف المغلقة تنهش في لحمي الرخيص وتدوس كرامتي وآدميتي لحد ماعادش عندي حاجة فاضلة تنداس أو حتى تتنهش.

وتواصل قائلة: يقوم ربنا يسوقك في سكتي وصدفة وتقوليلي حضرتك وسعادتك وأرد جميلك وكلام كبير قوي من ده عمري ما سمعته.

وتواصل قائلة: تصدقي يا حبيبتي انتي أول واحدة بكلامك ده تحسسيني قبل ما كنت خلاص قربت أنسى إني إنسانة مش زي ما عشت واتعودت على إني مش أكتر من نفايات ولمامة.

وتواصل قائلة: انتي عارفة يا حبيبتي إن اللي أنا نفسي فيه وكل أملي إنه يتحقق إن ربنا يسترها معاكي وتخرجي من هنا ومن غير حد ما يتعرف عليكي وبدون أي شوشرة وفضايح.

وتواصل قائلة: على الأقل ساعتها أبقى عملت حاجة كويسة في حياتي، ومين عارف يستجد في الأمور أمور.

لترد المنقبة قائلة: ممكن حضرتك تكتبي لي رقم موبايلك؟

لترد المتهمة الأخرى قائلة: يا حبيبتي سيبك مني أنا بوضعي ده مش هيجيكي من ورايا غير العوصة.

وتواصل قائلة: إذا كان ولابد وعايزة تخدميني فعلا يبقى تدعيلي ربنا يخرجني من الوحل اللي أنا مغروسة فيه لشوشتي، ومين عارف يمكن عشان انتي طيبة وبنت حلال ربنا يسمع منك ويستجيب لدعاكي وأعيش اللي فاضلي من عمري طاهرة ونضيفة؟

لترد المنقبة قائلة: طبعًا هدعيلك ومن قلبي وإن شاء الله ربنا هيستجيب ويسمع مني دعايا.

وتواصل قائلة: وكمان يا حبيبتي هاتصل بيكي وهاكلمك على طول بإذن الله!

لترد المتهمة الأخرى قائلة: مش قلتلك إن انتي طيبة قوي يا حبيبتي؟! بتقولي هتتصلي بيا على طول إزاي يا حبيبتي وتكلميني كمان طب على إيه وإزاي؟

وتواصل قائلة: انتي عارفة يا حبيبتي أنا بالوضع اللي اتقبض عليا فيه على الأقل قدامي سنتين سجن ويمكن أكتر! فياريت بس

تدعيلي يا أطيب وأنقى وأطهر واحدة قابلتها من يوم ما دخلت عالم الوحل اللي أنا فيه ولحد دلوقتي.

لترد المنقبة قائلة: إوعى تيأسي أبدًا من رحمة ربنا الواسعة وإوعي تقنطي من رحماته ومهما كان.

وتواصل قائلة: وعلى فكرة إحساسي بيقولي أنا وانت هنخرج من هنا على بيتنا بإذن الله.

لترد المتهمة الأخرى قائلة: أنا مش قلت لك انتي طيبة وطيبة قوي كمان؟

وتواصل قائلة: يا حبيبتي انت ممكن وإن شاء الله هتخرجي عشان انتي بريئة ومظلومة! لكن أنا إزاي يا طيبة؟

وتواصل قائلة: أنا عارفة القانون وعارفة كل مواده اللي اللي تخص الآداب وكمان عارفة إني هخرج من هنا هروح على فين بالظبط؟

وتواصل قائلة: لكن إن شاء الله بعد سنتين هروح بيتي.

وتواصل قائلة: معلش سامحيني يا طيبة إني نسيت وقلت هروح بيتي وأنا عمري ما كان ليا بيت ولا مأوى.

لترد المنقبة قائلة: وأنا برضه مش هقولك غير الجملة الجميلة اللي انتي قلتيها ليا من شوية، سيبيها على ربنا!

لترد المتهمة الأخرى قائلة: ونعم بالله. وتنخرط في البكاء!

ترى ما الذي همست به المتهمة الأولى لرفيقتها المتهمة المنقبة؟ وماذا أوحت لها؟ وبماذا نصحتها؟ وهل ستفلح خطتها أو ما اتفقتا عليه وتخرج فعلا المتهمة البريئة من تلك الورطة المشينة التي وجدت نفسها فيها صدفة وقدرًا ولظروف خارجة عن إرادتها ولا يد لها فيها؟ وهل ستخرج المتهمة المتورطة هي الأخرى والمقبوض عليها متلبسة وبالأحراز وأدلة الاتهام الثابتة؟ وإلى أين ستخرج المتهمة المتورطة إن هي قد خرجت؟ هل إلى سجنها أم إلى بيتها كما إحساس المتهمة المنقبة حتى وإن كان لا بيت لها ولا مأوى؟

ولا تتعجب قارئي العزيز من كثرة أسئلتي واستفساراتي، كما أرجوك أن لا تتعجل ردي وإجاباتي حيث ستعرفها حتما فيما هو قادم من أحداث.

❊ ❊ ❊

ورطة لم تكن في الحسبان

وها هو الرائد ضياء يتحدث إلى الضابط الأمين وحيد، ولا تتعجب من كلمة الأمين الضابط أو الضابط الأمين، حيث إن وحيد حتى الآن هو أمين شرطة بزيه ولباسه الميري وفي نفس الوقت هو ضابط ملازم حسب القرار الوزاري الرسمي الصادر برقمه وتاريخه، وماهي إلا أيام قليلة حتى تعلوه وتزين كتفيه نجومه.

وعليه يسأل الضابط ضياء قائلا: إيه أخبار الغلة النهاردة يا وحيد؟

ويواصل قائلا: إوعوا تكونوا جايبين كبشة زي بتوع امبارح.

ليرد وحيد قائلا: لا يافندم مش زي امبارح دا كل الحكاية اتنين يا افندم ولحد دلوقتي...

ليقاطع ضياء قائلا: كفاية قوي اتنين يا وحيد انت عايز إيه أكتر من كدا؟!

ويواصل قائلا: المشرحة مش ناقصة قتلا !

ويواصل قائلا: كل حاجة مظبوطة يا وحيد؟

ليرد وحيد قائلا: كله تمام يافندم تصريح النيابة ومعانا والتلبس موجود وكمان الأحراز وأدلة الثبوت، يعني كله مية مية سعادتك.

وعليه يأمر الضابط ضياء الشاويش **رجب** قائلا: ياله يا بني جيب لنا واحدة من الاتنين اللي مشرفين جوه.

فيرد رجب قائلا: أمر سعاتك يافندم.

وماهي إلا دقائق معدودة حتى عاد رجب بإحدى المتهمتين إلى المكتب من أجل أن يقوم الضابط ضياء بعمل إجراءاته وإتمام محضرها وذلك إجراء معروف يتم عمله بعد القبض على المتهمين، حيث يتم فيه تفنيد أدلة الثبوت وإرفاق الأحراز التي تم ضبطها بحوزة المتهم أو المتهمة إن وجدت وبناءً عليه وبعد استيفاء كل الإجراءات يتم الترحيل إلى النيابة.

وما إن رأى الضابط المتهمة حتى كانت المفاجأة غير المتوقعة بالنسبة له لكنها لم تكن أبدًا كذلك بالنسبة لوحيد وكل الموجودين، حيث إنهم هم من قبضوا عليها، نعم كانت المفاجأة أن المتهمة المقبوض عليها وفي جريمة آداب منتقبة.

ليحدث عندها الضابط نفسه قائلا: كيف لمتهمة من المفترض أنه تم القبض عليها متلبسة كما هي العادة تيجي منتقبة ومتغطية بالخيمة السودة اللي لابساها دي من فوق لتحت؟

وعليه سأل الضابط ضياء الأمين وحيد قائلا:هي دي المتهمة يا وحيد اللي انتوا جبتوها؟

ليجيب وحيد قائلا: أيوا يافندم هي المتهمة نفسها.

وعندها يأمر الضابط ضياء المتهمة المنقبة قائلا: روحي اقفي بعيد هناك ف آخر الأوضة.

وبالطبع لقد أمرها الضابط أن تذهب إلى أقصى الغرفة لكي لا تسمع ما سوف يدور من حوار بين الضابط والأمين إذ يبدو أن

هناك نوع من اللوم وربما التأنيب من جانب الضابط للأمين، ويبدو أيضًا أن مفاجأة النقاب لن تكون الأخيرة وعلى ما يبدو أن المفاجآت ستتوالى تباعًا.

وهنا تحدث الضابط إلى الأمين وحيد بنبردة حادة مستنكرًا وساخرًا في ذات الوقت، حيث قال: إيه الحكاية يا وحيد، متهمة ومنتقبة دي مسكتوها متلبسة إزاي يا أمين وحيد؟

ليرد وحيد قائلا: الحالة دي يافندم لها ظروفها حبتين!

ليرد الضابط ضياء قائلا: يعني إيه ليها ظروفها يا وحيد؟

ويواصل قائلا: هوا إحنا عندنا حالة ليها ظروفها وحالة ملهاش ظروف؟

ليرد وحيد قائلا: معلش يا افندم والله هي جات كدا.

وواصل قائلا: المتهمة دي بتاعة الشقة اللي في الشارع اللي ورانا يا افندم واللي احنا مراقبينها من مدة.

ويواصل قائلا: الشقة بتاعة الخلايجة إياهم واللي قدمت لسعادتك تقرير المراقبة بتاعها من يومين، واللي حضرتك إدتني الأمر بإننا نباغت الشقة دي ونقبض على المتهمين، وهوا ده بالظبط اللي حصل النهاردة يا افندم، وطبعًا أمر النيابة كان معانا زي ما تعودنا في كل مأمورية نروحوها.

ويواصل وحيد قائلا: وعلى فكرة يا افندم الشخص الخليجي اللي كان مع المتهمة هرب من الشباك بمجرد دخولنا الشقة!

ليرد الضابط ضياء وبحدة قائلا: انت عارف يا أمين وحيد إن أنا مابحبش العك وكمان هقولهالك تاني مش عايز الحكاية دي تتكرر تاني يا وحيد، عايز شغل صح ومن غير أي ثغرات زي ما احنا متعودين وماتقوليش لا ظروفها ولا جوابتها، الكلام ده مش عايز أسمعه تاني واللي حصل ده شغل ماينفعش يا سعادة الملازم!

ويواصل الضابط قائلا: انت عارف كويس إن احنا ماتعودناش نعمل كدا ولا عمرنا هنكون كدا؟

ليرد وحيد قائلا: فعلا غلطة يا افندم واللي اتسبب فيها المخبرين الأغبياء وهم اللي... وقبل أن يكمل وحيد قاطعه الضابط ضياء قائلا: ماليش دعوة بحكاية المخبرين دي انت المسئول قدامي عن اللي حصل، أما المخبرين دول مسئوليتك انت والمفروض يا سعادة الملازم إن مافيش حد يعمل أي حاجة إلا بأوامرك ياحضرة قائد القوة.

ليرد وحيد قائلا: أنا أوعد سعادتك يا افندم إن الموضوع ده مش هيتكرر تاني أبدًا بإذن الله.

ليرد الضابط ضياء قائلا: خلاص يا وحيد الموضوع انتهى وتعالى كمل انت المحضر عشان أنا دماغي صدعت من الكلام اللي سمعته.

ويرد وحيد قائلا: أمرك يافندم.

ويواصل قائلا: سيادتك ممكن تريحلك شوية وأنا هاخلص محضرها والمتهمة التانية كمان سعادتك.

ليرد الضابط ضياء قائلا: والمتهمة التانية كانت معاها برضو في نفس الشقة؟

ليرد وحيد قائلا: لا يافندم التانية دي مسكناها متلبسة فعلا وأنا اللي ماسكها بإيدي، بس للأسف برضه اللي كان معاها هرب ونط من الدور التاني عريان وكما ولدته أمه يافندم.

ليقاطع الضابط وحيد قائلا: طب والعريان ده إزاي يهرب منكم؟ وبعدين هيهرب يروح فين وهو بالشكل ده يا وحيد؟

ويواصل قائلا: تلاقيه هرب من الشقة اللي دخلتوها لشقة تانية بنفس العمارة، ماهو أصله استحالة يمشي في الشارع بلبوص كده، وتلاقيك انت ومخبرينك في الطراوة ولا في بالكم.

ليرد وحيد قائلا: يافندم انت عارف شغلي من يوم ما اشتغلت مع سعادتك هنا، وحكاية المتهمة المنقبة دي أول مرة تحصل.

ويواصل قائلا: وأنا أوعد سعادتك إنها مش هتتكرر تاني.

ليقاطع ضياء قائلا: مانا عارف إنها مش هتتكرر تاني ماهي لو اتكررت بعد كدا يبقى المفروض إن إحنا نقفل مكاتبنا ونروح أحسن يا وحيد باشا.

ويواصل ضياء قائلا: ياريت المرة الجاية محدش يهرب منكم وللا انتم مابتقدروش إلا على الستات والرجالة بتفتحوا لهم الشبابيك عشان ينطوا؟!

ليرد وحيد قائلا: إن شاء الله يافندم مش هيتكرر وأنا آسف يافندم مرة تانية وتالتة وعاشرة كمان.

وقبل أن يجلس وحيد ليبدأ إجراءات محضره، تشير المتهمة المنقبة إلى الضابط ضياء وكأنها ترجو شيئًا ما، ولم تكن المفاجأة في إشارتها للضابط وإنما المفاجأة أنها ربما تكون بكماء، إذ يبدو ذلك من خلال إشارتها.

وعندها يقول الضابط ضياء للمتهمة ساخرًا: مالك فيه إيه؟ عمالة تشاوريلي ليه تكونيش خرساء كمان؟

ويواصل قائلا: واهي تبقى كملت كده، منقبة وخرساء ولسه يا ترى فيه إيه تاني؟

ويواصل قائلا: أنا مش فاهم حاجة من إشاراتك وإيديكي اللي رايحة جاية، الظاهر يا وحيد إننا هنحتاج حد يفهم ف الإشارات؟

ليرد وحيد قائلا: لا يافندم مش هنحتاج إن شاء الله لأنها بتتكلم كويس، دا المخبرين بيقولوا إنها شتمتهم وتفت عليهم كمان ساعة ما هجموا ع الشقة.

ليرد ضياء قائلا: بيني وبينك هم يستاهلوا اللي عملته فيهم بسبب اللي عملوه، وعشان اللي عملته معاهم بسطني أنا هسمع منها كويس وأشوف هي عايزه إيه.

ويواصل قائلا: بصي يا بنت الناس، كل عمايلك دي مش هتخيل عليا، يالا يا حلوة اخلعي اللي انتي لابساه ده وورينا وشك.

ويواصل قائلا: انتي ممكن تكوني ذكية جايز، ممكن تكوني جدعة ممكن، خصوصًا بعد اللي عملتيه مع المخبرين، لكن عند الظابط ضياء مفيش حاجة بتعدي ولا بتخيل عليه حيل فاهمة يا حلوة؟

ويواصل قائلا: يعني يا ست اخواتها لو عملتي قرد مش خرسا ما راح أسيبك إلا ع النيابة دايركت!

ويواصل قائلا: جاتكم القرف فيكم وفي أهاليكم.

ويواصل قائلا: أهاليكم مين؟ هو انتم لو ليكم أهل كنتو جيتو لينا وصدعتو دماغنا بقرفكم؟

ثم يحدث الضابط ضياء نفسه قائلا: سبحانك يارب، نقاب ودعارة؟ الله يخرب بيوتكم!

لكن المتهمة مازالت تومئ وتشير إلى الضابط وكأنها تريد شيئا ما، ويبدو أنها تود أن تخبره بسر، وعليه يشير لها الضابط أن تقترب منه ويقول لها باستغراب: انتي خرساء يا متهمة؟

ليقاطع وحيد قائلا: لا يافندم مش خرسا.

ليرد ضياء قائلا: إيه يا وحيد اللي جرالك؟ هي شتيمة المخبرين والتف عليهم لازم تكون من حد لبلب في الكلام؟

ويواصل قائلا: هوا انت عمرك ما سمعت عن واحد أخرس متهم في جريمة سب وقذف؟

ليرد وحيد قائلا: الحمد لله مزاج سعادتك باين عليه عالي يافندم والظاهر كمان الصداع راح سعادتك.

ليرد ضياء قائلا: والله يا وحيد الصداع هيقسم دماغي نصين، بس زي ما بيقولوا شر البلية ما يضحك.

لكن عندما اقتربت المتهمة من الضابط تضح أنها غير

خرساء، حيث همست له قائلة: أنا مش خرسا حضرتك.

ليرد ضياء قائلا: طب مانا عارف إن انت مش خرساء، إيه الجديد ف كدا؟ ولا تكونيش بتستعبطي وعاملة نفسك صدقتي كلامي للأمين وحيد؟

لترد المنقبة قائلة: الله يكرمك فيه سر عايزه أقوله لسعادتك.

فيرد الضابط ساخرًا: ماتقولي سرك ياختي يأم السر، مستنية إيه؟

ويواصل قائلا: على فكرة من غير ماتتنيلي تقوليلي على سرك أنا ابتديت أعرفه وهقولهولك قبل ما تقوليه انتي.

ويواصل قائلا: السر اللي عايزة تقوليه ليا هو إن انتي راجل مش ست ولبست النقاب عشان تداري المواضيع.

ويواصل قائلا: ماهو أنا عارف نوعيات الشقة اللي انت جاي منها ومزاج زباينها.

ويواصل قائلا: إخص عليك الله يقرفك!

فتهمس له المنقبة قائلة: يافندم أنا واحدة ست مش راجل ولا عمري هاكون راجل أنا واحدة ست.

ليرد ضياء قائلا: طب مانا عارف إن انتي واحدة ست من ساعة ما شفتك.

وتواصل قائلة: السر يافندم اللي عايزة أقولهولك لازم يكون بيني وبينك.

فيرد الضابط غاضبًا ساخرًا قائلا: كمان ليكي شروط؟

لترد المنقبة قائلة: أبدًا يافندم ولا شروط ولا حاجة، بس سري خطير ولازم يكون بيني وبينك الله يخليك.

فيرد الضابط قائلا: معلش يا أمين وحيد بعد إذنك خمس دقايق لما أشوف آخرة اللي إحنا فيه.

فيرد وحيد قائلا: أمرك يافندم. وينصرف خارجا.

فيقول لها الضابط متهكما: ياللا اتنيلي قولي أديني خرّجت الراجل عشان خاطر معاليكي!

فترد المتهمة قائلة: أنا هاقولك سري وأرجو من سعادتك تساعدني لأن اللي بيستر على حد ربنا بيستر عليه.

ليرد الضابط قائلا: أيوا يا ستي عارف الكلام ده وسمعته ميت مرة قبل كدا وأكيد لسه هاسمعه.

ويواصل قائلا: وكمان كله لما بيجي عندنا بيدعيلنا عشان نستر عليه ولا نفضحوش وكأن إحنا السبب في بلاويكم وف اللي بتعملوه!

ويواصل قائلا: وبعدين مهما كان سرك عمره ما هيغير حاجة في اللي هيتعمل لك عندنا، وانتي أكيد عارفة إن انتي عملت جرم ياست الكل يا متربية وأذنبتي، وأكيد عارفة إن اللي بيعمل كدا لازم يتعاقب ولازم ياخد جزاءه، وللا سعادتك خارج إطار القانون؟ وللا يكونش معاكي رخصة دولية لممارسة نشاطك؟

ويواصل قائلا: أنا مش هسألك انتي عملتي كدا ليه؟ انتي حرة في عمايلك، ياللا خلصيني فيه إيه أنا مش فاضيلك ولا ناقص وجع دماغ، ياللا إيه اللي عندك عايزه تقوليه وخلتيني خرجت الناس عشانه؟

ويواصل قائلا: شكلك باين عليكي بتضيعي في الوقت وعايزة تتسلي وأنا عندي مافيش تسلية، يبقى هبعتك ع النيابة ومنها ع السجن وهناك هتتسلي براحتك.

وعليه اعتقد الضابط أن تلك المتهمة ليس لديها أي جديد لتقوله، وبالطبع لا أسرارفي جعبتها، وكل ما تهدفه هو ضياع الوقت حتى لا يتم تحويلها على النيابة، وقد تعود الضابط حدوث ذلك في أحيان كثيرة، حيث إنها حيلة تسخدمها بعض المتهمات من أجل إعطاء الفرصة للحضور محاميها من أجل عمل المساعي لإنهاء الموضوع قبل العرض ع النيابة.

وعليه نادى الضابط قائلا: يا وحيد.

حيث يريد الضابط أن يأتي وحيد ويستكمل للمتهمة محضرها وهو ما كان سيقوم به وحيد قبل أن تطلب المتهمة من الضابط ضياء أن يكون حديثها إليه وحده دون الآخرين، وما إن سمعت المتهمة نداء الضابط لوحيد بأن يدخل الحجرة مرة

أخرى حتى صرخت قائلة: استنى الله يخليك وبلاش تنادي على حد وأنا هقولك على كل حاجة.

وتبدأ بالفعل في سرد حكايتها، ومع كل كلمة تقولها يزداد انتباه الضابط، حتى كانت المفاجأة التي وقعت عليه كالصاعقة، والتي لم يكن بأي حال من الأحوال يتوقع حدوثها، وعليه يرد الضابط قائلا: انتي عارفة انتي بتقولي إيه؟ وعارفة خطورة الكلام ده؟

لترد المتهمة قائلة: أكيد عارفة لكن خلاص مش عارفة أعمل إيه، وكل اللي جه ف دماغي إني أصارح حضرتك بالحقيقة واللي ربنا عايزه يكون.

ليرد الضابط قائلا: ولما انتي عارفة إيه اللي ممكن يحصل بسبب اللي عملتيه، ليه بتعمليه من أساسه؟

لترد على الضابط قائلة: أنا متأكدة إن اللي أنا عملته غلط ومايليقش أبدًا، بس أرجوك تساعدني ومش عشاني أنا لأن أكيد أنا ماستهلش أي حاجة تتعمل ليا، لكن عشان الناس المحترمة اللي هتنضر بسببي!

وفي تلك الأثناء يدخل وحيد بناءً على نداء الضابط ضياء له ويقول: خير يافندم؟ أؤمرني حضرتك عايزني ف إيه؟

لكن الضابط ضياء لم تكن تلك عادته وبدا على وجهه شيء من الكآبة والضيق، وكأن هناك شيئا ما خطيرًا قد حدث معه في خلال الدقائق الفائتة، ليتحدث متلعثما متهتهًا وكأنه يهذي، ثم ما لبث أن نطق بكلمات لا معنى لها قائلا: لا لا روح مش دلوقتي يا وحيد، شوية بكرة وتعالى! وعليه يخرج وحيد من الغرفة مرة أخرى وكأنه يوم الخروج العالمي بالنسبة له.

وها هو الضابط ضياء يصرخ في وجه المتهمة غاضبًا ومستنكرًا وقائلا: ليه كدا؟ وإزاي عملتي كدا؟ حرام عليكي تضيعي مستقبل ناس محترمة وتهدي حلم جميل عاشوا عشانه. ويواصل قائلا: أنا

مش عارف أقول إيه لأمثالك، ولوما الكلام اللي سمعته وعرفته كان أكيد هيكون ليا تصرف تاني.

فترد المتهمة المنقبة وتقسم بالله أنها لن تكرر ذلك مطلقًا وأنها قد تابت توبة نصوحًا ولن تعود إلى ذلك الطريق المشين والمسار القذر مرة أخرى، وأنها تعده وترجوه أن يثق بها وبكل كلمة تقولها لأنها ستتغير تمامًا وحتما بإذن الله تعالى، وسوف تعود إلى رشدها ولن تفرط مطلقا في شرفها وعفتها مرة أخرى كما حدث، والأيام سوف تبرهن على صدق كلامها.

❊ ❊ ❊

براءة أم إدانة؟

وبالطبع لم يفكر الضابط كثيرًا قبل أن يأخذ قراره بانصرافها دون أن يستكمل محضره، ولم يسألها حتى اسمها أو إثبات شخصيتها، لكنه لم ينسَ بكل تأكيد أن يواصل توبيخها وتعنيفها علّها تعود إلى رشدها كما وعدت وقالت.

حيث يقول الضابط للمنقبة: أنا لحد دلوقتي مش عارف ليه واحدة زيك وبكل سهولة وارتياحية عايزة تدمر مستقبل ناس لها قدرها وقيمتها.

فترد عليه المنقبة قائلة: أنا خلاص تبت يا باشا وسترك ليا هوه اللي هيغيرني، والله دي آخر مرة ويمكن ربنا جابك في وشي ومش حد غيرك عشان ربنا رايد لي الخير ورايد ليا أكون إنسانة من جديد.

وبعد انصراف المتهمة المنقبة من قبل الضابط ضياء يدخل الأمين وحيد الغرفة مرة أخرى، ليسأل الضابط قائلا: سعادتك سبت المتهمة تمشي ليه يا فندم؟

فيرد الضابط منفعلا قائلا: أيوا يا وحيد طلعت بريئة وعشان كدا مشيتها.ويواصل قائلا: ونادیلي على المتهمة الأخرى.

فيسأل وحيد قائلا: إزاي بريئة يا فندم واحنا جايبنها من الشقة المتراقبة واللي معاها نط وهرب؟

فيرد الضابط بكلام غريب وبعصبية قائلا: انت عارف يا وحيد إن أنا كنت شاكك وخايف إنها تكون بريئة، وإحنا ظلمناها لحد ما اتأكدت إنها مذنبة ومدانة من ساسها لراسها.

ليسأل وحيد قائلا: وسعادتك اتأكدت إزاي إنها مذنبة يافندم؟

ليرد ضياء قائلا: من كلامها واعترافها ليا يا وحيد.

ليرد وحيد قائلا: طب الحمد لله إن سعادتك اتأكدت بنفسك عشان تعرف حضرتك إن إحنا ماظلمناش.

ويواصل وحيد قائلا: والله يافندم أنا كان ضميري بيعذبني بخصوص المتهمة دي خاصة لما سعادتك لومتني عشان حكاية متلبسة إزاي وهي متغطية من فوق لتحت.

ويواصل قائلا: أهو أنا دلوقتي وبعد تأكيد سعادتك ليا إنها فعلا مدانة ضميري استريح تمامًا.

ويواصل قائلا: لكن بالرغم إن ضميري استريح والحمد لله كان اندهاشي واستغرابي إن سعادتك قمت بصرفها من غير ما يتعملها محضر ومن غير ما تتعرض ع النيابة، برغم إن سيادتك اتأكدت بنفسك إنها مذنبة.

ليرد الضابط ضياء بعصبية زائدة قائلا: أيوا صرفتها يا وحيد ومش عايز كتر كلام، أنا عارف أنا باعمل إيه ومش هتيجي انت على آخر الزمن تعلمني شغلي واللي مفروض إيه واللي مش مفروض إيه؟

ويواصل الضابط ضياء وهو مازال منفعلا قائلا: وبعدين أنا بسألك

سؤال، هو انت فعلا مسكتها متلبسة؟ وإن كان فعلا حصل ومسكتها متلبسة ممكن تقولي إزاي؟

ليرد وحيد قائلا: جايز يافندم ماتكونش فعلا متلبسة، بس زي ما قلت لسعادتك قبل كدا إحنا جبناها من شقة مشبوهة ورفيقها نط وهرب من الشباك يافندم.

ويواصل قائلا: طبعا دا غير كلام سعادتك عنها.

ويواصل قائلا: والحمد لله إن سعادتك وبنفسك اتأكدت إنها مش بريئة ومن خلال اعترافاتها ليك وبلسانها وبكامل إرادتها ومن غير ما حد يغصبها، يعني اتهيألي بعد كل ده سعادتك الحكاية مابقتش محتاجة يا افندم.

ليقاطعه ضياء قائلا: يا وحيد أنا قلتلك دا شغلي وأنا عارفه كويس ومش محتاج أي كلمة من أي بني آدم.

ليرد وحيد قائلا: معلش أنا آسف يا افندم وياريت تقبل اعتذاري سعادتك!

ليقاطع الضابط وحيد قائلا: خلاص يا وحيد انتهى. ويواصل قائلا: ياله جبلي المتهمة التانية يمكن أمشيها هي كمان، وأكيد همشيها.

فيرد وحيد قائلا: لا يافندم دي المتهمة التانية دي جايبنها متلبسة مع سبق الإصرار والترصد، والكل شاهد وشايف، دي كانت بلبوص وفي وضع مايتحكيش يا افندم. ليرد ضياء منفعلا قائلا: إحنا قلنا إيه؟ مش اللي هنعيده هنزيده، وهقولهالك تاني وتالت أنا هنا اللي باشوف وأنا هنا اللي بقرر، وقلنا الكلام ده مرة واتنين وتلاتة قبل

كدا، ويارب تفهموا بقى؟ وفعلا تدخل المتهمة الثانية صامتة لا تتحدث وعلى غير العادة لا تتوسل أو تترجى أو تذرف الدموع، ولكن الموضوع برمته لم يستمر طويلا، فالضابط قد اتخذ قراره مسبقا، حيث إن الضابط لم يسألها أية أسئلة لكنه أمرها بأن تظل صامتة كما هي ولا تنطق بأي بكلمة، ثم ما لبث أن أمر بانصرافها هي الأخرى، ربما أسوة بما حدث مع المتهمة المنقبة، وها هو من فرط حيرته وتوهانه يحدث نفسه بصوت عال مسموع حيث سمعته المتهمة بوضوح وهو يقول غير مبالٍ: يعني هي جات عليكي، ياللا زي أختك اللي قبلك وبالسلامة والقلب داعيلك.هذا ولم يكن أمر الضابط بانصراف المتهمة الثانية ثقة منه في براءتها مما هو منسوب إليها أو من جرمها وما اقترفته، كذلك لم يكن أبدًا بسبب صمتها وعدم توسلاتها ونحيبها وتذللها وضجيجها كما هي عادة وطبيعة المتهمات المقبوض عليهن مع رجال الشرطة والمباحث خاصة رجال الشرطة الذين يعملون بمباحث الآداب ويصادفون هذا الكم من النسوة المتهمات والساقطات، ولكن جاء إطلاق سراحها وإن شئت قل تسريبها وكما أشرنا سلفا أسوة بما حدث مع المتهمة الأولى المنقبة، وذلك حتى يريح الضابط ضياء ضميره أو هكذا ظن.

وها هو يصيح غاضبًا في المتهمة الثانية أثناء انصرافها قائلا: ياللا يا بنت ستين..... ولو شفت وشك تاني هديكي تأبيدة.

❊ ❊ ❊

هل المساواة في الظلم عدل؟

وعليه تخرج المتهمة مندهشة مما حدث وربما غير مصدقة، لذا نراها ترفع يديها وتدعو ربها وبصوت غير مسموع، ومن المؤكد أنها لم تكن تدعو للضابط كما هي عادة المتهمات خاصة إذا ما أمر بانصرافهن، بل كان كل دعاؤها ومن القلب للمتهمة المنقبة التي قد تكون مظلومة بريئة، والتي هي من تنبأت لها بخروجها.

ولقد ظهر وبدا على وجه المتهمة السعادة والانشراح الذي ربما قد يكون بسبب إطلاق سراحها وصرفها دون عمل أية محاضر لها، وتلك هي المرة الأولى التي يحدث معها ذلك خلال تاريخها الانحرافي الطويل، وربما يكون أنها استشعرت أن ما رتبته وخططت له مع المظلومة المنقبة قد نجح بالفعل، وقد يكون سبب الفرحة التي ارتسمت على وجه المتهمة أنها قد قررت شيئا ما ستنفذه في التو واللحظة.

مع أنني أعتقد أن سبب ما حدث لها وأدخل السعادة والسرور إلى قلبها ليس سببا واحدًا فقط من الأسباب الثلاثة التي ذكرناها، بل هو كل الأسباب المسطورة عاليه مجتمعة.

ولقد خرجت المتهمة وتم تسليمها كل الأحراز التي ضبطت بحوزتها وبناء على أوامر من الضابط ضياء، ومن ضمنها جهاز الموبايل الخاص بها وسط استغراب الحضور وكل الموجودين، خاصة الأمين وحيد، والذي جلس مندهشا مما يحدث أمامه يضرب أخماسا في أسداس لا يفهم شيئا عما يدور حوله.

لكن في تلك المرة لم يسأل وحيد أو يستفسر عن السبب ولم ينطق حتى بكلمة واحدة، وكذلك لم يسأل أو قل لم يجرؤ أي من الموجودين أن يسأل الضابط ضياء لماذا تم إطلاق سراح المتهمة الثانية هي الأخرى؟ بالرغم من أن عيون الجميع مملوءة بالأسئلة الاستنكارية مكتظة بالاستفسارات والتساؤلات، ناهيك عن الاستغراب والدهشة والذي بدا واضحًا على كل الوجوه وأضحى هناك صمت رهيب يخيم على المكان.

وبعد أن انصرفت المتهمة جلس الضابط ضياء شاردًا يشعل سيجارة تلو أخرى ويظهر على وجهه الحيرة والقلق، ويبدو أمام كل من معه كما لو كان هناك شيء يخفيه أو يحاول التستر عليه، ولم تكن تلك هي عادته على الإطلاق فقد تعود الجميع منه الوضوح والشفافية والمصارحة، واعتادوا دومًا بشاشته وخفة ظله وسخريته اللاذعة في أغلب المواقف والجلسات.

ويمر الوقت بطيئا كئيبًا داخل حجرة المكتب وسط حالة من السكون والهدوء التام.

ليقطع ذلك الصمت وحيد قائلا: سعادتك يا أفندم باين عليك مرهق، ممكن تروح تريح يا أفندم ومتنعاش هم العمل، ولو حاجة كدا ولا كدا هكلم سعادتك على طول.

ليرد الضابط ضياء وهو يهم بالوقوف قائلا: أيوا أنا فعلا همشي دلوقتي وحتى لو جات أي حاجة ابقوا اتصرفوا انتم، ويا ريت محدش يكلمني ولا يتصل عليا. ويهم الضابط بالانصراف.

وبعد انصراف الضابط ضياء جلس وحيد يفكر في الأمر ويسأل نفسه ماذا حدث مع الضابط ضياء؟ ترى ما هو سبب التغير المفاجئ الذي طرأ عليه؟ وما هو السر في كل هذا؟ ترى ماذا حدث بين المتهمة الأولى المنقبة والضابط ضياء؟ وما هو السر في إطلاق سراحها؟ ولماذا كان طلبها بخروجي؟ ولماذا تم صرف المتهمة الأخرى أيضًا؟ وما هي المبررات؟

❊ ❊ ❊

تساؤلات حائرة

تلك الأسئلة جميعها دارت برأس وحيد لكنه لم يجد لها إجابات شافية، وربما الأيام القادمة تكشف له ولنا السر الخفي، وخوفا من أن تأخذه ظنونه بعيدًا وتقذف به شكوكه هنا أو هناك حاول وحيد جاهدًا أن يسيطر على كل ما يدور بداخله ويسد الطريق في وجه ضعفه ووهنه وتخوفاته، فهو لم يتعود في كل فترة عمله في مباحث الآداب وطوال السنوات التي قضاها بجوار الضابط ضياء ما رآه اليوم وبأم عينيه من تصرفات وأفعال.

وقبل أن نذهب بعيدًا أود أن أعلق تعليقا بسيطًا على ما حدث مع المتهمة المنقبة والتي اعترف فيها الضابط الأمين وحيد أمام رئيسه الضابط ضياء بأنها غلطة ولن تتكرر، وإن كان وحيد ومن خلال ما علمناه عنه ومنذ بداية الأحداث هو مثال يحتذى به لرجل الشرطة الشريف الملتزم الأمين، ناهيك عن قيمه ومبادئه وأخلاقه الحميدة، ومع كل ذلك قد أخطأ، فما بالك بغيره من العاملين في المجال الشرطي، وها هو الرجل قد اعترف بخطئه حتى لو كان خطأه هذا خطأ بسيط كما ظن واعتقد، وحتى لو كان للمرة الأولى، لكن هذا لا يمنع أن هذا الخطأ البسيط كاد أن يتسبب في سجن إنسانة قد تكون بريئة، ناهيك عن تلويث سمعتها والتشنيع بها وبما ليس فيها.

لذا أود أن أقول إن هناك كثيرون قد يظلمون، وتلك حقيقة وواقع، فنحن كبشر لنا أخطاؤنا التي قد نجد لها أحيانا ما يبررها، لكن لا يوجد مطلقا ما يبرر خطايانا إن حدثت.

وأنا من خلال كلامي هذا لا أخص الجهات الشرطية بعينها، فالأخطاء واردة في كل مجالات حياتنا وتجدها في كل مكان، في الصحة والتعليم والزراعة والاقتصاد إلخ، لكن دائما ما تظهر الأخطاء الكثيرة للشرطة دونا عن غيرها من المصالح والهيئات، وهذ ليس بالقطع دليلا على أن أخطاء الشرطة أكثر من أخطاء غيرها من الهيئات الأخرى والتي ذكرنا بعضها آنفا، بل على العكس ربما يكون في تلك الهيئات أو البعض منها حتى نكون منصفين أخطاء بالجملة تفوق كل أخطاء الجهات الأخرى مجتمعة بما فيهم الشرطة، لكن للأسف تلك الأخطاء تبقى مخبأة مستترة في دهاليز وخبايا تلك الهيئات والمصالح وقد لا يظهر منها إلا القليل، والذي ربما قد لا يتم اكتشافه إلا بالصدفة البحتة، عكس الشرطة والتي في العادة ما يتم رصد كل أخطائها أولاً بأول، وذلك بسبب طبيعة عملها كونها جهة تنفيذية في الأساس وفي الأغلب الأعم من مهامها وعملها وكل ما يوكل إليها.

وعليه تحتم عليها طبيعة العمل تلك أن تبقى دومًا في المواجهة ودائما أبدًا مرصودة ومنظورة من الجميع، أو كما يقولون "**العين عليها**" أو بمعنى آخر "**كل غسيلها منشور**"

وها أنا أعود مرة أخرى لعملية القبض على المتهمة والذي يعطينا دلالة قوية على أنه من الممكن أن يكون هناك الكثير من المظلومين خلف القطبان، وكما يقول المثل المتعارف عليه **"وياما في السجن مظاليم"**

ورغم أنه في المجال الشرطي تجد أن رجاله دائما ودومًا حريصين على توفير الأمن والأمان ويبذلون الكثير من الجهد بل وفي أحيان كثيرة يضحون بأرواحهم في سبيل ذلك، وتلك حقيقة وواقع يعلمه الجميع ولا ينكره إلا جاحد حقود.

لكن لابد على من يعمل في المجال الشرطي توخي الحذر والتحلي بالأمانة والالتزام والحرص، على أن يتم تطبيق القانون بحذافيره وفق لوائحه وتنظيماته وبنوده ومواده لا حسب العلاقات أو الأهواء والعواطف، ولابد أن نكون دومًا مع الحق ولا غيره، ونرفع الظلم عن كاهل كل مظلوم ما استطعنا، وأن نترفع دائما عن صغائر الأمور وتوافهها بعيدًا عن العنترية والارتجالية وعشوائية الانفعالات وليدة اللحظة وابنة الصدف والأقدار، والتي غالبا ما تتسبب دون قصد في حدوث بعض الأخطاء.

كما يجب عدم الانصياع إلا للقانون وتطبيق كل ما تنص عليه مواده ونظمه ولوائحه حتى وإن كان في تطبيقه وكما أسلفنا قد تحدث بعض الأخطاء لكن إن لم يتم تطبيق القانون فلن تجد إلا كل الخطايا، وأظن أنكم تعلمون أن الفارق كبير وكبير جدًا بين هذه وتلك.

بعيدًا عن الهموم

ونعود لوحيد والذي كان عليه أن يسرع بإخراج نفسه مما هو فيه، وعليه أن ينسى تمامًا ما حدث وكان وإن شئت قل يتناسى ما قد حدث، وبالفعل بدأ يفكر في واقعه وما سوف يحدث في حياته المستقبلية، حيث لم يتبقَ سوى أيام قليلة ويكون بعدها ملازمًا، تلك اللحظة التي قد تمناها طويلا والأمنية التي قد طال انتظارها، ثم عليه بعد هذا أن يشرع في إتمام خطبته وعقد قرانه على من أحبها وهام بها ولها وعشقا، حيث إنه قد وعدها أن لا تتم الخطوبة إلا بعد أن يكون ضابطا، وها هو ولله الحمد قد حدث وبقي عليه أن يفي بعهوده التي قطعها على نفسه.

وعلى أحد الكافيهات جلس وحيد مع نجمة يتبادلان أطراف الحديث ويتحدثان عن أحلامهما وآمالهما المستقبلية، وكذلك عن ميعاد الخطوبة وعقد القران ومايجب ترتيبه وإعداده من أجل هذا اليوم الذي تاقا إليه وانتظراه كثيرًا.

وكذلك حفل الترقية الذي له أهميته لوحيد ونجمة ولا يقل أبدًا عن حفل خطوبتهما وعقد قرانهما، وها هما يبحثان معًا هل سيجعلان الحفلين حفلا واحدًا أم يبدآن بحفل الترقية ليكون

الخميس القادم يعقبه حفل الخطوبة وعقد القران في الخميس الذي يليه.

وبعد أن جلسا وتباحثا وتناقشا في كل التفصيلات ما صغر منها وما كبر كان قرارهما النهائي والذي توصلا إليه أن يكون الحفلان منفصلين وفي أسبوعين وخميسين متعاقبين، حيث يقام الأول وهو الترقية بمنزل وحيد، والثاني بمنزل خطيبته، المهم أنه في كلا الحفلين سيكون وحيد قد حقق هدفه بل كل أهدافه وغاياته التي عاش من أجلها وحلم بها ألا وهي الوصول إلى النجمة التي طالما حلم بها وتمناها حتى وإن كانت نجمة الكتوف بقرار وزاري ممهور ومختوم، ونجمة القلوب بقرار إداري مألوف ومأذون.

وها هما قد ودعا بعضهما على أمل أن يتواصلا هاتفيا ليخبر كل منهما الآخر بأية مستجدات في الميعاد المتفق عليه، وبالطبع بعد أن يستشفا رأي أسرتيهما فيما تم تحديده من مواعيد، وهل سيتم الموافقة على ما تم تحديده من قِبَل الأسرتين أم سيكون هناك ميعاد آخر جديد أو حسب ما يتراءى للأسرتين.

ولقد كانت فرحة نجمة ما بعدها فرحة، بعد ما أخبرت أسرتها بما اتفقت عليه مع وحيد، حيث جاءها الرد سريعًا بالموافقة والترحيب، ومن المعلوم أن أسرة نجمة ماهي إلا أمها السيدة **زهرة عبد الحي** أرملة العميد **الدالي** والد نجمة رحمة الله عليه، واخوها **عماد** الطالب بكلية الدفاع الجوي، وخالها المستشار **عناني عبد الحي**، بالإضافة للأخت الكبيرة **ندى** وزوجها الرائد ضياء، ومن

المعلوم أن والد نجمة قد توفاه الله منذ أكثر من عامين بعد صراع طويل مع المرض، وبالطبع لم يكن هناك حاجة لاستطلاع رأي ضياء وندى، حيث إنه معروف مسبقا، لكن من المؤكد أنه سيكون لهما رأيهما ورؤيتهما في تحديد ميعاد حفل الخطوبة وعقد القران.

هذا ولم تكن مباركة أسرة نجمة وترحيبها وبهذه السرعة وكما أسلفنا صدفة وقدرًا، ولم يأتِ أبدًا من فراغ، فالكل يعرف أن وحيد شاب مجتهد طموح له قدره يميزه أدبه الجم وأخلاقه الحسنة، كما أنه سليل أسرة عريقة لها جذورها الطيبة الكريمة، أضف إلى ذلك أنهم وبكل تأكيد يعلمون بطبيعة العلاقة الحميمة والتي تربط بين نجمة ووحيد، ناهيك عن حب الرائد ضياء وتقديره لذلك الشاب وتزكيته له وثنائه عليه باستمرار، وعليه كان لابد أن تأتي الموافقة سريعة على وحيد وتحديد موعد مبدئي للحفل ليكون يوم الخميس بعد القادم وكما اتفق وحيد ونجمة.

ولقد بدت السعادة على وجوه الجميع وعمت الفرحة أرجاء المنزل، وربما تكون المبالغة في الفرحة مرجعها إحساسهم بأن ذلك الشاب ربما هو من يعوضها بإذن الله تعالى عن ما عانته المسكينة في زيجتها الأولى، ولمَ لا والشاب المتقدم لنجمة تسبقه سيرته ناهيك عن أخلاقه وسمعته الطيبة، علاوة على أنه يحظى بثقة زوج الأخت الكبرى الضابط ضياء كما أسلفنا، وما أدراك ما الضابط ضياء بالنسبة للأسرة والذي يحظى بثقة وحب الجميع وهم يعتبرونه

بالفعل أحد أفراد الأسرة وبمثابة الأخ الأكبر لنجمة وعماد قبل إن يكون زوجًا لأختهما الكبرى ندى.

وعليه يعتبر ضياء هو أقرب أفراد الأسرة إلى وحيد، حيث قد صاحبه طوال ما يقرب من الخمس سنوات هي كل مشوار عمل وحيد في مباحث الآداب، ولقد تيقن ضياء في خلال فترة الخمس سنوات تلك تمامًا من طيبته وأخلاقياته وحسن سلوكه وتصرفاته، وتأكد من رجاحة فكره وعقلانيته ناهيك عن أمانته وطهارة يده، أضف إلى ذلك روحه المرحة وخفة ظله وحضوره، نعم تلك هي السمات والصفات والتي يتمتع بها وحيد وتميزه عن الآخرين.

لذا كان لابد أن تذهب نجمة مترجلة إلى منزل أختها والذي لا يبعد إلا قليلا عن منزل أسرتها، فهو في ذات الشارع وإن شئت قل إنهم من الجيران القريبين جدًا، إذ إن المسافة بين المنزلين أقل من مائة متر، وكانت لهفة نجمة للذهاب لأختها مرجعها أنها تريد أن تزف لها ولزوجها البشرى بتحديد موعد الحفل المبدئي وتستشف رأيهما بشأن ما تم، وهل سيوافقهما الموعد ويناسبهما أم يرتئيان موعدًا آخر أكثر من الأول مناسبة وملاءمة لظروفهما.

كما أن نجمة ارتأت وفي حال ما ناسب الميعاد زوج أختها وأختها أو حتى في حالة عدم ملائمة الموعد لظروفهما واختيارهم ميعادا جديدا، إنه في كلا الحالتين سيكون الاتصال بوحيد وإخباره بالميعاد الذي تم تحديده من خلال زوج أختها ضياء ولا غيره، أو عن طريق "**أبيه**" ضياء كما يروق لها أن تناديه.

فضياء هو الشخص الذي تكن له نجمة كل تقدير واحترام كشأن باقي أفراد أسرتها، بالإضافة إلى ما له في قلبها من إعزاز ومعزة، كما أنها وبكل تأكيد تعلم جيدًا مقدار حبه وتقديره لها، أضف إلى ذلك ما يكنه لحبيبها وحيد من حب واحترام واعتزاز.

ورغم أنه كان بمقدورها أن تبلغهما عبر هاتفها المحمول، لكنها قررت أن تذهب بنفسها إلى منزل أختها بعد أن أكدت على الجميع بأن لا يتم إبلاغ ضياء وندى إلا من خلالها، حيث ستكون سعادتها برؤية الفرحة على وجهيهما وفي عيونهما وتعيش معهما تلك اللحظات السعيدة والتي طالما تمنتها وحلمت بها.

❊ ❊ ❊

فرحة ما تمت!

لكن تحدث المفاجأة والتي لم تكن في الحسبان ولم تتوقعها نجمة مطلقا، إذ يبدو أن الرياح في تلكم الأيام عصية أبية وتأتي دومًا بما لا تشتهي السفن، حيث لم تر سعادة على وجه ضياء كما كان بمخيلتها، بل لمست منه وجومًا أو قل فتورًا غريبًا لم تتوقعه يصل إلى درجة اللامبالاة وعدم الاكتراث، ولم يكن ذلك الوجوم أو الفتور عند استقبال الخبر فحسب، ولكن فيما هو بعد الخبر من تعليق لدرجة إن أختها ندى وبعد أن تهللت فرحًا واحتضنت شقيقتها تهنئها وتقبلها ما لبثت أن تفاجأت هي الأخرى من ردود زوجها وتعليقاته الغريبة، والتي قال فيها ضياء: إحنا المفروض نتأنى شوية ومانستعجلش يا جماعة دا جواز ومصير وارتباط.

ويواصل قائلا: أيوا دا جواز يا ناس، التريث لازم ومطلوب، وعشان كمان مانغلطش الغلطة الأولانية اللي مش ممكن تتنسى، واللي لسا لحد دلوقتي بنعاني من اللي حصل بسببها.

ويواصل قائلا: وكمان أنا مش ناقص أي حد يقول عليا كلمة كدا ولا كدا، أو يلمح بأي تلميحات مالهاش لازمة زي ما حصل قبل كدا في الجوازة الأولى.

لترد عليه ندى زوجته مندهشة مستغربة قائلة: إيه اللي حصل لك يا ضياء وغيرك كدا مية تمنين درجة؟ انت بتقول كلام غريب يا ضياء وأول مرة أسمعه منك.

وتواصل قائلة: يا ترى إيه اللي حصل وخلاك تتغير وتغير رأيك بالشكل ده يا ضياء؟

وتواصل قائلة: فعلا دا ماكانش رأيك قبل كدا يا ضياء، وانت كتير كنت بتشكر في الشخص ده وياما قلتلي أنا نفسي أجوّز نجمة لوحيد عشان أبقى كفرت عن غلطتي اللي كانت من غير قصد في جوازتها الأولانية، يبقى ليه دلوقتي بتقول كدا؟ وليه تغيرك اللي من غير مبرر؟

وهنا تقاطع نجمة موجهة كلامها لزوج أختها بعد أن ألجمتها المفاجأة قليلا قائلة: وحضرتك يا أبيه مين قالك أي كلمة بخصوص جوازتي الأولانية؟ ومين لامك على اللي حصل فيها؟

وتواصل قائلة: إحنا كلنا كنا عارفين إن انت أكيد يا أبيه كنت عايز مصلحتي ولا غيرها في جوازتي الأولى، وأنا واثقة ومتأكدة من اللي أنا بقوله يا أبيه ومية ف المية، ومش بقوله مجاملة ليك لأن مفيش حد بيجامل على حساب حياته ومستقبله ومهما كانت المبررات.

وتواصل قائلة وهي حزينة مندهشة: انت عارف حضرتك يا أبيه إن انت قبل ما تكون جوز أختي الكبيرة انت أخويا الكبير وولي أمري كمان، واحنا كلنا بنحترمك ونعزك وياما بنلجأ لك إذا ما احتجنا لرأي أو مشورة.

وتواصل قائلة: وكمان أنا عارفة ومتأكدة إن انت بتعزني وبتحبني وما يهمك غير مصلحتي، وكمان اللي أنا متأكدة منه أكتر إن مفيش حد لامك أو عاتبك ولا حد يقدر يجيب سيرتك بسبب الجوازة الأولى بتاعتي.

وتواصل قائلة: وعارفة كمان إن الجواز وقبل كل شيء قسمة ونصيب، وإذا كان فيه نصيب ليا مع وحيد وربنا رايد إن احنا نتجوز فربنا برضو هو اللي هييسر لينا الأمور وهيذلل أي صعاب ممكن تواجهنا أو تقف في طريقنا، وهنتجوز مهما حصل لأن إرادة ربنا ما بعدها إرادة.

وتواصل قائلة: وإن كان مفيش نصيب عمر ما حد هيقدر يعمل لنا حاجة وبرضو أكيد هنرضى باللي مقسوم ومكتوب لينا وعلينا لأنها إرادة ربنا أولاً وأخيرًا.

وتواصل قائلة: حتى يا أبيه ولو فرضنا إن انت السبب في جوازتي الأولانية، هو دا يعيبك في إيه؟ بالعكس دا بيورينا قد إيه انت كنت مهتم بينا وبشأننا وأمورنا كلها، وكمان لازم نعرف إن ربنا كان رايد إن الجوازة الأولى تحصل وتكون وكانت، وعليه اتجوزت وحضرتك يا أبيه مع احترامي ماكنتش بتقرا الكف ولا الفنجان ولا بتضرب الودع عشان تعرف وتخمن إن الجوازة هتنتهي بأسرع ما يمكن وبالطلاق.

وتواصل قائلة: والحمد لله تم الطلاق وخلصت من الكابوس واتحررت من سجني واتفكت قيودي وأصبحت حرة، بعد ما كنت

يئست إن دا ممكن يحصل، رغم إن الفترة كلها كانت يادوب تلات شهور، والفضل في كل اللي حصل كان برضو ليك يا أبيه وقفت جنبي ومعايا وساعدت بكل وسيلة لحد ماخلصتني من الكابوس اللي كان جاثم على صدري يعني باختصار الفضل في خلاصي ورجوع حريتي ليا يرجع لربنا سبحانه وتعالى ثم حضرتك يا أبيه.

وحيث إن نجمة لم تعهد زوج أختها كذلك أبدًا خاصة بما يخص موضوعها مع وحيد، فهو من شجعها على ذلك بثنائه المستمر ومدحه دومًا ودائمًا لوحيد، بل هو من أثناها عن قرارها والذي كانت قد اتخذته برفضها التام لفكرة الزواج أو الارتباط بأي شخص أيًا كان هذا الشخص خوفا من تكرار تجربتها ومأساتها الأولى.

أضف إلى ذلك أنها كم من المرات قد لمست ورأت السعادة البالغة في عيني ضياء، وذلك عندما يكون الحديث بشأن وحيد، وبالقطع كل ذلك التعاطف والحب لم يكن أبدًا وليد الصدفة أو من فراغ، وإنما كان يشف بما يكنه ضياء لوحيد من احترام وتقدير.

وها هي نجمة وهي مازالت غارقة في بحر دهشتها وحيرتها بسبب كل ما حدث والذي لم يكن أبدًا في الحسبان، تتذكر ما كان من زوج أختها ضياء عندما قابلت وحيد للمرة الأولى في البنك، وماذا قال عنه حينها فلقد مجده وأثنى عليه وتحدث عن أدبه الجم وأخلاقياته الطيبة، ومدح عقلانيته وشخصيته المتزنة وأكبر فيه تطلعاته وطموحه، بل هو من تمنى لها ومن كل قلبه أن يكون وحيد

رفيقا لدربها ليعوضها عما فاتها وما حدث لها في زيجتها الأولى الفاشلة وينسيها كل آلامها ومتاعبها.

ترى ماهي الأسباب التي دفعت زوج أختها ليقول لها ما قاله؟ وهي من جاءت تخبرهم فرِحة سعيدة بميعاد خطوبتها وعقد قرانها، ولماذا لم يكن أبيه ضياء كما هي عادته حيث جرأته وثباته ولباقته وحصافته وحسن إدراكه للأمور، ورغم أن نجمة لم تقنعها أبدًا كلماته وردوده، لكنها أحست أن شيئا ما خفيًا لم يكن موجودًا قبل ذلك هو ما دفعه إلى أن يقول ما قاله وبكل تأكيد.

وبالفعل كان يبدو على ضياء ومن يراه وللوهلة الأولى عدم التركيز وكأنه يحاول جاهدًا أن يلملم كلماته ويجمع شتات جمله ومفرداته، لكنها ربما تكون المرة الأولى التي لم تسعفه ولم تفلح معه فيها فصاحة لسانه وسرعة ردود أفعاله وحضوره في الهروب والفرار من مأزق ربما قد وضع نفسه فيه.

وها هو يحاول جاهدًا أن يجد لنفسه مخرجًا مما هو فيه.

حيث يوجه كلامه إلى زوجته وأختها قائلا: يا جماعة هو معنى إني أقول إنه لازم نتأنى ونتريث ونسأل عليه، ليبقى وحيد لا قدر الله فيه حاجة وحشة.

ويواصل ضياء قائلا: والله وحيد محترم وخلوق وطيب وراجل بحق وعمري ما هقول غير كدا، لكن فيه حاجات الواحد مايقدرش يقولها، وأكيد الحاجات اللي أنا أقصدها وأعنيها لا تمس شخصه ولا كنيته ولا أخلاقياته مطلقا.

نجمة ترد قائلة: والله عارفة اللي عندك يا أبيه وعارفة قد إيه انت بتقدرني وتعزني وعايزني في أفضل مكانة، لكن اللي أقدر أقوله لك دلوقتي إن انت عندك سر وفيه حاجة كبيرة مخبيها عنا.

وتواصل قائلة: والسر ده أو الحاجة دي جديدة مكنش حضرتك تعرفها قبل كدا، وجايز تكون اكتشفتها قريب ويمكن كمان النهاردة أو امبارح على أقصى تقدير، وعشان كدا أنا مش هقولك إيه السر اللي انت مخبيه عننا؟ وإيه الحاجة اللي احنا مانعرفهاش؟

وتواصل نجمة قائلة: بس الأكيد واللي أنا واثقة منه تمامًا إن انت عمرك ما هتعمل حاجة ضد مصلحتي، وأكيد تغيرك ده له مبرراته وأسبابه، وعلى فكرة أنا راضية بنصيبي وزي ما قلت لكم من شوية. وتواصل نجمة ساخرة حزينة قائلة: وأنا ليه هتجوز تاني؟ يعني هم اللي اتجوزوا عملوا إيه؟

وتواصل وهي تحاول أن تتماسك قائلة: وع العموم خلاص، وأنا باقولك يا أبيه أهو وقدام ندى أختي إني خلاص أخدت قراري والموضوع ده مش هيتم ولا هيكون لا مع وحيد ولا مع غيره.

وخشية أن يظهر ضعفها ويفتضح أمرها بنزول دموعها والتي حاولت جاهدة إخفاءها، تخرج نجمة مهرولة لكنها لم تستطع السيطرة على مشاعرها لتفضحها دموعها ونحيبها، وخلفها أختها ندى تناديها قائلة: رايحة فين يا نجمة؟ استني يا نجمة، ولكن نجمة لم تسمع النداء وخرجت بدموعها وأحزانها.

❊ ❊ ❊

صدمة الملازم!

ونعود إلى وحيد حيث انتابته حالة من القلق لتأخر الرد عليه، وعندما اتصل بنجمة وجد أن موبايلها مغلق، وعاود الاتصال بعد لحظات ولم تكن هناك أية ردود، ومرت الساعات ولم ينم وحيد الليل، وفي الصباح وقبل أن يذهب إلى عمله ذهب إلى البنك، وما إن رأى نجمة وقبل أن يسألها متلهفا على إجابتها عما يدور بداخله من تساؤلات، بادرته هي بقولها: على فكرة هنا مكان عمل يا أستاذ وإحنا ورانا شغل كتير ومش فاضيين لأي حاجة خارج نطاق عملنا وشغلنا. وتواصل قائلة: أرجوك ولو سمحت حضرتك متعطلنيش.

ليرد وحيد مندهشًا قائلا: فيه إيه يا نجمة؟

ويواصل قائلا: إنتي أكيد بتهرجي.

لترد نجمة قائلة: لو سمحت يا أستاذ أنا عمري ما كنت جد زي دلوقتي. وتواصل قائلة: خلاص كل حاجة انتهت، ويارب تكون فهمت أنا قصدي إيه، وأرجوك بلاش تضيع وقتي ووقت العملاء.

هذا ولم يكن وحيد أبدًا ليتوقع هذا الرد الغريب من نجمة وبتلك الحدة التي لم يعهدها مسبقا وطيلة كل لقاءاتهم ومقابلاتهم، والتي كانت دائما ما تشف رقة وعذوبة من جانبها ناهيك عن بشاشتها وسعادتها الغامرة بلقياه، وها هو يسأل نفسه متعجبًا: لماذا كل هذا

الجفاء الذي لم يخطر له على بال؟ بل لقد نزلت عليه كل تلك الردود المفاجئة وغير المتوقعة وكأنها السهم المسموم الذي تم غرسه في سويداء قلبه، وإن شئت قل كانت كما زلزال قوي زلزل كل كياناته وأصابه بذهول وارتباك لدرجة أنه لم ينطق، وإن شئت قل لم تسعفه لباقته المعروفة ولم تعنه حتى كلماته، وعليه لم يعقب وخرج من البنك مندهشًا مذهولا متثاقلة خطواته غير مصدق من هول المفاجأة وما كان من أحداث.

لكنه ورغم ما أصابه تحامل على نفسه وعاد إلى عمله وجلس على مكتبه شاردًا، وها هو يطلب من أحد الشاوشية أن يشتري له علبة سجائر، ولم تكن تلك عادته أبدًا، كذا لم تكن من ضمن أولوياته وفي أي يوم من الأيام، حيث إنه لم يكن وبكل تأكيد من المدخنين.

وها هو الضابط ضياء قد وصل هو الآخر وجلس على مكتبه، وبمجرد جلوسه بادره الأمين وحيد قائلا: إيه اللي حصل يافندم وخلاكم تعملوا معايا كدا؟

ويواصل قائلا: أنا أجرمت ف إيه؟ أنا فيّا إيه غلط يافندم؟

ويواصل قائلا: حرام عليكم كده والله حرام كده، وحرام يجرا لي كده منكم!

ليرد الضابط ضياء قائلا: بتتكلم ف إيه يا أمين وحيد؟

ويواصل قائلا: باين عليك بتهرتل، أكيد انت مريض؟

ليرد الأمين وحيد قائلا: فعلا يافندم أنا بهرتل وأكيد كمان مريض.

ويواصل قائلا: وعشان كده ياريت حضرتك تسمح لي بيومين أجازة أريح فيها أعصابي يمكن أخف ومهرتلش تاني.

ويواصل قائلا: وعلى فكرة سعادتك أنا ماخدتش أجازة قبل كده، يعني أكيد رصيدي يسمح لي بالأجازة اللي أنا هطلبها، عكس رصيدي عندكم يافندم اللي اتضح إنه مفيش حاجة خالص وعشان كده مسمحليش أكون واحد منكم!!

هذا ولم يكن الضابط ضياء هو الآخر في حالته الطبيعية أو أحسن حالا مما فيه وحيد، بل ربما أكثر منه حزنا واكتئابا، وفي نفس الوقت يقدر ويعي تمامًا ما ينتاب وحيد ويعلم أسبابه ودوافعه ويتفهم كل ما يصدر منه وتصرفاته، وها هو يحاول أن يتحكم في ردة فعله ويسيطر على انفعالاته وما يدور في نفسه مخفيًا في ذات الوقت حزنه وقلقه على وحيد وما انتابه، ناهيك عن ما هو نفسه فيه من عذاب متواصل وتأنيب مستمر لضميره.

وعليه نادى ضياء قائلا: ياللا يا شاويش **سيد** خد الملازم وحيد بسرعة في العربية ووصله لحد البيت أحسن شكله باين عليه تعبان خالص.

ويواصل قائلا: وماتسبوش يا سيد إلا بعد ما تطمئن عليه ويدخل بيته وينام على سريره كمان.

ليقاطع وحيد حزينا قائلا: متشكر ليك سعادتك.

ويرد الشاويش سيد قائلا: أمر سعادتك يافندم أنا هوصل سعادته وبسرعة.

ثم يواصل الشاويش حديثه مع وحيد قائلا: ياللا يافندم اسند عليا سعادتك. ويمسك بيديه لمساعدته في الخروج.

وبالفعل يخرج وحيد ويبقى ضياء وحيدًا شاردًا هو الآخر يدور في بحور حيرته، تتقاذفه فيها أمواجها وتعصف به أعاصيرها وتقلباتها، وها هي تلك البحور قد اتسعت إلى مالا نهاية، وأضحت لا شطآن لها، وها هو المسكين يلف فيها ويكرر دورانه ولفاته تباعًا دون رؤية قد تلوح له وبلا أمل في نجاة. ليحدث نفسه قائلا: يا ترى إيه اللي أنا عملته ده في وحيد وإيه ذنبه؟ ويواصل قائلا: وياترى اللي اتعمل ده صح ولا غلط؟ وإيه اللي أذنب فيه وحيد المسكين في كل اللي حصل؟

ثم سرعان ما يرد على نفسه قائلا: أنا خلاص بقيت مشوش مفيش تركيز ومش عارف إيه اللي بيحصل معايا ده؟ وكله ورا بعضه. ويعود وحيد إلى عمله بعد يومي الإجازة، وبالفعل قد كان في أمسّ الحاجة إلى تلك الإجازة، إذ يبدو عليه الآن الهدوء ويلفه الثبات رغم ما يظهر على وجهه من كآبة وحزن، الذي لم يستطع إخفاءه، وبالطبع لم تمحها الإجازة، وها هو يوجه الدعوة للجميع لحضور حفلة الترقية، حيث سيعلق نجمته في الغد والحفل سيكون في اليوم التالي، ولقد فرح الجميع وأكدوا له أنهم سيكونون هم القائمين على ذلك الحفل والذي هو وبكل تأكيد حفلهم.

ولم ينس وحيد أن يوجه الدعوة إلى الضابط ضياء قائلا: لازم تيجي يافندم.

فيرد الضابط ضياء قائلا: أكيد يا وحيد هكون أول واحد في الحفلة، ودا وعدي ليك من زمان. واستطرد قائلا: فاكر يا وحيد لما قلتلك أول ما تترقى ملازم أنا اللي هعلقلك النجمة بنفسي؟

ليرد وحيد قائلا: بالطبع فاكر يا فندم ويشرفني رغم إني كان نفسي وأملي إني أبقى ملازم أول على طول، لكن معلش إرادة ربنا ومحدش بياخد غير نصيبه واللي مكتوبله، وكمان محدش بياخد أكتر من رزقه أبدًا. ليقاطع الأمين **عبد البر** قائلا: إزاي ملازم أول سعادتك؟ لازم ملازم الأول يا حظابط وحيد.

ليقاطع الضابط ضياء وقد فهم ما يرنو إليه وحيد قائلا: كل شيء قسمة ونصيب يا وحيد، لكن رغم كدا هتفضل أخويا الصغير ومعاك في كل كبيرة وصغيرة.

ويواصل قائلا: ومين عارف يا وحيد يمكن يكون ربك رايد وتجد ف الأمور أمور وتعلق ملازم أول على طول.

ليرد وحيد قائلا: يسمع منك ربنا، يا ريت سعادتك.

وبالطبع جميع الموجودين بالمكتب لا يعلمون شيئا عن مغزى ما يدور من حوارات بين الضابطين ضياء ووحيد وبما فيهم الأمين **عبد البر.**

ثم ما لبث أن احتضن الضابطين بعضهما البعض، وكادت دموعهما أن تشف بالمستور وبمكنون ما بداخلهما لولا كبرياء الاثنين وتخوفهما من أن ينكشف أمرهما أمام أعين الموجودين.

❊ ❊ ❊

اعتراف

وعندما عاد الضابط ضياء إلى منزله أصر في تلك المرة أن يزيل عن كاهله حملا ثقيلا ويصارح زوجته بكل ما بداخله وما حدث معه وما كان منه تجاه وحيد ونجمة، وما هي الدوافع التي أدت به إلى أن يأخذ موقفا مغايرًا لموقفه السابق والمعروف، حيث كان داعما ومشجعًا على إتمام زواجهما، ليتحول فجأة إلى قمة الفتور وعدم الحماس بل والتردد الواضح أو شبه الرافض للموضوع برمته.

وها هو يخبر زوجته بكل التفاصيل وما جاء بقصة المتهمة وما كان منها وروايتها التي أرقته كثيرًا في الأيام القليلة الماضية، تلك الحادثة التي لأول مرة تصادفه في عمله والتي كانت مفاجأة مدوية بالنسبة له، وإن شئت قل كانت المفاجأة الصادمة أو الصدمة المفاجئة.

والذي زاد من آلامها ومرارتها حبه الشديد لوحيد ونجمة حيث كان وحيد هو ذلك الشاب القريب جدًا إلى قلبه، والذي طالما وثق فيه وفي إخلاصه وأمانته واحترم فيه تطلعه وطموحاته، كما أن نجمة كانت هي الأخت الصغرى لزوجته والتي يكن لها عاطفة قوية، تلك الفتاة الرقيقة مرهفة الشعور والأحاسيس، والتي يشعر دائما عندما يراها بتأنيب ضميره حيث إنه يعتبر نفسه قد أجرم في

حقها، حتى وإن كان ذلك دون قصد منه، وبالطبع هو لم ينس كل ما حدث لها في زيجتها الأولى.

هذا ومنذ حدثت واقعة المتهمة المنقبة وما ترتب عليها من تبعات لم تكن أبدًا في الحسبان، والتي بكل تأكيد قد تركت آثارها ولا أبالغ إن قلت إنها قد أحدثت شرخًا داخليًا في العلاقة الحميمة التي تجمع بينه وبين أقرب أصدقائه، حتى وإن ظل ذلك مستترًا غير واضح أو ظاهر لكل المحيطين، كما أن تلك الحادثة قد جعلت ضياء حقا في ورطة لدرجة أنه أصبح عاجزًا عن اتخاذ أية قرارات خاصة فيما يخص وحيد ونجمة، فلا هو قد رفض فكرة زواجهما رفضًا واضحًا وبيّنًا، ولا هو قد ظل داعما للاثنين ومباركا لهما حتى يتم زواجهما.

وبعد صراع ضياء مع نفسه قرر أن يصارح أقرب الناس إليه وهي زوجته، وأن يبوح لها بكل ما بداخله، ورغم أن تلك لم تكن أبدًا عادته ولا بالتأكيد من طباعه أن يتحدث عن ما يخص عمله أو ما قد يصادفه أثناء تأدية وظيفته مع أي كائن من كان حتى لو كان أقرب الناس إليه وهي زوجته، لكن ضياء في تلك الحالة كانت له كل المبررات.

فالمشكلة وإن كانت قد حدثت في العمل لكنها عائلية في المقام الأول وكما سيتضح ذلك فيما هو قادم من أحداث، كما أن ضياء لا يريد أن يتحمل وحده تبعات ما قد يتخذه من قرارات خاصة العائلية منها، بل يريد أن يشاركه الرأي والمشورة أقرب الناس إليه، لذا اتخذ قراره بضرورة مصارحة زوجته وعاجلا لا آجلا.

وبعد أن عرفت ندى بكل التفاصيل وما حدث من ضياء بشأن تلك المرأة المتهمة المنقبة، نجد أن الزوجة هي الأخرى قد ألجمتها المفاجأة في البداية فصمتت قليلا غير مصدقة لما تسمعه، ثم ما لبثت أن عادت سريعًا إلى صوابها، وبعد أن خرجت من بحر دهشتها سألت زوجها قائلة: مش جايز يا ضياء تكون فعلا الست دي صادقة في كلامها وهتتوب فعلا وتبدأ حياة جديدة؟

وواصلت قائلة: ويمكن كمان يكون ربنا حطك في طريقها عشان انت تكون سبب في توبتها وانتشالها من المستنقع اللي كانت عايشة فيه لما صرفتها من غير شوشرة وفضايح.

واستطردت تقول: وحتى لو فرضنا إنها مش هتتوب وهتعيش عمرها اللي جاي زي عمرها اللي فات وفي نفس المستنقع، إيه ذنب أهلها وناسها؟ وإيه جرمهم اللي اقترفوه؟ وفين جريمتهم في كل اللي حصل مع المتهمة اللي صادفتك وقابلتها؟

ثم استطردت ندى تقول لزوجها: وبعدين من إمتى يازوجي العزيز تزر وازرة وزر أخرى؟

وواصلت تقول: هو لو انت قاضي في محكمة وجالك متهم في جريمة قتل ومع سبق الإصرار والترصد وكل الأدلة ضده، يا ترى ساعتها هتسيب المتهم حر طليق وتحكم على أبوه بالإعدام؟

ليرد ضياء قائلا: أحكم عليه هو، مالي ومال أبوه ومال أبوه وماله؟

لترد ندى قائلة: خلاص يا ضياء يبقى ليه نظلم ناس ونحملهم ذنب مش ذنبهم ونشيلهم وزر جريمة معملوهاش من أساسه ولا لهم علاقة بيها لا من قريب ولا من بعيد.

وتواصل قائلة: داحنا لو عملنا كدا نبقى ظالمين وظالمين قوي كمان.

وتواصل قائلة: وبرضو هرجع وأقولك تاني يا ضياء "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

وواصلت قائلة: زوجي العزيز، لازم تعرف يا حبيبي إننا بشر ولم نكن ولن نكون في يوم من الأيام ملايكة تمشي على الأرض.

وواصلت قائلة: إوعى تفتكر يا ضياء إن احنا ممكن نعيش بمنأى عن زلات الآخرين وعثراتهم، وكمان عمرنا ما هنبقى بعيدين عن غلطاتهم وهفوات البعض منهم خصوصًا لو كانوا من المقربين لينا.

وتواصل قائلة: وأكم من خطايا وأخطاء لكن ربك حليم ستار.

وأردفت ندى تقول: إن حادثة المرأة المنقبة لا يستغرب حدوثها، خاصة في أيامنا تلك، لكن يجب ألا نجعلها تعيقنا وتحبطنا، بل يجب أن نجعل من كل تلك المعوقات أو ما شابهها من ديفوهات أسرية أو مجتمعية قد نصادفها دافعا لنا ومشجعًا لمواصلة الطريق ولا نجعل منها أبدًا عثرات تعيق مسيرتنا وتجهز على تطلعاتنا وطموحاتنا وتحطم الآمال في قلوبنا وتقضي على أحلامنا وتئد كل أمانينا.

وعليه يتنفس ضياء الصعداء وكأنه قد وجد ضالته ومن ينتشله من بحر حيرته ومما هو فيه من خلال حديث زوجته وشريكة عمره

ورفيقة دربه، بل قل إنه قد وجد في هذا الحديث وما دار فيه ما يثلج صدره وما يعيد إليه صوابه واتزانه مرة أخرى، وها هو يندم بسبب أنه لم يخبر زوجته بما حدث في التو واللحظة.

وهو بالطبع لم يفعل ذلك لأنه وكما أسلفنا لم يتعود أبدًا أن يبوح لأحد بأسرار عمله وطبيعة أشغاله، وها هو مازال يحدث زوجته ويحكي لها معاناته في الأيام الماضية وما حدث وكان من تأنيب لضميره، وهو يعزي كل هذا وما حدث له من مخاوف وهلاوس خارجة عن إرادته إلى ضغوط انتابته من عقله الباطن وإلحاح مستمر من مناطق اللاشعور لديه، حيث إنه كان السبب في الزيجة الأولى لنجمة وما ترتب عليها من معضلات ومشاكل جمة انتهت بالطلاق، لذا تراه خوفا من تكرار الفشل مرة أخرى كان لابد أن ينأى بنفسه بعيدًا أو على الأقل يبقى معارضًا حتى ولو كانت معارضة باستحياء، أو كما يقولون يمسك بالعصا من منتصفها، وهو مالم يفلح معه ولم يأتِ إلا بنتائج عكسية غير مرغوب فيها.

وها هو ضياء يتذكر ما فعلته به المتهمة المنقبة حيث مازال يعض على أنامله متضايقا مغتاظًا من نقابها والذي أخفى وراءه مجرمة داعرة وهى بالقطع لم تتنقب تقربًا أو خوفا من الله، هذا إن كان النقاب هو ما يقربنا إليه سبحانه! كذلك وبكل تأكيد لم يخطر ذلك ببالها في يوم من الأيام، ولكن المؤكد أنها ارتدت النقاب من أجل أن تتوارى خلفه وتواري كل عيوبها ومساوئها وتلهو وتعبث كما تشاء وكما يحلو لها.

ومازال ضياء مع نفسه يحدثها وأيضًا عن المنقبة والتي أثر فيه كثيرًا ما كان منها وما فعلته به تلك المرأة اللعوب.

ليقول لنفسه ويسألها: هل أخطأت بصرفها؟ وهل تصدق توبتها كما وعدت؟ وهل كانت دموعها حقيقية أو هي كما تدمع التماسيح؟

وها هو يواصل حديثه مع نفسه قائلا: إني ما زلت أشك فيها وفي كنيتها وبكل تأكيد في توبتها وما سال من دموعها، فقد تعودنا كل تلك الأكاذيب من كل الساقطات واعتدنا ألاعيبهن، وكم رأينا وسمعنا توسلاتهن والقسم بأغلظ الأيمان على أنهن لن يعدن إلى طريق الشيطان مرة أخرى، وسوف يحيين ما بقي من عمرهن طاهرات عفيفات وأن تلك المرة هي الأخيرة.

ويواصل محدثا نفسه قائلا: لكن سرعان ما يعدن مرة أخرى إلى مكاتبنا وكأنهن قد اعتدنها واعتدن عليها، بالضبط كما تعودن الذهاب إلى أوكارهن ومرافقة زبائنهن.

ويواصل قائلا: ما أقصده وأعنيه أنهن لا يحدن أبدًا عن الطريق الذي اخترنه وبكامل إرادتهن لأنفسهن والذي هو دائما طريق الفسق والرذيلة ولا تقل أبدًا إنه طريق الشيطان، لا لأن الشيطان بمنأى عن هذا الطريق لاسمح الله، ولكن لأن هؤلاء الساقطات هن الشيطان نفسه، بل إن الشيطان وفي كثير من الأحيان يتبعهن حيث يذهبن وهن نادرًا ما يتبعنه.

❊ ❊ ❊

الغيبوبة

ونعود لوحيد ويبدو أن القدر مازال مخبئا له مفاجأته، حيث مرض والده فجأة، إذ انتابته نوبة وغيبوبة سكر وتم نقله إلى العناية المركزة بالمستشفى، وكأنه مكتوب على الأب أن يكون مرضه هذا في نفس اليوم الذي أصبح فيه ابنه ضابطًا فعليا، ذلك اليوم الذي طال انتظاره سنين طويلة وذاك الحلم الذي قد تحقق وأصبح واقعًا وحقيقة، وقد كان من المقرر أن يكون حفل الترقية في يوم الغد.

لكن أي حفلة وأي ضابط في تلك الظروف المعاكسة غير المواتية أو الملائمة تمامًا، حيث الوالد بالمستشفى وبالعناية! ناهيك عن المعاناة والحالة النفسية المتدهورة وعدم الاستقرار التي يعيشها وحيد منذ أسبوعين تقريبا، لذا كان لابد من تأجيل الحفلة نظرًا لكل تلك الظروف.

ويبدو أن الحفلات والأفراح أضحت حلما بعيد المنال بالنسبة لوحيد، لكنه وبكل تأكيد سيرضى بقضاء الله وقدره وما كتبه له، وها هو نراه وحتى الساعة مازال صامدًا قويا حتى وإن عانى كثيرًا ومازال بسبب غموض مواقف الآخرين وتقلبات أهوائهم خاصة المحيطين به والمقربين جدًا إلى قلبه أو من كان يظنهم كذلك.

وها هو قد ذهب إلى المستشفى لزيارة والده والاطمئنان عليه، ثم ما لبث المسكين أن عاد إلى عمله بعد أن اطمأن على حالته وإن كان مازال قلقا عليه بعد ما ألم به فجأة حيث إنها المرة الأولى التي تداهمه فيها غيبوبة السكر تلك وفي تلك الظروف، لكنه وكما أسلفنا قضاء الله وقدره.

❊ ❊ ❊

تبجح امرأة !

وأثناء عملية التحقيق التي يقوم بها وحيد حيث إكمال إجراءات أحد المحاضر والخاص بإحدى المتهمات، فوجئ الضابط بتبجح زائد من تلك المتهمة بل وتهكمها في إجابتها وردودها غير مهتمة أو مبالية، ورغم أن وحيد قد تعود هذه الردود من كثير من المتهمات واللاتي عادة ما يكنّ سكارى مخمورات أو تحت تأثير الأقراص والمواد المخدرة، لكن يبدو أن هذه المتهمة ليست من تلك النوعية، وإن كانت أكثر منهن بجاحة ووقاحة، وعليه نهرها الضابط بشدة وعنفها، لترد المتهمة قائلة: جرى إيه ياباشا؟ انت بتشد عليا كدا ليه؟ وكمان واخد الموضوع جد قوي كدا؟

وتواصل تلك المتهمة المتبجحة بقولها: اشمعنى أنا اللي بتفتحولي محضر واستجوابات واستفسارات وسين وجيم وغيري بتفتحوله البيبان على مصراعيها يا باشا عشان يكت منها ويروح على بيته من غير لا سين ولا جيم ولا حتى اسمك إيه؟!

وتواصل قائلة: بقولك إيه يا باشا، ماتيجي نخلي البساط أحمدي ونبقى ريلاكس خالص وتفك التنشية اللي انت فيها دي وتفوتلي عشان أنا كمان أفوت والأمور تمشي وتفوت.

ليقاطع وحيد قائلا: تنشية إيه؟ وبساط إيه؟ وأحمدي إيه؟ يا مجنونة يا مخبولة.

ويواصل موبخًا قائلا: وكمان إيه حكاية أفوتلك وتفوتيلي دي؟ يا زبالة هوا أنا ناقصك وناقص جنان اللي خلفوكي في يومك الاسود ده؟

ويواصل قائلا: انتي باين عليكي نسيتي نفسك، انتي زبالة وحشرة ملهاش لازمة وموجودة في الدنيا عشان تنداسي بالجزم وينتف عليكي.

ويواصل قائلا: أنا هعرفك إزاي تحترمي نفسك وهعرفك إزاي تتكلمي وتردي عليا يا زبالة، انتي فاكرة إنك بتكلمي حد من زباينك يا سافلة يا وقحة؟

لترد المتهمة المتبجحة قائلة: يا باشا سعادتك ليه بتنرفز نفسك؟ وليه واخدها جد قوي كدا معايا؟ متفكها وتبحبحها شوية عشان أتكلم مع سعادتك بصراحة من غير موارية ولا لف ولا دوران، يعني دوغري والدوغري مفيش أحسن منه يا باشا.

وتواصل قائلة: وبعدين اشمعنى أنا يا باشا يعني هي جات عليا ووقفت؟

وتواصل قائلة: ولا الحكاية عندكم فيها خيار وفقوس، آسفة أنا قصدي كوسة وفقوس يا باشا؟

وتواصل قائلة: ولا الحكاية زي المثل ما بيقول اللي ملوش ضهر ينضرب على بطنه!

وعندها يصاب الضابط وحيد بالدهشة وتتملكه الحيرة من الردود المتبجحة من تلك المرأة اللعوب، لكنه حاول أن يتمالك نفسه ويكتم غيظه وغضبه ويسيطر جاهدًا على ردود أفعاله، حيث أدرك أن تلك المتهمة ربما ترنو إلى شيء ما تعلمه جيدًا وتنبش في كومة من الخبايا والأسرار، وعليه كان لابد أن يسايرها ويجاريها لبعض الوقت ليفهم ما تقصده وما ترنو إليه.

حيث سألها وحيد قائلا: أنا مش فاهم إيه حكاية خيار وفقوس دي، وكمان إيه قصدك من اللي له ضهر مينضربش على بطنه؟

ويواصل وحيد سؤاله متهكما قائلا: ممكن سعادتك توضحي لي إيه الحكاية بالظبط؟ أصل أنا فهمي تقيل شوية وعلى قدي، ياريت توضحيلي سعادتك.

لترد المتبجحة قائلة: العفو أخجلتم تواضعنا يا سعادة الباشا!

وتواصل قائلة: هو فيه حد يا سعادة الباشا مايعرفش يعني إيه خيار وفقوس؟ ولا يمكن صحيح متعرفش عشان حضرتك لسة بشبوشة زغنونة وبنجمة واحدة؟

وتواصل تبجحها قائلة: إن شاء الله بكرة تكبري يا زغنونة ويبقى بدال النجمة اتنين وتلاتة لحد ما يبقوا سيفين.

وتواصل قائلة: إوعى تزعل أو تاخد على خاطرك مني يا باشا، وكمان متفهمنيش غلط، أنا قصدي إن سعادتك لسه ملازم يبقى أكيد خريج جديد.

ليرد عليها وحيد وينهرها بحدة قائلا: اتلمي أحسن هتشوفي مني الوش التاني أنا خلاص صبري قرب ينفد.

لترد المتهمة قائلة: متزعلش نفسك يا باشا ما عاش اللي يزعلك، وإن شالله يموت ويروح في ستين داهية اللي ينرفز سعادتك وللا يزعلك؟

وتواصل قائلة: ويارِيت يا باشا نخلينا في الوش الأول الأمّور ده وبلاش التاني الله يخليك أحسن أنا عندي إحساس إنه هيزعلني ويضايقني وأنا بصراحة لا عايزة أزعل ولا أضايق منك يا باشا.

وتواصل قائلة: أنا هقولك يا باشا ع الحكاية من طقطق لسلامو عليكو، بس ياريت محدش يقاطعني.

ليقاطع وحيد قائلا: بقولك إيه أنا صبري خلاص والله خلاص يا.....

لترد قائلة: اللي أنا أقصده يا باشا إن فيه ناس دخلت عندكم متهمة ومع سبق الإصرار والترصد زي ما بتقولوا عندكم.

وتواصل قائلة: يعني ناس متهمة يا باشا قبضتوا عليها وجبتوها متلبسة من فوق سريرها.

وتواصل قائلة: وتتصور يا باشا متلبسة ومن فوق سريرها ومع كل ده خرجتوها برضو من عندكم وزي الشعرة م العجين ومن غير ما يتعملها أي محاضر وبقت حرة طليقة تنعم بالحرية بلا قيود.

ليرد الضابط وهو مازال يعاني الأمرين في كتم غيظه قائلا: وانتى بقى جبتي الكلام ده منين يا حلوة؟

لترد الحلوة قائلة: الله يخليك يا باشا ويجبر بخاطرك عشان كلمة حلوة دي واللي بقالي زمان مسمعتهاش مش عارفة ليه، يمكن

عشان الرجالة مبقاش عندها نظر؟ ولا يمكن أنا اللي نظري راح ومعاه راحت كل حاجة حلوة؟

وتواصل قائلة: الله يجبر بخاطرك عشان كلمة حلوة مع إن انت اللي حلو وجميل وعسولة خالص.

وتواصل المتبجحة قائلة: أنا هقول لسعادتك وهجيبلك م الآخر.

ليرد وحيد قائلا: أيوا أنا عايز من الآخر عشان أنا خلاص جبت أخري.

لتقاطع المتبجحة قائلة: الحكاية يا باشا إنه من أسبوعين تقريبًا فيه واحدة جات لكم بعد ما قبضتوا عليها لامؤاخذة متلبسة، قصدي من ع السرير بلبوصة خالص كما ولدتها أمها واللي كان معاها ساعة ما كانت كما ولدتها أمها عربي خليجي.

وتواصل قائلة: لكن الأكادة إنه هرب منكم ونط من الشباك يا باشا، بس مش عارفة إذا كان هرب كما ولدته أمه أو غير ذلك الكدب خيبة يا سعادة البيه.

وتواصل قائلة: وبعد ما انتوا ما قبضتوا عليها وجبتوها هنا عندكم بلبوصة وبرضو كما ولدتها أمها فجأة ربنا هداها في خلال عشر دقايق وعلى إيديكم برضو يا باشا، والأدهى إنها كمان لبست نقاب وإزاي أنا معرفش؟

وتواصل قائلة: يعني تدخل عندكم بلبوصة تطلع منقبة؟ الظاهر إن انتوا سركم باتع يا سعادة الباشا وبركتكم في كل حتة ونمسك الخشب.

وتواصل قائلة: مع إنه في كارنا يا باشا الواحدة ممكن تيجي منقبة عشان تتدارى وبعدين تبقى بلبوصة لزوم الشغل والكفاح وأكل العيش، لكن الجديد واللي عمري ما شفته قبل كده إن واحدة تمسكوها بلبوصة كيوم ولدتها أمها تنقلب وبقدرة قادر لمنقبة!!

وتواصل قائلة: لكن الغريب يا باشا لما جات عندكم المتهمة المنقبة واللي كانت أستغفر الله العظيم بلبوصة لحد وقت ما دخلت لكم، بدال ما يتعملها محضر وتتعرض ع النيابة زي غيرها لقينا اتعملها كوبري وطريق داسته وخرجت على طول.

وتواصل قائلة: يعني باختصار مشتوها يا باشا ومن غير ما يتعملها أي حاجة، يعني كأنها مدخلتش عندكم من أساسه.

وتواصل قائلة: عارف ليه يا باشا عملتوا كدا معاها؟

يرد وحيد متهكما قائلا: لا مش عارف سعادتك يا ريت تقوليلي؟

ويواصل قائلا: مانتي عارفة كل حاجة وبتقولي على كل اللي محدش يعرفه، تبقى يعني جات على دي قولها يا شيخة ياللا وعشان خاطري والنبي هوا ليه احنا عملنا كدا معاها؟

فترد قائلة: بص يا باشا ورغم إن انت مش واخد كلامي على محمل الجد وشكلك بتهزى عليا، لكن أنا هقولك انتوا ليه مشتوها أو سربتوها، أولا مش لأجل إن هي بريئة لا سمح الله، وثانيا مش عشان سعادتها بتقبض بالعملة الصعبة وبتجيب دخل من العملات اللي شايفة دلالها اليومين دول!

ليرد وحيد متهكما قائلا: أنا شايف إن أولا وثانيًا مجبتش جديد، ياريت نخلينا في ثالثا أنا حاسس إن فيها الزبد وأكيد هنعرف منها الإجابة.

وتواصل المتبجحة قائلة: أيوا طبعا التالتة تابتة زي ما بيقولوا، وثالثا فعلا فيها الجواب الشافي وهو إن انتوا يا باشا وللأسف مشتوها وسربتوها بسرعة البرق بعد ما غطتوها قصدي نقبتوها عشان كنتوا خايفين حد يلمحها من هنا ولا من هنا يقوم يتعرف عليها ويعرفها وتبقى فضيحة، عارف ليه يا باشا؟ عشان المتهمة طلعت أخت زوجة الظابط بتاعكم.

وتواصل قائلة: ومش بس كدا، دا انتم مشيتوا المتهمة التانية اللي كانت معاها في الأوكازيون بتاع أخت مرات الضابط.

وتواصل قائلة: ماهو أنا لو محظوظة كنت عرفت وكنت جيت لكم في فترة الأوكازيون، لكن للأسف محدش كان يعرف بميعاده.

وتواصل قائلة: لكن إكمن انتوا أول مرة تعملوا الأكازيون وفجأة كمان، عشان كدا المواعيد بتاعتي مظبتتش، لكن إن شاء الله بعد كدا مش هيفوتني وهظبط مواعيدي عليه، وعلى رأي المثل الجايات أكتر م الرايحات وإحنا هنروح من بعض فين؟ دا الدنيا صغيرة يا باشا؟

وتواصل متبجحة أكثر وأكثر قائلة: بس ياريت يافندم تحطوا على بابكم يافطة بأيام الأوكازيون السنوي ومواعيده، وياريت كمان يافندم ميتعملش فجأة زي ماحصل، يعني واجب تنوهوا عنه قبلها

بفترة ويبقى فيه إعلانات عشان الكل يستعد له وكمان عشان يحقق أكبر فايدة ويستثمر صح.

وعندها يقاطع وحيد قائلا: أقسم بالله أنا خلاص صبري نفد منك يا بنت الـ.... وشكلي كدا راح أفرغ الطبنجة في دماغ اللي خلفوكي واخلص.

لتقاطع المتبجحة قائلة: وعلى إيه يافندم هتدخل نفسك في سين وجيم عشان واحدة زي حالاتي ماتساويش!

وتواصل المتبجحة قائلة: أنا كل اللي بادور عليه إني أفهم ليه عملتوا كدا مع المنقبة واللي كانت معاها؟ يعني لو كنتوا مشيتوها قبل ما تروح النيابة عشان خطأ في الإجراءات نقول ماشي، أو عشان مفيش أدلة ثبوت ولا أحراز نقول ماشي.

وتواصل قائلة: ولو كنتوا مشيتوها عشان طلعت بريئة والحكاية جات كده وكانت غلطة برضو كنا قلنا ماشي!

وتواصل قائلة: لكن اللي مش ماشي خالص إنكم تمشوها يا سعادة الباشا عشان أخت مرات بسلامته الظابط بتاعكم أهي دي بقى تبقى كوسة ومش بس كوسة دي تبقى قرع عسلي وقرع عسلي كمان كبير قوي يا باشا.

وعندها لم يستطع وحيد أن يتحكم في نفسه ليفاجأ كل من في القسم بصوته العالي وهو يؤنب المتهمة ويوبخها ويعنفها بشدة ويقول لها: والله لاوريكي يا بنت الـ.... أيام أسود من شعر راسك وهخليكي عبرة لأي سافلة يا داعرة.

وعندها يتدخل الأمين **عبد البر** قائلا: يافندم متزعلش نفسك وترفع ضغط سعادتك عشان واحدة زي دي.

ويواصل قائلا: ياريت تهدى يافندم وتريح أعصابك أصل أنا عارفها كويس دي متهمة رزلة وملهاش لازمة.

وينادي عبد البر على عامل البوفيه قائلا: هات واحد ليمون ساقع للباشا يا بني وبسرعة.

ليقاطع وحيد قائلا: وانت تعرف الزبالة دي منين يا عبد البر؟

ليرد عبد البر قائلا: يافندم سعادتك عارف إن أنا هنا من خمستاشر سنة، وفي أول يوم شغل ليا أيام ما كان مكتبنا في شارع **المندور** بسلامتها كانت مشرفة وبعدها اتكررت زيارتها تلات أربع مرات في المكتب القديم، ولما نقلنا المكتب الجديد من سبع سنين تقريبا ماشفتهاش ولا مرة إلا النهاردة.

ليرد وحيد قائلا: لاجل حظي المنيل يا عبد البر، يعني سبع سنين وماتجيش إلا النهاردة؟

ويواصل قائلا: بس تفتكر يا عبد البر هي كانت فين المدة دي كلها؟ جالها عقد عمل برًا وللا حاجة؟ وللا تابت ورجعت تاني حنت لماضيها الزبالة؟

ليرد عبد البر قائلا: مع احترامي سعادتك لا ده ولا ده، كل الحكاية تلاقي الطلب قل عليها مع مرور الزمن يعني تلاقيها يا دوب بتشتغل تفاريح كدا.

لتقاطع المتبجحة منفعلة قائلة: طلب إيه اللي قل يا سيادة الأمين، انت لامؤاخذة غلطان في كل اللي قلته للباشا.

ليقاطع وحيد وبعد أن هدأ قليلا قائلا: طب خلاص الأمين عبد البر غلطان وزي ما بتقولي، بس إيه اللي خلا سعادتك ماتشرفيش عندنا المدة الطويلة دي ياريت تقوليلنا حضرتك واحنا كلنا آذان صاغية.

لترد المتهمة قائلة: بص يافندم إحنا في شغلانتنا دي الواحدة في الفترة الأولانية وأول ما تظهر تحاول تشتغل كتير عشان تبين إمكانياتها وتثبت وجودها، وعشان كدا بترضي بأي حاجة وفي أي مكان، عشان كدا كان بسهولة ممكن تتقفش زي ما حصل معايا في الأول.

وتواصل قائلة: لكن بعد كدا وفي المرحلة التانية اللي أنا فيها دلوقتي، وبعد ما تكون الواحدة حققت آمالها واللي هي عايزاه تبتدي بقى تدقق وتختار أدوارها، قصدي زباينها وكمان تحط شروطها، يعني مثلا أنا دلوقتي أول ما يتعرض عليا شغل لازم أنا اللي أحدد فين ومع مين وكمان نوع العملة وبكام؟

ليرد متهكما وحيد قائلا: أول مرة أعرف إن سعادتك فنانة، صحيح اللي ما يعرفك يجهلك!

لترد المتبجحة قائلة: يافندم كل واحد فنان في شغلانته خصوصًا لو كان بيحبها.

وتواصل قائلة: تتصور يا باشا أنا فعلا غلطانة ومش غلطة واحدة دول غلطتين، الغلطة الأولى عشان بتكلم مع سعادتك بنية خالصة وسعادتك مش عاجبك كلامي وكمان بتتهكم عليا، وتلاقيك كمان بتفكر وتقول عليا إني بجيب كلام من عندي وبألف روايات مع إني بقول الحقيقة ولا غيرها.

وتواصل قائلة: والغلطة التانية اللي غلطها وباندم نفسي عليها هي إن أنا كان المفروض أجيلكم منقبة عشان تمشوني زي ما حصل مع بتاعة النقاب، قصدي أخت مرات الضابط!

وتواصل قائلة: على فكرة يا باشا أنا قلت كلامي وكل اللي عندي وحكيت حكايتي مع الزمان ومن طقطق لسلامو عليكم واللي انتوا عايزينه اعملوه.

وتواصل قائلة: وكمان أحب أقولك يا باشا إن الكلام اللي أنا قلته ع المتهمة بتاعة النقاب واللي معاها مفهوش كلمة ماحصلتش وأنا مابتجناش على حد يا باشا.

وتواصل قائلة: أيوا يا باشا أنا بقول اللي حصل وبس مابزودش ولا أحب التزويد.

وتواصل قائلة: أنا يمكن فيا كل الموبقات وداعرة زي ما بتقولوا وباعمل كل الأخطاء ويمكن حتى وصلت للخطايا، لكن عمري ما أظلم وعمري ما أتجنى على حد وأرميه بالباطل أبدًا أبدًا.

وتواصل قائلة: وكمان هزيدك م الشعر بيت يا باشا، إن الموضوع بتاع المنقبة واللي كانت معاها كان من أسبوعين يا باشا وياريت

سعادتك تتأكد من كلامي ده من دفاتركم وسجلاتكم، وللا جايز انتوا مبتسجلوش إلا الغلابة اللي ملهمش ضهر اللي زي حالاتنا!

ورغم البجاحة المتناهية من المتهمة وردودها المستفزة إلا أن وحيد استطاع أن يكمل محضره كما يجب أن يكون، بل وفند كل أدلة الثبوت والشواهد التي تدين المتهمة، بالإضافة للأحراز المضبوطة معها من سجائر محشوة بالمخدرات ومنشطات جنسية ومبلغ كبير من النقود وموبايل وكل ما وجد معها.

وبعد أن تمم وحيد كل شيء نادى على المساعد **عطية** قائلا له: بص يا مساعد عطية أنا عايزك تحط الزبالة دي في البوكس وع النيابة طوالي وتيجي وتديني تمام.

ليرد المساعد عطية مستفسرًا قائلا: هوا يافندم إحنا مش هنستنى لما ناخد الاتنين التانيين معاها؟

(يقصد إن هناك اثنتين من المتهمات باقيتين)

ليرد عليه وحيد قائلا: لأه يا عطية، وزي ما بقولك بسرعة عشان عايزها تبات في السجن الليلة.

ويواصل وحيد قائلا: وإن شاء الله في السجن هيتوصى عليها وتاخد حقها كامل مكمل عشان تتعلم وتعرف الصح م الغلط وتبطل البجاحة والهبل اللي هي فيه وتعرف هي بتكلم مين، وإزاي تتكلم بأدب.

ويخرج المساعد بالمتهمة وهى مازالت تهذي ببعض كلماتها

قائلة: يا باشا هو أنا لو بعرف الصح م الغلط كنت جيت لك؟ ولو كنت أعرف الأدب كنت ولا مؤاخذة اتقفشت آداب؟!!

وتواصل قائلة: ودي برضو غلطتي وماقدرش أبرأ نفسي منها.

ليرد وحيد قائلا: على فكرة دي تبقى الغلطة التالتة ليكي ومش عايز أعرف هي إيه يلا بالسلامة.

لترد المتبجحة قائلة: لا وحياة غلاوتك يا باشا مانا ماشية إلا لما أقولهالك.

ليرد وحيد قائلا: ياللا خلصينا بس في نص دقيقة مش أكتر.

لتقول المتبجحة: أنا غلطانة يا باشا لأني ما ذاكرتش كويس لأني لو ذاكرت كويس كنت رحت طب مش اتاخدت آداب.

ليرد وحيد قائلا: متزعليش نفسك يا حلوة مانا حققتلك الأمنية اللي انتي ماعرفتيش تحققيها، وكلها دقايق وهتتحولي من الآداب ع الطب بس الشرعي يا نن عين أمك.

❊ ❊ ❊

صصة وبشبوشة !

وتواصل المتبجحة عند خروجها قائلة: ياللا ياحضرة الصول، شرعي شرعي ما احنا متعودين على كده عشان ملناش ضهر.

وتواصل قائلة: واللي ملوش ضهر أكيد ينضرب على إيه يا حضرة الصول؟

ليرد الصول عطية ويعنفها قائلا: ياللا يا متهمة يا بجحة وأنا هقولك ينضرب فين بالظبط وأعرفك كويس في الطريق.

ثم تزيد المتهمة في تهكمها وهى تمضغ اللبان قائلة: ياللا ياحضرة الصول ع النيابة، دي النيابة حبيبة الشعب والشعب حبيب النيابة.

وتواصل كلامها للصول متهكمة ساخرة وقائلة: إلا انت يا صصة ليه ماطلعتش جوز أختي؟

وتواصل قائلة: على الأقل يا صصة كنت نفعت في الظروف المنيلة اللي احنا فيها دي.

ليرد الصول قائلا: ياللا يا بجحة هوا انتي لسه ليكي نفس تنكتي ولا حتى تتكلمي من أساسه بعد اللي انتي فيه ده؟

ويواصل الصول عطية قائلا: صحيح اللي اختشوا ماتوا.

لترد المتهمة على الصول ضاحكة قائلة: أديك قلتها بنفسك اللي اختشوا ماتوا، وأنا بقى بحب الحياة وعايزة أعيش، يبقى اختشي ليه يا صصه يا عسل؟!

وما إن خرجت المتهمة في سبيلها إلى النيابة حتى انتابت وحيد الحيرة وألمت به الدهشة بسبب ما كان من تلك المتهمة المتبجحة، وما زاد من حيرته واندهاشه تلميحها وإن شئت قل اتهامها المباشر للمكتب ولكل العاملين فيه.

وها هو وحيد مازال يسأل نفسه قائلا: هل فعلا أننا قد أطلقنا سراح إحدى المتهمات منذ أسبوعين لكونها أخت لزوجة أحد الضباط العاملين بالإدارة؟

وعندها يتذكر وحيد أنه كان هناك وبالفعل متهمة منقبة كما قالت المتبجحة منذ أسبوعين أيضًا، وأنه لم يتم عمل محضر لها وبالفعل تركها الضابط ضياء تخرج ولم يتم حتى تسجيل اسمها أو أية بيانات تخصها، وكذلك تم صرف المتهمة الأخرى التي كانت معها في ذات اليوم.

وها هو وحيد مازال يحدث نفسه قائلا: نعم كل ذلك وبالضبط حدث منذ أسبوعين كما قالت المتهمة المتبجحة.

وعند ذلك كادت رأس وحيد أن تنفجر مما هو بداخلها من صداع ألم به وداهمه أثناء عمل المحضر للمتهمة المتبجحة، بالرغم من أن الحديث مع تلك المتهمة حتى وإن كان غتيتا مريرًا زاد من آلام وحيد وهمومه، بل جعله يجنح بعيدًا بفكره وخياله، إلا أنه لم يخلُ من

بعض الفكاهة وروح الدعابة والسخرية، وها هو وحيد يغدو مترجلا في غرفته ذهابا وإيابا ضاربا أسداسًا في أخماس يفكر مهمومًا شاردًا يتأمل هنا وأحيانا هناك، ويحدث نفسه قائلا: أنا حتى نسيت أسألها هي مين المتهمة المنقبة واسمها إيه وأخت مين بالظبط؟

ثم سرعان ما يرد على نفسه قائلا: لا بلاش تغالط نفسك يا وحيد أنا مانستش والله مانسيت.

ويواصل قائلا: أنا تناسيت فعلا وقاصد وهي دي الحقيقة لكن أبدًا مانستش.

ويواصل قائلا: أيوا عملت نفسي ناسي.

ويرد على نفسه قائلا: نعم هي دي الحقيقة، أنا عملت زي النعامة اللي حطت راسها في الرملة وفكرت ماحدش هيشفها وأتاري الدنيا كلها شايفاها إلا هي.

ويواصل عتابه ولومه لنفسه وجلده لذاته قائلا: أكيد أنا خفت أسألها لتطلع اللي تقصدها المتبجحة حد أعرفه ويمكن يكون أكتر من كدا، وأكيد أكيد أكتر من كده.

ويواصل جلده لذاته قائلا: وجايز مسألتش عشان ماكنتش عايز أجاريها في كلامها واتهامها وعشان أوصل لها رسالة مفادها إن الكلام ده عمره ما يحصل أبدًا في إدارتنا وهي دي الحقيقة فعلا.

ثم استطرد وحيد محدثا نفسه قائلا: والله أنا خلاص وصلت لدرجة إني مش عارف الحقيقة فين.

ويواصل حديثه قائلا: المتهمة بتقول إنها أخت زوجة ضابط ومفيش حد ضابط عندنا غير الرائد ضياء وأنا.

ثم يواصل قائلا: لكن كمان أنا من أسبوعين طبعًا ماكنتش لسه علقت يعني كان ضابط واحد.

ويواصل قائلا: وبعدين المتهمة قالتها صريحة لما قالت أخت مرات الظابط بتاعكم، وطبعا الظابط بتاعنا مفيش غيره الظابط ضياء.

ثم ما يلبث أن يكلم نفسه قائلا: لا لا الظابط ضياء مش ممكن، لا مش ممكن، ثم لو كان دا حقيقي أكيد كان هيعرف المتهمة من صوتها من مشيتها، ماكانش ممكن هيستنى لما تترجاه وتتوسل إليه والكلام ده كان قدامي.

ثم يعود مرة أخرى ليقول: بس أنا فاكر المتهمة فعلا ماكانتش بتتكلم، كانت بتشاور وتهمس وبس، يا ترى فيه إيه؟ يا ترى رايحين على فين؟

ثم يواصل حديثه مع نفسه قائلا: الله يخرب بيت دي متهمة ويخرب بيت كل المتهمات اللي خلوا دماغي خلاص هينفجر مني.

ثم يعاود محادثة نفسه قائلا: بس المجنونة دي كانت واثقة وكأنها عارفة ومتأكدة من كل كلمة بتقولها، وكمان قالت إنها ممكن تكون عملت كل الغلط اللي في الدنيا لكن عمرها ما تتجنى على حد أبدًا، وأنا بصراحة كنت حاسس إنها صادقة في الحتة دي بالذات.

وواصل وحيد حديثه الصامت مع نفسه قائلا: مما يزيد ظنوني وشكوكي وأستغفر الله العظيم يارب، إنه فعلا كان فيه متهمة منقبة

ومن أسبوعين، ودي حقيقة وواقع وبالفعل تم تسريبها أو صرفها، وكمان فعلا الضابط ضياء ماكانش كما هي عادته وقتها، كان شكله شارد ومتوتر وحتى انفعل وتغيرت ملامحه ساعة ما سألته سعادتك ليه مشيت المتهمة؟

ويواصل حديثه مع نفسه قائلا: واللي هيجنني أكتر إنه فعلا كان فيه متهمة تانية وتم صرفها أو تسريبها هي كمان.

ثم يواصل حديثه قائلا: يا ترى إيه تفسير كل ده؟ وكله حصل قدام عنيه.

ثم يواصل قائلا: أستغفر الله العظيم إن بعض الظن إثم!

وتمر الدقائق ثقيلة على الضابط وحيد وهو مازال كما هو يغوص في بحر حيرته ودهشته حيث إنه مازال يسأل نفسه مرارًا وتكرارًا: ترى من تلك المنقبة التي أرقتني كثيرًا؟ وبالطبع بل ومن المؤكد أنها قد أرقت الضابط ضياء أيضًا، وما يؤكد كلامي ويبرهن على صحته أنه ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الضابط ضياء كما تعودناه ضياءً وكما هي عادته ضاحكا مبتسمًا وساخرًا في أوقات كثيرة.

ويواصل حديثه لنفسه قائلا: هل فعلا ما حدث له علاقة بموضوع خطوبتي وذلك التغير الذي حدث في موقف الضابط ضياء والذي كان قبل تلك الواقعة مؤيدًا لي ومشجعًا، ثم كان رفضهم الذي كان مفاجئًا بالنسبة لي فقد تعودتهم مبتهجين سعداء منذ مفاتحتهم في موضوع زواجي حتى جاء ذلك اليوم المشئوم، فتغير كل شيء

بالفعل وتبدلت المواقف وتغيرت الردود وأصبحت مغايرة تمامًا لما كان قبل ذلك التاريخ.

ويواصل وحيد معاناته الصامتة قائلا: إذا كان الموضوع كما قالت المتهمة المتبجحة فعلا، يا إلهي ماذا يحدث لي؟ إنني لا أستطيع حتى التفكير فيما سيكون وما يترتب.

ثم مالبث أن استدار ورفع يده قائلا: يارب أدعوك أن تخيب كل ظنوني وتهجرني كل شكوكي حتى وإن لم تتم خطوبتي أو ارتباطي ومصاهرتي لتلك الأسرة.

وفي تلك الاثناء عاد الصول عطية من النيابة وعليه يدخل على الضابط وحيد المكتب وهو مازال في غفوته شاردًا يفكر ليخرجه الصول عطية مما هو فيه، حيث نادى عطية قائلا: خلاص كله تمام يافندم وديتها وجيت على طول.

ليرد وحيد مفزوعًا من صوت عطية العالي قائلا: وديت مين؟ وفين؟

ليقاطع عطية قائلا: وديت المتهمة البجحة يافندم ووديتها النيابة سعادتك.

ويواصل عطية قائلا: هو مال سعادتك يافندم فيه حاجة وللا إيه؟

ليرد وحيد قائلا: لا لا أبدًا مافيش حاجة خلاص روح انت يا عطية.

ليرد عطية قائلا: بس قبل ما أمشي يا باشا فيه سؤال عندي محيرني شوية ممكن أسأله لسعادتك؟

ليرد وحيد قائلا: اسأل يا عطية وخلصني.

ليسأل عطية قائلا: يعني إيه صصة دي يافندم؟

ليرد وحيد قائلا: وجبت صصة منين دي يا عطية؟

ليرد عطية قائلا: اللي قالتها لي البجحة اللي شحنتها ع النيابة سعادتك.

ليرد وحيد وبابتسامة عريضة ساخرة قائلا: لما أعرف أنا الأول يعني إيه بشبوشة يا عطية أكيد ساعتها هقولك يعني إيه صصة.

ليرد عطية قائلا: طب وسعادتك هتعرف بشبوشة إمتى يافندم؟

ليقاطع وحيد قائلا: ابعد يا عطية من قدامي الساعة دي!!

❊ ❊ ❊

طوفان الشك !

وبعد خروج عطية وبعد البسمة التي أعادها لوحيد بأسئلته الساذجة والتي قد تصل إلى درجة الغباء، تلك البسمة المؤقتة والتي لم تدم إلا لثواني معدودة ليعود بعدها وحيد إلى نفسه وإن شئت قل إلى همومه مرة أخرى.

وها هو يحدث نفسه مرة أخرى قائلا: عليّ أن أخرج سريعًا مما أنا فيه وإلا ستكون قطعًا نهايتي، لذا سأذهب الآن وبأقصى سرعة إلى حيث والدي فهو في أمس الحاجة لي، كما أنني أشد منه حاجة إليه، فها أنا أصبحت عاجزًا لا أستطيع أن أساعد حتى نفسي بعد أن شل تفكيري وغابت عني إرادتي وسكنتني همومي واحتوتني وساوسي وشكوكي، لكني سأذهب وأرتمي في أحضانه، فلم يعد لي غيره بعد أن ضاعت مني محبوبتي وضاع حتى طريقي وفقدت مقدرتي وقدراتي وتاهت مني نفسي ولن أجدها طالما لم أعرف أين أنا أو مكاني ودوري وعناويني.

وبالفعل يذهب وحيد إلى المستشفى لا من أجل الاطمئنان على والده فحسب والذي مازال بالمستشفي لم يتعافَ بعد، وإن كانت ولله الحمد حالته مطمئنة ومستقرة، لكن ربما كان ذهابه بعد ساعتين من زيارته الصباحية هروبًا وفرارًا من واقع مؤلم يعيشه

وحالة من اليأس والإحباط تسببت فيه تلك المتهمة المتبجحة سليطة اللسان حتى وإن كان وحيد وفي قرارة نفسه وفي أعماقه مقتنعًا بجزء كبير من روايتها وما قالته.

وفي المستشفى حيث يرقد والده كانت هناك مفاجأة أخرى في انتظاره وبالتأكيد لا تخص والده، وكأن وحيد قد تعود تلك المفاجآت المتتالية خاصة في الأيام الأخيرة والتي كانت في أغلبها وللأسف غير سعيدة، خاصة آخر تلك المفاجآت والتي كانت بطلتها المتهمة المتبجحة وما ترتب عليها وتبعاتها من هموم وظنون.

فأثناء زيارة وحيد للمستشفى وهو في طريقه إلى غرفة والده لمح وحيد الضابط ضياء لحظة خروجه من غرفة الأطباء وبالتحديد في إحدى طرقات المستشفى، وكان يبدو على ملامحه الانزعاج والقلق مما يوحي أن هناك شيئًا ما قد حدث له أو لأي من معارفه أو أقاربه، وعليه يسرع إليه وحيد ليسأله متلهفا قائلا: خير يا باشا فيه إيه؟

فيرد عليه الضابط ضياء مهموما قائلا: أبدًا مفيش يا وحيد.

ليعاود وحيد قائلا: فيه إيه يا باشا قلي لو سمحت سعادتك ماتسبنيش كدا.

ليرد ضياء قائلا: مش عايز أضايقك يا وحيد وأنا عارف اللي انت فيه.

ليرد وحيد قائلا: يا باشا حرام قلي سعادتك أنا مش ناقص سعادتك يافندم أنا اللي فيا مكفيني سعادتك.

ويواصل قائلا: وماتخفش عليا سعادتك أنا خلاص زي ما بيقولوا جتتي نحست من كتر اللي شفته وفي الأيام الأخيرة بالذات.

ليرد ضياء قائلا: الحكاية إن نجمة عملت حادثة بعربيتها وهي محجوزة هنا في المستشفى دلوقتي.

وعليه يقول وحيد وبلهفة يلفها الخوف والهلع: بتقول نجمة؟

ويواصل قائلا: إيه اللي حصلها يا باشا طمني قلي إيه اللي جرالها؟

واستطرد متلهفا يقول: هي فين يا باشا؟ أنا عايز أشوفها هي فين؟

فيقول له ضياء: هي في الغرفة ١١٣ الدور الثالث ومعاها ندى زوجتي.

ويواصل ضياء قائلا: روح شوفها يا وحيد وخمس دقايق وهاجيك على طول على هناك، يا دوب هشوف الأشعة طلع فيها إيه؟ وربنا يجيب اللي فيه الخير.

وعليه يسرع وحيد مهلهلا وممزقا إلى حيث تكون نجمة ليفاجأ بمحبوبته ممددة على السرير لا حول لها ولا قوة مغمضة العينين ويدها اليسرى ملفوفة برباط وشاش من الرسغ حتى ما قبل الكوع.

ليسأل بلهفة وخوف ندى مرتجفا قائلا: خير يافندم مالها نجمة؟ وإيه اللي حصلها؟

لترد عليه ندى قائلة: خير الحمد لله وإن شاء الله بسيطة وهي نايمة دلوقتي عشان البنج اللي أخدته لما كانوا بيخيطوا لها الجرح اللي في إيديها.

وتواصل قائلة: حتى ضياء لسا قافل معايا وطمني ع الأشعة وقال إن الدكتور قاله إن الأشعة زي الفل ومافيش أي حاجة الحمد لله، وكمان قالي إن انت كنت معاه وإنك جاي على هنا عشان تطمن على نجمة.

ليسأل وحيد مرة أخرى قائلا: واللي حصلها ده من إيه يافندم وإزاي وفين حضرتك؟ بالله عليكي قوليلي يا هانم؟

لتجيب ندى قائلة: والله كل اللي أعرفه إنها حادثة عربية حصلت لها وهي رايحة البنك النهاردة الصبح.

ليسأل وحيد قائلا: وفين دا حصل؟ وعربية مين؟

لترد ندى قائلة: فين دا حصل والله ما أعرف المكان بالظبط يا وحيد، لكن ضياء هوا أكيد اللي عارف لأنه هو اللي نقلها هنا لما اتصلوا بيه قبل ما يبلغني عشان آجي بسرعة، وللأسف أنا حتى جيت لقيتها في أوضة العمليات.

وتواصل قائلة: ضياء قالي إنه مش عارف إزاي وهي سايقة العربية دخلت في الحاجز أو الطابان اللي في الجزيرة اللي ف نص الطريق.

وتواصل قائلة: الظاهر كانت نايمة ولا حاجة.

وتواصل قائلة: أنا لحد دلوقتي ماعرفش إيه اللي حصل بالظبط ومش عارفة كمان حصل إزاي؟

وتواصل قائلة: لكن الحمد لله نحمده ونشكر فضله اللي جات لحد كدا "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"

ليرد وحيد قائلا: خدي بالك من نجمة يا ندى هانم لأن نجمة كتير اللي بيحصلها ده وهي مسكينة هتتحمل إيه ولا إيه؟

لترد ندى قائلة: جرا إيه يا وحيد انت هتوصيني على نجمة؟ دي أختي وحبيبتي وملناش غير بعضينا، بس انت اللي شكلك مرهق وتعبان وباين عليك مانمتش.

وعليه يسأل وحيد قائلا: طب فيه أي حاجة ممكن أعملها يا ندى هانم؟

ويواصل قائلا: بالله عليكي أؤمريني حضرتك؟

فتجيبه ندى قائلة: لا متشكرين جدا يا وحيد ولو فيه أي حاجة كنت هقولك.

وتواصل قائلة: وبعدين انت عارف إن ضياء جوزي معانا هنا وهو اللي نقل نجمة المستشفى قبل حتى ما يبلغني زي ما قلتلك.

ليرد وحيد قائلا: الحمد لله يا هانم اللي جات لحد كدا "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

ويواصل قائلا: وإن شاء الله ربنا يطمنا عليها وتتعافى.

لتسأله ندى قائلة: إلا انت علمت منين يا وحيد وبالسرعة دي جيت هنا؟

وتواصل قائلة: دا احنا ماقلناش لحد، حتى ماما وخالو لحد دلوقتي مايعرفوش.

ليرد عليها وحيد حزينا وساخرًا في الوقت نفسه قائلا: قلبي دليلي يا هانم، وبعدين دي نجمة وحضرتك أكيد عارفة يعني إيه نجمة

بالنسبة لي، نجمة هي أغلى ما ليا في كل الدنيا دي والله يا هانم أغلى ما ليا.

❊ ❊ ❊

كما لو كان انتحاراً

ثم يخرج وحيد من الحجرة حزينا بسبب ما حدث لنجمة وها هو يسير في إحدى طرقات المستشفى مهموما.

ليحدث نفسه قائلا: وبعدين معاكي يا دنيا؟ مالك نازلة عليه كدا؟ خفي عليا شوية حرام عليكي أنا بشر أنا إنسان ارحميني.

لكنه ما لبث أن توقف فجأة ونظر إلى أعلى وكأنه قد اكتشف شيئا ما أو أن هناك جديدًا قد حدث بعد زيارته لنجمة، ترى ما هو هذا الشيء الذي قد يكون اكتشفه وحيد فجأة؟ وما هو الجديد الذي زاد من حيرته وهمومه؟

هذا ما سوف تكشفه لنا الأحداث وبالتحديد في السطور القليلة التالية.

وحيث انتهى المطاف بوحيد في حجرة والده وجده يغط في سبات عميق وعليه استشف بفطرته ما يطمئنه عن حالته الصحية دون سؤال معالجيه أو إزعاج أطبائه وممرضيه، حيث إنه لو كان هناك أي مكروه لا قدر الله ما كان لينام هكذا وبتلك الأريحية والهدوء، وها هو قد جلس بجوار السرير شاردا مهموما وكما هي عادته في تلكم الأيام خاصة الأخيرة منها.

وبالرغم من أنه قد غادر مكتبه هروبًا مما هو فيه وفرارًا من جحيم الوساوس والهلاوس والتي داهمته عقب ما حدث من المتهمة المتبجحة والتي كما يقولون قد زادت الطين بلة، وها هو المسكين قد جاء إلى المستشفي محاولا نسيان ما قد حدث فإذا به يغرق ويغوص في بحر همومه وظنونه ولا يدري متى وكيف ستنتهي وتزول كل تلك الوساوس والشكوك.

وتوالت الأسئلة الحرجة والتساؤلات المريبة تباعًا في رأسه وتدفقت الاستفسارات عليه من هنا ومن هناك لدرجة تشعرنا بالقلق على هذا الشاب المسكين، حيث كلها تدور في رأسه ذهابا وإيابا وهو حتى اللحظة لايجد أية إجابات شافية أو حتى ردود مقنعة قد تساعده في الهروب مما هو فيه أو تأخذ بيده وتعينه لينجو من ويلات أوهامه وجحيم شكوكه ووساوسه وكل ما يدور بداخله.

وما هي إلا دقائق معدودة حتى أصبح المسكين مفتونا مهزومًا تمامًا وأضحى أسيرًا لا حول له ولا قوة لكل وساوسه وظنونه لتتقاذفه يمينا ويسارًا، وتراه قد بدا عليه وكأنه مكبل وكل فكره وأفكاره ليبدو قليل الحيلة منزوع الإرادة.

وها هو قد بدأ يتذكر ويذكر نفسه بأسوأ ما كان من أحداث وبالطبع أهمها ما حدث له اليوم صباحًا وقبل أن يأتي إلى المستشفى وكل ما جاء على لسان المتهمة المتبجحة وكأنه الآن يراه ويسمعه كما لو كان على شريط سينمائي يلف ويدور، وعليه وبسبب ما يحيطه من ضغوط وما ينتابه من وساوس أضحت كل

أفكاره مشوشة مغلوطة لدرجة أن تهيأ له أن الحادث الذي تعرضت له نجمة لم يكن وبكل تأكيد حادث سيارة كما أخبرته زوجة الضابط ضياء وكما قال له ضياء نفسه.

وها هو يسأل نفسه مستنكرًا قائلا: منذ متى لا يصيب حادث السيارة سوى اليد اليسرى وبجرح قطعي وأسفل رسغ اليد فقط؟

ويواصل حديثه لنفسه قائلا: مع كل الاحترام والتقدير لندى هانم والضابط ضياء لكن يجب أن لا ننسى أن نجمة هي أختها الشقيقة والعزيزة عليها بكل تأكيد.

ويواصل قائلا: بل إن الحادث وإن لم تكن هناك دلائل أو إثباتات تؤكده أو حتى تنفيه فهو على ما يبدو انتحار.

ويواصل قائلا: الحادث لا يبدو بل من المؤكد أنه انتحار.

ويواصل قائلا: بكل تأكيد إنه انتحار، كما أنه من المؤكد أن الانتحار قد تم بقطع شرايين اليد اليسري كما هو شائع ومعروف خاصة في حالات انتحار الفتيات والنساء.

ويواصل قائلا: ترى ما الذي دفعها إلى الإقدام على تلك الجريمة النكراء؟

ويواصل قائلا: هل نجمة فعلا هي من كانت تقصدها المتبجحة الملعونة بحديثها الخبيث الملعون حين قالت أخت مرات الظابط بتاعكم؟

وكأن المسكين قد نسى تمامًا ما كان برأس المسكينة من كدمات حتى وإن لم تبدُ ظاهرة واضحة للعيان وكذلك الأشعة المقطعية وأشعة الرنين والتي كان الضابط ضياء في انتظار تقريرها لدرجة أن ضياء كان قلقا منزعجًا ولم يطمئن إلا بعد التقرير، حيث ثبت أنها سليمة تمامًا وعليه تحدث مع زوجته وطمأنها هي الأخرى بمجرد علمه بما جاء بالتقرير.

ونحن هنا وحتى لو كنا لا نلوم وحيد وهو في مثل حالته تلك في كل ما ذهب إليه من شطحات لكن في ذات الوقت لا نرضى له ولا نتمنى أبدًا له ولامثاله من شباب الضباط المعروف عنهم نشاطهم واجتهادهم وجديتهم في عملهم أن يصل بهم الحال كما وحيد ليحيوا مغيبين وأسرى مكبلين لكل وساوسهم وظنونهم.

وها هو مازال يحدث نفسه قائلا: يا ربي لا تدعني وحيدًا كما هو اسمي وساعدني فأنا لا أستطيع أن أتحمل كل ما يدور برأسي من هلاوس وظنون، ساعدني في الوصول إلى الحقيقة ولا غيرها، وكن معي في محنتي وكل كبواتي ووحدتي.

وأكمل قائلا: يا رب أنا لا أريد إلا الحقيقة ولا غيرها، أريد أن أعود إلى رشدي ويقيني، أريد الوصول إلى بر الأمان وأهرب من فتنتي وابتلاءاتي.

وواصل حديثه لنفسه قائلا: أنا هسيب كل حاجة على ربنا وأكيد كل شيء سيتضح مع الأيام وستظهر الحقيقة إن عاجلا أو آجلا وإن كنت مازلت في قرارة نفسي أتمناها مجرد ظنون وشكوك وأدعو ربي

أن لا تعدو أكثر من وساوس وهلاوس حتى وإن لم أرتبط بمن كانت يوما محبوبتي والتي من المؤكد أنها مازالت، وإلا ما كانت لهفتي عليها وتخوفاتي عندما علمت بما أصابها.

لكن ويالأسف مازال شريطه السينمائي يلف على بكراته أمامه ورغما عنه لنراه يعود به إلى ما حدث من نجمة يوم أن ذهب إليها في البنك.

وعليه يحدث نفسه قائلا: أظن الآن أنني ربما قد أدركت لماذا كان جفاؤها وقسوة ردودها والتي لم أعتدها عندما ذهبت إليها بالبنك، وأيضًا لماذا تبدل موقف الضابط ضياء منذ اليوم المشئوم الذي ابتلينا فيه بالمنقبة وقد كان هو الداعم والصديق المخلص دومًا ودائما، ناهيك عن أنه هو أول من بارك علاقتنا وتمنى لي ولنجمة أن تكتمل فرحتنا وتكلل بالزواج.

ثم يعود إلى نفسه محدثا وللمرة الرابعة أو الخامسة قائلا: ليت كل ما يدور برأسي أوهام وظنون، ليت كل ذلك لا يتعدى كونه ضربًا من الهلاوس والشكوك.

ونترك وحيد في هلاوسه وأوهامه والتي يبدو أنها لن تنتهي ولن تزول وتنمحى إلا بمفاجأة أخرى لكنها ومن المؤكد ستكون مفاجأة سعيدة في تلكم المرة، وهذا ما سنعرفه فيما هو قادم من أحداث بإذن الله.

ونذهب الآن إلى حيث غرفة نجمة وبعد إفاقتها تمامًا.

تحدثها أختها قائلة: عارفة مين جه لحدك وزارك يا نجمة من شوية وانتي لسة في البنج مش حاسة بأي حاجة؟

لترد نجمة بصوت واهن ضعيف قائلة: مين يا ندى اللي جاني؟
لترد ندى قائلة: ورينا فراستك ياللا يا حبيبتي وحذري فزري يا ست الكل مين يا ترى هوا اللي جه وزارك؟
لترد نجمة قائلة: يووووه ! هوا دا وقت هزار يا ندى؟ أنا تعبانة.
وتواصل قائلة: إنتي عارفة يا ندى إن أنا من التعب اللي جوايا يا دوب باتكلم بالعافية، فيا ريت يا أختي تقوليلي مين وتخلصيني.
لتجيبها ندى قائلة: اللي زارك من شوية يا حبيبتي هو وحيد، ويا عيني كانت حالته ربنا يعلم بيها واتخض خالص لما شافك نايمة ومربطة.
لكن نجمة وبدلا من أن يسعدها ما أخبرتها به ندى نراها لا تبالي ولاتهتم أو على ما يبدو تتظاهر بما ليس فيها، حيث إن عدم الاهتمام واللامبالاة والتي تحاول أن تظهرهما من جانبها لم يفلحا في ستر ما تخفيه وتكنه لوحيد من حب وتقدير، ولذلك افتضح أمرها سريعًا من خلال دموعها التي انهمرت من عينيها دون أن تنطق أو تتلفظ ولو بكلمة واحدة.
وعندها سألتها ندى قائلة: مالك يا نجمة انتي مش فرحانة إن وحيد جاء زارك وانت في البنج ولا انتي بتعمليهم عليا وعاملة نفسك تقيلة يا أختي العزيزة؟
وتواصل قائلة: أنا كنت عارفة ومتأكدة إن زيارة وحيد هتسعدك يا حبيبتي وعشان كدا قلتلك.

وتواصل قائلة: والحمد لله تأثير الزيارة بان عليكي على طول وبمجرد ما قلتلك رغم إنك بتحاولي تباني غير كدا بعدم اكتراثك ولامبالاتك، لكن على مين يا حبيبتي؟ دانا أختك الكبيرة وكمان انتي عارفة فراستي في المواضيع دي.

وتواصل قائلة: الظاهر إن انتي نسيتي يا حبيبتي إن فيه حاجات مهما عملنا مابنقدرش ندارِيها ومهما دارينا مابنقدرش نخبيها خصوصًا لو كانت الحاجات دي مشاعر وأحاسيس.

وتواصل قائلة: خلاص يا نجمة زي ما بيقولوا **كل شيء انكشف وبان** ونزول دموعك يا حبيبتي هوا اللي فضح المستور وبين المستخبي والمتداري.

لترد نجمة قائلة: وإيه فايدة دا كله ياحبيبتي؟ كل حاجة خلاص راحت لحالها ووحيد ضاع مني وراح من ساعة ما كنت عندكم.

وتواصل قائلة: لكن اللي فعلا محيرني لحد دلوقتي إني مش عارفة ليه وحيد راح وعشان إيه؟

لترد عليها أختها ندى قائلة: لا يا حبيبتي وحيد ماضاعش أبدًا وإن شاء الله وحيد ليكي وانتي ليه.

ثم تواصل ندى قائلة: إن شاء الله خطوبتكم هتتم وهنفرح بيكم قريب يا حبايبي.

وتواصل قائلة: وبعدين أنا نسيت أقولك يا حبيبتي، مش أنا عرفت إيه السبب اللي غير موقف ضياء من جوازك انتي ووحيد.

وتواصل قائلة: الحمد لله إن ضياء اقتنع إن موقفه كان غلط حتى لو كان عنده وجهة نظره في اللي حصل واللي خلاه ياخد موقفه الرافض.

وتواصل قائلة: وإن شاء الله النهاردة كان الاتفاق إنه هيقابل وحيد ويرجعوا المية لمجاريها، لكن الحادثة واللي حصل ليكي يا حبيبتي هوا اللي أخّر الموضوع.

لترد نجمة غاضبة منفعلة قائلة: مافيش حاجة هترجع يا ندى لا مية ولا مجاريها، انسوا المواضيع دي خالص.

وتواصل قائلة: أنا خلاص نسيت الكلام ده وأخدت قراري ومش هتجوز تاني زي ما قلت لكم قبل كده.

وتواصل قائلة: خلاص بقى وياريت ترحموني وتسيبوني ف حالي أنا خلاص تعبت حرام عليكوا كدا.

لتقاطع ندى قائلة: اهدي يا حبيبتي داحنا كلنا بنحبك ونعزك دانتي أجمل حاجة موجودة في حياتنا، دا انتي بنتي مش أختي الصغيرة رغم إني أكبر منك بتلات شهور بس.

وتواصل قائلة: أنا عارفة يا حبيبتي إنك بتقولي الكلام ده في لحظة غضب وانفعال وإن كله من ورا قلبك دانتي أختي وأنا اللي مربياكي وعارفة طبعك واللي جواكي.

وتواصل قائلة: أنا عارفة ومقدرة موقفك يا حبيبتي في اللي حصل، لكن بلاش يا حبيبتي نخلي انفعالنا يخلينا نغالط نفسنا ونقف ضد مصلحتنا؟

لترد نجمة قائلة: مع احترامي ليكي يا أختي انتي وأبيه ضياء وتقديري لكل مواقفكم معايا لكن عايزة أسألكم وأقولكم انتوا فاكريني إيه؟

وتواصل قائلة: فاكرين إن أنا مش إنسانة خالص وإن أنا حاجة كدا ملهاش لازمة؟! يعني كرسي خشب بيتشال من مكان لمكان وللا حتة موبليا تتحط في الركنة والمكان اللي انتوا تختاروه، يعني عايزيني لا رأي ولا إرادة؟

وتواصل قائلة: أنا عمري ما هكون كدا ولا هرضى لنفسي كدا أبدًا في أي يوم من الأيام، أنا إنسانة يا ناس ليا مشاعري وأحاسيسي.

وتواصل قائلة: وكمان ليا رأيي وأملك حرية نفسي وأعرف أكيد أسيطر على عواطفي وانفعالاتي، يعني أنا مش عيلة صغيرة يتلعب بيها الكورة مرة تنشاط هنا ومرة تنشاط هناك، وكمان كتير بينداس عليها وكتير قوي بترمي.

لترد ندى قائلة: سامحيني يا حبيبتي الموضوع مش زي ما انتي متصورة أبدًا ولا الحكاية زي ما انتي فاهمة، انتي مكبرة المواضيع ومضخماها ومدياها أكتر بكتير من حجمها.

وتواصل قائلة: اللي حصل أبسط بكتير م اللي في دماغك يا نجمة وعشان كدا أنا هقولك إيه اللي حصل قبل ما تروحي بعيد أكتر من كدا يا حبيبتي.

وتواصل قائلة: أيوا لازم أحكيلك الحكاية من الأول للآخر ويا ريت تسمعيني كويس وأنا متأكدة ألف في المية إن انتي بعد ما تسمعي

مني الكلام اللي هقولهولك هتهدي خالص وأكيد هتتغير وجهة نظرك مية وتمانين درجة.

ونترك نجمة تستمع من ندى لكل الحكاية في غرفتهما ونعود مرة أخرى إلى غرفة والد وحيد حيث مازال وحيد في ذات الجلسة بجوار والده شاردا مهمومًا.

❊ ❊ ❊

أبوة

ليفاجئه الوالد بعد أن استيقظ قائلا: مالك يا وحيد يا بني فيه إيه اللي تاعبك وشاغل تفكيرك بقالك فترة يا حبيبي؟ يا ترى فيه إيه يابني؟ ياريت تصارحني أنا أبوك برضو يا حبيبي.

ويواصل الوالد قائلا: يمكن يا حبيبي عشان حفلتك متعملتش بسبب مرضي اللي ماكانش في الحسبان وتعبي المفاجئ لكن الحمد لله يا حبيبي أنا دلوقتي بقيت تمام وممكن الدكاترة يكتبولي خروج ونروح بيتنا ونعمل حفلتنا ونفرح ونفرّح كل ناسنا وحبايبنا.

ليرد وحيد قائلا: إيه يا بابا ده؟ انت مش كنت نايم في سبات عميق؟ إيه اللي صحاك وفجأة كدا؟ وعمال تتكلم كأنك ماكنتش نايم خالص، انت كنت عامل نايم ولا إيه يا أبو وحيد بقى عليا الكلام ده يا حجيج؟

ليرد والد وحيد قائلا: انت كل حاجة واخدها هزار يا وحيد؟ أنا يا بني بتكلم بجد احنا نروح ونعمل حفلتنا ونفرح ونفرّح الدنيا كلها وكمان على طول بعدها نعمل حفلة خطوبتك وكفاية علينا اللي فات عايزين ننبسط شوية، وكمان نفسي أفرح بيك يا ابني قبل ما أموت يا حبيبي.

ليرد وحيد قائلا: ربنا يطولنا في عمرك يا بابا ويديك الصحة والعافية.

ويواصل قائلا: وكمان أنا بطمنك يا حجيج إن أنا تمام التمام ومافيش أي حاجة شغلاني أو تعباني، وإن شاء الله تخرج بالسلامة وتبقى حفلة سلامتك ورجوعك بيتك بالسلامة مع حفلتي ومعانا كل الناس اللي بتحبنا وكمان اللي متحبناش، يا أجمل أب في الدنيا.

ويواصل قائلا: رغم إن حفلتي كدا يا أبو وحيد هتبقى بعد الهنا بسنة.

ليرد الوالد مندهشًا قائلا: بعد الهنا بسنة إزاي يا وحيد يا بني؟ ليه أنا غبت في الغيبوبة قد إيه؟

ليقاطع وحيد قائلا: سنتين وتلات شهور وأربع أيام بالتمام والكمال.

ليرد الوالد قائلا: معقول الكلام اللي بتقوله يا وحيد؟

ليقاطع وحيد قائلا: لا يا بابا أنا باهزر معاك، كل غيبوبتك كانت يا دوب ساعة وانتهت والحمد لله، وانت جيت هنا الأربع والنهاردة الحد.

ويواصل وحيد قائلا: المهم بس إن انت تخف بسرعة وكل أوامرك هتتنفذ من الألف للياء يا أحلى أب في الدنيا يا راجل يا بركة.

ليرد الأب قائلا: انت دايما كدا يا حبيبي بتتحمل وتداري كل حاجة تضايقك وتعكنن عليك ومبتبينش عشان متزعلش اللي حواليك واللي جنبك واللي بيحبوك.

ويواصل قائلا: يعني انت عامل زي الشمعة بتتحرق عشان تنور لغيرها الطريق.

ويواصل داعيا لابنه قائلا: ربنا يا بني يسعدك دايما ويريحلك بالك على طول ويهدي سرك ويباركلك ويبعد عنك حرامه ويرزقك حلاله ويكرمك بفضله يا وحيد يا ابني.

ويواصل قائلا: ولد يا وحيد هوا أنا قعدت ف الغيبوبة سنتين وشوية ولا ساعة زي ما بتقول؟

ليرد وحيد قائلا: والله انت ما كملت ساعة في الغيبوبة يا بابا، وحكاية سنتين دي كانت هزار عشان أضحكك.

ويبدو أن دعوة الوالد التي دعا بها لوحيد قد أصابت بمجرد إن قالها، وكما يقولون يبدو أن أبواب السماء كانت مفتوحة وعلى مصراعيها، لكن متى وكيف يحدث ذلك؟ بالتأكيد هذا ما سوف نعرف كل تفاصيله في السطور القليلة التالية من الأحداث.

وها هو وحيد وفجأة يأتيه اتصال من الضابط ضياء وهو ما لم يتعوده وحيد خاصة في الأيام الأخيرة وإن شئت قل خلال الأسبوعين الأخيرين.

حيث يتحدث ضياء قائلا: فينك يا وحيد انت لسه في المستشفي ولا خرجت يا ابن الناس؟

ليرد وحيد قائلا: أيوا أنا في المستشفى لسا يا باشا، يا ترى فيه حاجة سعادتك؟

ليقاطع الضابط ضياء قائلا: لا خير إن شاء الله، بس ياريت يا وحيد متمشيش عشان أنا محتاج أقعد معاك شوية وشوية كتير كمان.

ويواصل قائلا: وكمان أنا نسيت أسألك انت عرفت ازاي ومين خبرك بحادثة نجمة؟

ليرد عليه وحيد قائلا: دا موضوع يطول شرحه يافندم، يافندم أنا في المستشفى من أربع أيام فاتت مش من النهاردة.

ويواصل قائلا: وعليه أنا شفت سعادتك بالصدفة النهاردة وعشان كدا اتفاجأت بوجودك يافندم وسألت فيه إيه؟

ومن سعادتك عرفت حكاية نجمة وأكيد كان من الواجب إني أشوفها واطمئن عليها بحكم الصداقة اللي كانت والعيش والملح اللي أكلناه مع بعض، وبصرف النظر عن أي حاجة تانية ومهما كانت الحاجة دي.

ليرد عليه ضياء قائلا: يا وحيد أنا بسألك انت فين دلوقتي عشان أنا عايز أقعد معاك زي ما قلتلك عشان فيه حاجات كتيرة عايز أكلمك فيها وحاجات أكتر نفسي استفسر عليها منك.

ليرد وحيد قائلا: والله أنا فعلا اللي نفسي أقعد مع حضرتك يافندم لأن عندي برضو بعض الحاجات اللي حصلت معايا في الأيام الأخيرة وآخرها النهاردة وعايز برضو استفسر عنها من سعادتك.

ويواصل قائلا: والله حاجات يافندم لخبطتلي كياني وأثرت عليا وشغلي وعلى كل تصرفاتي وأفعالي ونفسي ويا ريت أعرف وأفهم هي حصلت إزاي وليه سعادتك؟

ليرد ضياء قائلا: مش انت لوحدك يا وحيد اللي حصل معاه كدا واللي اتلخبط كيانه وكل حياته.

ويواصل قائلا: ناس كتير تانية حصلها نفس اللي حصلك ويمكن أكتر يا وحيد.

ليرد وحيد قائلا: معقول يا باشا فيه حد حصل له أكتر من اللي حصل معايا وليا؟

ليقاطع ضياء قائلا: ع العموم لما نتقابل هتعرف كل حاجة وأكيد هتبان وهتوضح كل الأمور.

❊ ❊ ❊

انفراجة !

وبالفعل يلتقي الضابطان بإحدى استراحات المستشفى لتكون هناك حالة من المصارحة وإن شئت قل من المكاشفة والشفافية والتي قلت كثيرًا في الأيام الأخيرة، بل لا أبالغ إن قلت إنها قد تلاشت تمامًا حيث أضحى كل واحد منهما في مسار واتجاه غير الآخر تمامًا وغابت عن كل لقاءاتهما والتي قلت هي الأخرى كثيرًا عما كانت قبل ذلك، غابت عنها الشفافية والمكاشفة والمصارحة والوضوح وحل محلها المحاباة غير المبررة والمواربة المتلوية والملتوية والمجاملة المكشوفة المفضوحة.

ليبدأ ضياء قائلا: بص يا وحيد إحنا عايزين نتكلم بعيد خالص عن الميري ووجع الدماغ ده وسعادتك وحضرتك، يعني عايزين مكاشفة بين أخ أصغر وأخ أكبر، بس مش أكبر بكتير قوي عشان ماتسوقش فيها وتقوللي يا عمو وللا حاجة ولا يا أبيه زي نجمة ما بتقول.

ليرد وحيد قائلا: العفو يافندم بالعكس دانا من زمان كان نفسي في إن إحنا نتصارح ونقعد قعدة زي دي وكل واحد يقول اللي عنده واللي جواه سعادتك.

ليرد ضياء قائلا: إحنا قلنا إيه يا وحيد؟ مش عايزين سعادتك ويافندم والكلام المجعلص إياه ده، يا ريت نخلينا زي ما اتفقنا وبلاش كده بالله عليك وخلي الجعلصة ووجع الدماغ وكل ده لما نكون في المكتب يا سيدي.

ليرد وحيد قائلا: خلاص أنا هحاول لكن أنا ما اوعدكش سعادتك لأن دي حاجة اتعودت عليها واتربيت على كدا لدرجة إني مع أي حد حتى خارج العمل وبراه هوا دا أسلوبي سعادتك وعشان كدا مقدرش أوعد سعادتك لأن الطبع بيغلب التطبع يافندم.

ويواصل قائلا: وعلى فكرة يافندم أنا هنا من أربع أيام مع والدي اللي أصيب بغيبوبة سكر وكانت خطيرة جدًا ودخل العناية المركزة، والحمد لله امبارح خرج من العناية وهو في الغرفة ١٢٣ دلوقتي وحالته ولله الحمد أحسن بكتير.

ليرد ضياء قائلا: والله أنا ما أعلم أي حاجة عن تعب والدك وإزاي مقلتليش ولا خبرتني يا وحيد؟

ويواصل قائلا: وع العموم ألف سلامة لوالدك وأنا دلوقتي هقوم أشوفه وأشتكيك له عشان انت مقلتليش إنه مريض.

ليرد وحيد قائلا: وأنا كمان معرفتش حادثة نجمة والله العظيم إلا بالصدفة وفي المستشفى ومن سعادتك لكن الحمد لله على سلامة الاتنين.

ويواصل وحيد قائلا: بس بصراحة يافندم فيه موضوع ملخبطلي دماغي من يوم ما حصل وهو موضوع المتهمة المنقبة إياها واللي

سعادتك صرفتها من غير ما يتعمل لها محضر، والأدهى كمان سعادتك إن سعادتك صرفت المتهمة التانية واللي كانت معاها يومها.

ويواصل وحيد قائلا: أيوا المتهمة المنقبة يافندم فاكرها حضرتك؟

ويواصل قائلا: أنا والله ولحد دلوقتي مش عارف اللي حصل ده كان ليه؟ وعشان إيه؟

ويواصل وحيد قائلا: يمكن أنا مسألتش سعادتك قبل كده بخصوص الموضع ده غير في ساعتها ووقت ما حصل، وكان رد حضرتك انت أكيد فاكره سعادتك.

ويواصل وحيد قائلا: لكن دلوقتي يافندم جدت في الأمور أمور وحصل مستجدات خلتني لازم وضروري أسأل.

ويواصل قائلا: أيوا يافندم اللي حصل معايا النهاردة الصبح كلام غريب جدًا وجديد عليا وهوا دا اللي خلاني لازم أسأل وأفهم يافندم.

ليرد ضياء مندهشا مقاطعًا قائلا: إيه اللي حصل النهاردة الصبح يا وحيد؟

ليرد وحيد قائلا: يافندم كان فيه متهمة متبجحة وكنت باعمل لها محضر، تتصور يافندم المتبجحة دي قالت لي إيه؟ وكمان عملت فيا إيه؟

ليرد ضياء قائلا: قالت لك إيه يا وحيد خلصني أعصابي مش ناقصة من ساعة حادثة نجمة.

ليرد وحيد قائلا: قالت لي كلام صعب كتير وغريب يافندم لكن طالما اتفقنا ع المصارحة أنا هقول ومن غير مواربة، هقول اللي قالته بالظبط المتبجحة المتهمة.

ويواصل قائلا: تتصور يافندم؟ الملعونة قالت لي وببجاحة مشفتهاش قبل كدا.

قالت لي: مالك مستعجل على إنك تعملي محضر يا باشا؟

وواصلت المتبجحة قائلة: أكيد مستعجل على عمل المحضر عشان أنا مش منقبة وعشان كمان أنا جوز أختي مش ظابط عندكم.

وكمان المتبجحة قالت: إذا كان على كده أنا ممكن أخرج اتنقب وارجع لكم بنيولوك جديد وكمان أدور على حد من عندكم يعمل خالتي ولا جوز أمي ولا جوز أختي.

ويواصل وحيد قائلا: ولما نهرتها وهزأتها وعنفتها بشدة ردت ببجاحة وقالت: هو أنا يا باشا باجيب كلام من عندي وللا لا مؤاخذة باخترعه.

وواصلت المتبجحة تقول: دا الدنيا كلها عارفة بالموضوع ده واللي حصل لف الدنيا من شرقها لغربها.

وواصلت قائلة: ماهو الدنيا دلوقتي يا باشا بقت زي القرية الصغيرة بسبب التكنولجيا الإليكترونية زي ما انت عارف سعادتك، بس ماترحش بعيد يا باشا.

وواصلت تقول: بس ماترحش بعيد ياباشا وتتخض قوي كدا، بص يا باشا أنا لما قلتلك الدنيا كلها عارفة ماكانش قصدي الدنيا الكبيرة بتاعتكم أبدًا.

واصلت قائلة: أنا اللي أقصده دنيتنا إحنا الصغيرة، يعني بالمفتشر كده دنية كارنا وأوكارنا إحنا بنات الليل بتوع الفسق والفجور والرذيلة وليعوذ بالله يا باشا.

وواصلت قائلة: دا الظابط بتاعكم يا باشا وكبيركم مش بس سرب أخت مراته المنقبة واللي احنا نلتمس له العذر في اللي عمله لاجل صلة الرحم والقرابة، وكمان ممكن نقول خاف من الفضايح اللي كان ممكن تحصل للعيلة الشريفة بتاعته.

وواصلت قائلة: لكن مش من العدل أبدًا إنه يصرف المتهمة التانية كمان ولا يمكن عشان خاف إن الموضوع ينكشف عملها أوكازيون وصرف المتهمة اللي كانت معاها في نفس اليوم وأنا متأكدة لو كان فيه عشر متهمات في اليوم ده كان صرفهم برضو، ماهو أوكازيون يا باشا.

ويواصل وحيد قائلا: ومش بس كدا يافندم دي كمان قالتلي على التاريخ واليوم بالظبط اللي حصل فيه الموضوع ده، وللأسف يافندم هو ده اليوم وبالظبط اللي سعادتك صرفت فيه المتهمة المنقبة فعلا والمتهمة اللي كانت معاها.

ليرد ضياء وبعد أن يهز رأسه قائلا: فعلا يا وحيد دا حصل وأنا صرفت المتهمة المنقبة وكمان اللي كانت معاها بس ده مش عشان

إنها أخت مراتي زي ما قالت الملعونة اللي انت كنت بتعمل محضرها.

ويواصل الضابط ضياء قائلا: أنا فعلا صرفتها واللي معاها بس عشان حاجة تانية خالص وملهاش علاقة لا بزوجتي ولا أخت زوجتي لا من قريب ولا من بعيد.

ويواصل قائلا: وأكيد انت فاكر يومها لما سألتني ليه يافندم عملت كده وصرفت المتهمة المنقبة؟

ويواصل قائلا: ساعتها يا وحيد ماكانش ممكن أبدًا أقولك ليه أنا عملت كدا وكمان لو انت فاكر أنا رديت عليك وقتها رد أكيد ماعجبكش.

ويواصل ضياء قائلا: أنا دلوقتي هقولك اللي أنا ماقدرتش أقوله لك يومها، وكمان كل اللي حكتهولي المنقبة بعد انت ما خرجت من المكتب أو بعد ما طلبت منك تسيبني معاها بناءً على رغبتها وبعد إلحاحها عليا؟

ليرد وحيد متلهفا قائلا: قالت إيه يافندم؟ وإيه اللي حصل بالله عليك؟

ليرد ضياء بمفاجاة لم تكن متوقعة قائلا: المتهمة المنقبة قالت لي حاجة ماكنتش أتوقعها أبدًا ولم تكن إطلاقا في الحسبان، قالتلى إنها أختك، أختك يا وحيد، وهو دا اللي حصل منها.

ويواصل الضابط ضياء قائلا: أيوا المتهمة المنقبة قالتلي إنها أختك يا وحيد، وبعد ما صدمتني الصدمة الكبيرة دي اترجتني واتوسلت

إليا وقالت لي دي آخر مرة تعمل فيها العمل المشين ده وقالتلي كمان إنها هتوب وربنا يمكن عمل كدا معاها عشان تتوب، واترجتني عشان خاطر وحيد ميتفضحش ويتدمر مستقبله ويضيع.

ويواصل ضياء قائلا: وعشان كده ماكانش قدامي غير إني أمشيها وكمان أمشي المتهمة التانية هي كمان عشان الموضوع ماينكشفش.

ويواصل قائلا: وطبعًا ماكنتش أقدر أقولك وقتها على اللي قالته المتهمة، وكمان ماكنتش هقولك أبدًا لولا إني فتحت الموضوع مع زوجتي امبارح بالليل وقالتلي كلام كان غايب عني مش عارف ليه يمكن من لخبطتي، يمكن من صدمتي.

ويواصل قائلا: قالتلي زوجتي "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وهو دا اللي خلاني أقرر إني لازم أحكيلك اللي حصل.

ويواصل قائلا: وكمان انت يا وحيد سهلت عليا الموضوع كتير لما فاتحتني بشأن المتهمة الباجسة اللي جاتلك وقالتلك أخت مرات الظابط والكلام إياه ده.

ويواصل الضابط ضياء قائلا: وأكيد انت دلوقتي يا وحيد لازم تعذرني في اللي حصل معاك وردودي الجافة عليك يومها وانفعالاتي وقتها، وكان ده كله لمجرد إنك سألتني مشيتها ليه يافندم، وبالطبع كانت ردودي وانفعالاتي ساعتها سببها إني ماكانش عندي أي إجابات أو ردود لأسئلتك.

ويواصل الضابط ضياء قائلا: بس أكيد انت دلوقتي ودلوقتي بس عرفت ليه أنا مشيتها يا وحيد.

وويواصل الضابط ضياء قائلا: أيوا أنا داريت وماقلتش لك ولا لأي حد مع إن الموضوع ده لخبط حاجات كتيرة جوايا وأثر عليا تأثير كبير، وأظن انت يمكن، وبلاش يمكن، لا دا أكيد لاحظت عليا التغيير وحتى في كلامي وف كل مواقفي وتصرفاتي بعد ما حصل الموضوع بتاع المتهمة المنقبة.

وأثناء سرد ضياء لكل ما حدث جلس وحيد مندهشًا يضع يده اليمني على خده الأيمن ويبدو مذهولا وإن شئت قل مستمتعًا حيث يستمع وينصت بانتباه دون أن ينطق ولو بكلمة واحدة، وما إن انتهى الضابط ضياء من حديثه حتى انفجر وحيد ضاحكا ومقهقهًا بشكل هيستيري ملأ جنبات الاستراحة وربما لفت انتباه بعض الجالسين بالقرب منهم، وأثناء ضحكه الهستيري والذي انتابه فجأة ودون سابق انذار نراه يخبط كفا بكف.

❊ ❊ ❊

ذهول واستغراب

وهنا تبدو علامات الاستغراب على وجه ضياء من ردة فعل وحيد غير المتوقعة.

ليقاطعه قائلا: هو أنا كلامي بيضحك للدرجة دي يا ملازم وحيد؟

ليرد وحيد قائلا: أنا آسف يافندم والله آسف سعادتك.

ليقاطع ضياء قائلا: ولما انت آسف إيه اللي في كلامي بيضحك يا أفندي؟

ليرد وحيد قائلا: أنا باضحك يافندم من فرط سعادتي بكلام سيادتك.

ويواصل قائلا: والله أجمل كلام سمعته من سيادتك من يوم ما اشتغلت مع سعادتك في المكتب.

ليرد ضياء مندهشًا قائلا: أنا أول مرة أعرف إن فيه واحد يعرف إن أخته بالشكل اللي أنا حكيته وقلته ده ويضحك وينبسط قوي كده!

ليرد وحيد قائلا: أنا باضحك يافندم لأنها مش أختي أبدًا ولا عمرها كانت أختي.

ويزيد وحيد قائلا: والله ما هي أختي سعادتك.

ليسأله ضياء قائلا: وعرفت منين إنها مش أختك؟

ليرد وحيد قائلا: سعادتك ناسي إن أنا اللي قبضت عليها يافندم؟ يبقى إزاي أقبض على واحدة وماعرفش إنها أختي سعادتك؟

ليرد ضياء قائلا: أيوا صحيح انت قبضت عليها، بس قبضت عليها منتقبة، وعشان كدا لو انت فاكر أنا عاتبتك ومرضيتش أشد عليك أكتر من كده لأن دي كانت أول مرة تعمل كدا من يوم ما اشتغلت معايا.

ويواصل قائلا: وطالما كانت منتقبة يا ملازم وحيد يبقى هتعرفها إزاي وعلى أساس إيه هتحكم إنها أختك أو مش أختك؟

ليرد وحيد قائلا: يافندم أنا بقالي مع سعادتك فترة طويلة وأكيد سعادتك عارف إن أنا عندي فراسة في المواضيع دي، فما بال سعادتك إذا كان الموضوع متعلق بأختي؟

ويواصل قائلا: دانا يافندم وأعوذ بالله من كلمة أنا أقدر أعرف أختي لو هي مقفول عليها جوا صندوق خشب ومن غير ما أسمع صوتها، يبقى إزاي ماعرفهاش وهي يادوبها متغطية ولا منقبة ولا غيره م الحاجات الهايفة والصغيرة دي.

ليرد الضابط ضياء ساخرًا قائلا: وعشان فراستك دي عرفت إن اللي متنيلة متغطية ولا منتقبة دي متبقاش أختك وكمان متأكد وواثق من نفسك وفراسة سعادتك، وعشان كده ضحكت ضحكك الهستيري ده؟

ويواصل ضياء قائلا: طب مش جايز فراستك المرة دي تكون خدعتك وخذلتك يا مستر كولمبو قصدي يا وحيد؟!

ليرد وحيد قائلا: يافندم فراستي في المواضيع دي بالذات انت عارفها كويس وفادت في حالات كتير قبل كده.

ويواصل وحيد قائلا: وكمان يافندم لو فرضنا إن فراستي المرة دي بالذات خذلتني وما أصابتش، برضو هقول لسعادتك إنها مش أختي، وأقسم لك إنها مش أختي.

ليقاطع ضياء قائلا: انت بتناقض نفسك يا بني؟

ليرد وحيد قائلا: أبدًا مافيش تناقض سعادتك، كل اللي أنا أقصده إن لو فراستي خذلتني وطلعت فشنك يبقى أكيد عندي سبب تاني غير الفراسة يخليني أقسم بالله وأنا واثق تمامًا إنها مش أختي.

ليقاطع ضياء قائلا: ويا ترى ممكن أعرف السبب التاني ده يا مفتش كولمبو؟

ليقاطع وحيد قائلا: السبب التاني يافندم اللي يبرهن على صدق كل كلمة قلتها لسعادتك إني ماعنديش إخوات بنات خالص من أساسه.

ويواصل قائلا: أنا يافندم وحيد يعني لا أخ ولا أخت.

ويواصل قائلا: وعشان كدا سموني وحيد.

ويواصل وحيد قائلا: عرفت ليه يافندم أنا باضحك؟ لأن معنديش إخوات من أساسه لا ولاد ولا بنات.

ويواصل قائلا: ومش بس كدا، دا الأكتر كمان من كدا واللي بالصدفة موجود في عيلتنا والله ما عندي ولاد عم أو خال بنات أو ولاد خالة أو عمة بنات، شفت الحظ بتاعي يا ضياء باشا.

ويواصل قائلا: وكمان نجمة عارفة الكلام ده كويس يافندم، عارفة إن عيلتنا وقرايبنا كلهم ومن حظنا الوحش معندناش بنات خالص.
وعندها يصمت ضياء من هول المفاجأة لكنه لا يلبث أن يعود مبتسمًا.
وبصوت عالي مسموع يكلم نفسه قائلا: ياه، معقولة يا ضياء يا باشا يا كبير ياللي كل الناس بتحلف بنباهتك وفراستك واحدة زي دي تضحك عليك وتلبسك العمة وتقرطسك بالشكل ده؟ ويخبط كفا بكف.
وعليه يقاطع وحيد قائلا: معلش يافندم بتحصل في أحسن العائلات.
ليرد ضياء ويقول لوحيد: عارف يا وحيد رغم إن عمر ما حد ضحك عليا ولا عمري كنت أتصور ده يحصل، ورغم اللي أنا فيه من غيظ دلوقتي وإحساسي بإني اتقرطست لكن الحمد أنا فرحان وسعيد جدًا.
ويواصل ضياء قائلا: عارف ليه يا وحيد أنا فرحان؟
ليرد وحيد قائلا: ليه يافندم؟
ليجيب ضياء قائلا: عشانك انت ونجمة.
ويواصل قائلا: فعلا هي دي الحقيقة يا وحيد.
ويكمل ضياء قائلا: أنا لما عرفت إن أختك أو الملعونة اللي ادعت إنها أختك لامؤاخذة يعني يا وحيد من النوعية الـ....

ليقاطع وحيد قائلا: ولامؤاخذة ليه يافندم؟ براحتك خالص طالما ماليش إخوات.

ليرد ضياء ساخرًا وقائلا: والله أنا خايف يا وحيد تكون حسيت بالموضوع وعرفت إيه اللي حصل ما بيني وبين المنقبة وعشان كدا حبيت تخلي نفسك بعيد عن أي عوصة من هنا أو من هنا.

ويواصل قائلا: وعليه قمت خلصت على أختك وكمان بنات عيلتكم كلهم، وجايز كمان تكون انت السبب في تسمية نفسك وحيد من الأول باعتبار ما سيكون.

ويواصل قائلا: بس ماتخافش يا وحيد، لأن اللي انت عملته عمره ما يعيبك ولا يشينك أبدًا، بل بالعكس بيورينا ويثبت لنا قد إيه انت بتحب نجمة وتعزها.

ويواصل قائلا: اللي يعمل كل ده عشان واحدة يبقى أكيد بيحبها حب كبير قوي وأكيد أكتر من نفسه يا وحيد بك.

ليرد وحيد قائلا: وسعادتك يافندم مش شايف إنها واسعة شوية إن واحد عشان يثبت لواحدة إنه بيعزها يقوم يخلص على عيلته كلها؟

ويواصل قائلا: لكن برضو كل ده مش مهم، المهم إن سعادتك عرفت كل ده إزاي يافندم؟ مع إنه كان في اعتقادي إنه ماحدش أبدًا هيكتشف الأمر ده ومهما حصل.

ليرد ضياء قائلا: الظاهر إنك نسيت يا وحيد إن مفيش جريمة كاملة، وكمان شكلك بيقول إنك نسيت فراستي.

ويواصل قائلا: إحنا عندنا فراسة، واللي عنده الفراسة أكيد هيعرف إنك قتلت أختك ووأدت كل بنات العيلة عشان يبان قدام الكل إن انت ماعندكش إخوات بنات، وكمان كل العيلة ماعندهاش، وبكدا عمر ما حد يرفضك ولا حد يتجرأ يعايرك باختك الملعونة اللي قتلتها.

ليرد وحيد قائلا: يافندم إحنا في سبيل حبنا نعمل أي حاجة حتى لو كانت الحاجة دي دبح وقتل، وكان في حسباني إنها الجريمة الكاملة، لكن للأسف الحاجة اللي معملتش حسابها هيا فراسة سعادتك يافندم.

ويواصل وحيد قائلا: بس أنا بصراحة عرفت واتأكدت دلوقتي يافندم إن سعادتك عندك فراسة ما بعدها فراسة ولا زيها نباهة.

ليرد ضياء قائلا: فراسة إيه ونباهة إيه يا أونطجي؟

ويواصل قائلا: هو انت لسا عايز تلبسني العمة تاني؟ وبعدين لو كان في فراسة كنت أنا اتقرطست بالشكل ده؟

ليرد وحيد قائلا: العفو يافندم.

ليقاطع ضياء قائلا: العفو إيه ونيلة إيه يا وحيد؟ هي دي الحقيقة، إحنا هنضحك على نفسنا؟

ويواصل قائلا: وبعدين إحنا يا وحيد اتفقنا في أول قعدتنا يبقى فيه مصارحة، وعشان كده بقولك أنا فعلا انضحك عليا يا وحيد واتقرطست.

ويواصل قائلا: وقال إيه أنا من كتر قرطستي وعشان قال ماجرحش إحساسك مارضيتش أقولك ودفنت السر جوايا.

ويواصل قائلا: دانا حتى مسألتهاش اسمها بالكامل، ولا حتى ساكنة فين.

ليرد وحيد قائلا: خلاص يافندم كفاية جلد لذاتك.

ليرد ضياء قائلا: ماهو أنا لو سألتها السؤالين دول كنت ببساطة عرفت إنها مش أختك، وساعتها كمان كانت هتلبس قضية تانية فوق قضيتها، وماكنش حصلنا وجع الدماغ دا كله.

ثم يواصل ضياء قائلا: في النهاية برضو الغلط عليك يا وحيد، المفروض أختك ماتسبهاش ماشية على حل شعرها، اللي عنده أخت يلمها.

ليرد وحيد قائلا: يافندم عشان خاطر سعادتك أنا هجرجرها لك من شعرها وأجيبها لحد هنا تعتذر لسعادتك.

ليرد ضياء قائلا: سيبنا م الهزار شوية بقى يا وحيد.

ويواصل يقول: أكيد انت دلوقتي يا وحيد عرفت ليه اتغير موقفي من موضوعك انت ونجمة، وكمان أكيد عرفت ليه كان ترددي وهروبي من مواجهتك.

ويواصل قائلا: كله بسبب أختك المنقبة يا وحيد.

ويواصل قائلا: صحيح ماكانش فيه رفض واضح مني لكن رد فعلي وتغيير أسلوبي وطريقتي في الكلام بخصوص جوازكم ماكانش محتاج مجهود من اللي حواليه عشان يتفهم منه إني رافض

الجوازة، خصوصًا الناس اللي زيك واللي عندهم فراسة وحسن توقع.

ويواصل قائلا: ماكذبش عليك يا وحيد وآسف لك وأعتذر منك يمكن تصرفي ده واللي حصل مني كان له دوافعه ومن جوايا ومن غير ما أفكر يعني لا شعوري مني.

ويواصل قائلا: يمكن عشان ماكنتش عايز أبقى السبب مرة تانية في تعاسة نجمة جايز، يمكن يكون اللي حصل ده من الصدمة اللي حصلت لي من كلام المتهمة وارد، لكن من المؤكد إني أخطأت في حقكم انت ونجمة وقبلها في حق نفسي.

ليرد وحيد قائلا: يافندم العفو مفيش غلط ولا حاجة، والحمد لله إنها جات لحد كده ومفيش حد يافندم مبيخطأش سعادتك.

ويواصل قائلا: إحنا مش ملايكة يافندم إحنا بشر، وأنا أهو أخطأت خطأ أكبر من اللي حصل مع سعادتك.

ليقاطعه ضياء قائلا: لا يا وحيد اللي حصل معاك من المتهمة المتبجحة واللي عملته معاها مافيهوش أي أخطاء وكمان الكلام اللي قالته لك من حكاية أخت مرات ظابط واللي مالوش ضهر وكل الكلام ده يمكن كان قريب من الحقيقة لكن يمكن بجاحتها بس هي اللي كانت مأفورة شوية وزيادة حبتين.

ويواصل قائلا: لكن المنقبة الملعونة كان كل كلامها من أوله لآخره كدب ف كدب.

ويواصل قائلا: وبصراحة يا وحيد اللي حصل معايا من المتهمة الزبالة دي مالوش غير اسم واحد في القاموس، ألا وهو قرطسة وتغفيل!!

ويكمل ضياء قائلا: أيوا أنا أعترف إن أنا اتقرطست وملهاش معنى تاني.

ويواصل ضياء قائلا: انت عارف يا وحيد أنا يادوب امبارح بس قلت لزوجتي ع الموضوع بتاع المتهمة المنقبة دي، والحمد لله ماتعرفش رد زوجتي عليا ريحني قد إيه، ويمكن امبارح أول مرة من أسبوعين أنام واستريح.

ويواصل قائلا: زوجتي قالتلي يا ضياء "لا تزر وازرة وزر أخرى".

ويواصل قائلا: عارف يا وحيد الكلام اللي قالته زوجتي مش جديد وأنا عارفه كويس وحافظه من زمان، بس مش عارف تاه مني ليه؟ وتهت عنه إزاي؟

ويواصل قائلا: وعشان كدا اتندمت إن أنا مصارحتهاش من الأول، على الأقل كنت لقيت حد شال معايا وخفف عني وأكيد الموضوع ماكانش هيتعقد زي ما حصل.

ليرد وحيد قائلا: خلاص يافندم كفاية جلد لذاتك اللي حصل حصل وخلاص، وبعدين في الأول والآخر دي إرادة ربنا وكان لازم يحصل كدا.

ليرد ضياء قائلا: متعرفش ياوحيد كلام زوجتي اللي قالتهولي ده ريحني قد إيه، وزي ماتقول كده عاد بيا تاني لصوابي ورجع ليا بصيرتي.

ويواصل قائلا: وبناءً عليه أنا كنت النهاردة ناوي أصارحك بالموضوع، لكن جات حكاية حادثة نجمة وانشغلت بيها لكن ربك كان رايد إن احنا نتقابل ونتصارح وفي ذات الميعاد اللي كنت ناوي أكلمك فيه زي ما حصل.

ويواصل قائلا: لكن ياللا اللي عدى عدى واللي حصل حصل، وأكيد وزي انت ما قلت ربك كان رايد إن ده يكون.

ويواصل قائلا: لكن اللي مأثر جامد فيا وحازز في نفسي اللي أنا عملته مع نجمة.

ليرد وحيد قائلا: هو إيه سعادتك اللي عملته في نجمة؟

ليرد ضياء قائلا: انت عارف نجمة كانت جاية فرحانة وسعيدة ومن بيتهم لحد بيتنا ماشية على رجليها عشان تفرحنا بميعاد الخطوبة وكتب الكتاب.

ويواصل قائلا: وكمان عشان تشوف رأينا إيه بالنسبة للميعاد، وهل يناسبنا وللا لأه وكمان إذا ماكانش يناسبنا نختار إحنا الميعاد الأنسب، وكانت عايزة اللي يبشر وحيد بالموافقة على الميعاد ويفرحه هو أنا مش حد تاني.

ويواصل ضياء قائلا: لكن للأسف اللي حصل مني كسر نفسها وزعلها وسبب لها إحباط، وأكيد نفسيتها وثقتها في نفسها اتدمرت

لما فوجئت برد فعلي اللي ماكانتش عمرها تتوقعه أبدًا، خصوصًا إنها ماتعرفش إيه سبب الرفض؟

ويواصل قائلا: ولحد النهاردة والله ما كانت تعرف لدرجة إنها وهي رايحة شغلها الصبح بدري أكيد سرحت في همومها وهي سايقة عربيتها وحصلها اللي حصل، لكن الحمد لله بسيطة رغم إن السيارة اتخرشمت تمامًا من الناحية اللي هي فيها.

ويواصل قائلا: وجبناها المستشفى وانت شفتني صدفة وقت ما كنت باخلص أوراق دخولها واشوف نتايج الأشعة اللي اتعملت ليها.

ويواصل قائلا: انت عارف يا وحيد لو كان جرى لنجمة حاجة لا قدر الله ماكنتش هسامح نفسي أبدًا طول عمري، لكن الحمد لله إن القدر كان رحيم بيا وبيها والحادثة كانت بسيطة وكمان الأشعة اللي اتعملت كلها سليمة والحمد لله.

ليرد وحيد قائلا: الحمد لله.. الحمد لله. ويعانق ضياء فرحًا سعيدا، لكنه في ذات الوقت يلوم ويعاتب نفسه على سوء ظنونه وشكوكه بمحبوبته والتي كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تحطم كل أحلامه وتنهي أجمل قصة حب، ثم ما يلبث أن يعاتب ضياء بك وهما مازالا متعانقين قائلا: طب يافندم ياريتك سألتني على إخواتي البنات اللي عمري ما شفتهم، وكمان ياريتك سألت نجمة كانت قالت لسعادتك الحقيقة لأن احنا كنا متفقين نجيب دستة عيال بسبب إني وحيد وأبويا وأمي ماخلفونيش إلا بعد عشرين سنة جواز.

ويواصل قائلا: يعني يا دوب جابوني بالعافية لدرجة إن أمي بعد ولادتي ماتت وأبويا ربنا يديه الصحة عاش ليا لوحدي، وكان هو الأب والأم، لدرجة إنه مارضاش يتجوز أبدًا رغم إن كل قرايبه كانوا بيلحوا عليه يعملها عشان يخاويني زي ما بيقولوا، لكنه رفض تمامًا فكرة الجواز، وكل ده عشان مايجبش ليا مرات أب ممكن ف يوم من الأيام تضايقني.

ليرد ضياء بسخرية قائلا: انت عارف يا وحيد انت بكلامك اللي قلته ده خليت الفار يلعب في عبي تاني.

ليقاطع وحيد قائلا: إزاي يافندم؟

فيرد ضياء قائلا: وإيه اللي يضمن لينا إن أبوك ربنا يديه الصحة مالعبش بديله كدا ولا كدا ولا يكون اتجوز وخلفله بنت ولا اتنين من وراك يا حلو وانت ماتعرفش، وعليه من الممكن إن المتهمة المنقبة ممكن تكون ماكذبتش وإنها فعلا أختك.

ليرد وحيد ضاحكا قائلا: يا افندم باقول لسعادتك جابوني بالعافية وبعد عشرين سنة، ثم إنه ماكانش بيفارقني لحظة طول عمره.

ويواصل قائلا: وبعدين يا افندم أنا اللي عامل له إجراءات المعاش، وكمان أنا اللي سجلت العمارة بتاعتنا وأنا اللي وثقت العقود بالشهر العقاري بتوكيل منه، يعني أنا الوريث الوحيد بعد عمر طويل.

ليرد ضياء بك قائلا: أنا عارف والدك كويس يا وحيد بس كنت بهرج معاك !

ويواصل قائلا: أكيد يا وحيد إن ربنا كان رايد باكتمال أحداث رواية المنقبة وإنها تتم زي ما حصل كدا بالضبط، وأكيد كل اللي حصل ده كان اختبار من ربنا سبحانه وتعالى، وأكيد كمان كلنا اتعلمنا منه مش بس انت ونجمة، وصحيح زي ما بيقولوا: رب ضارة نافعة!!

ويواصل قائلا: بس دا كله برضو مايعنيش إن الواحد هينسي اللي حصل من المنقبة بنت الـ... واللي عملت فيا وإزاي قدرت تضحك عليا وتخدعني.

ويواصل قائلا: لكن هتروح مني فين؟ أنا وراها والزمن طويل وإن شاء الله لازم أجيبها.

ليرد وحيد قائلا: وكمان يافندم المتهمة البجحة اللي عملتلها المحضر أنا وحكاياتها وتخاريفها اللي قالتهالي زي أخت مرات الظابط وكانت منقبة، وكمان يا بخت من كان النقيب خاله واللي مالوش ضهر ينضرب على بطنه.

ليقاطع ضياء بك قائلا: ماهو زي ما قلتلك يا وحيد قبل كدا إن الكلام اللي قالته لك المتهمة البجحة دي كان في مجمله ممكن يكون حصل أو بمعني آخر هو أقرب ما يكون إلى الحقيقة.

ويواصل قائلا: وطبعًا غلطتنا مع المنقبة أقصد غلطتي أنا واللي اتعمل معاها وصرفها من غير عمل أي محاضر وكمان المتهمة

التانية اللي كانت معاها هو اللي إدى فرصة وكان السبب اللي خلا المتهمة المتبجحة دي وغيرها يقولوا كدا.

ويواصل قائلا: الذنب ذنبنا إحنا مش ذنب المتبجحة، إحنا اللي ادينا الفرصة ليها، يعني باختصار مفيش دخان من غير نار يا وحيد.

ويرد وحيد قائلا: انت عارف سعادتك يا افندم والله المتهمة البجحة دي وصلتني لدرجة خلتني شكيت في نفسي وكل اللي حواليا لدرجة يا افندم واستغفر الله العظيم أنا شكيت.. مش عايز أكمل يا افندم.

ويواصل قائلا: منها لله اللي كانت السبب البجحة بنت الـ..

ليرد ضياء قائلا: أيوا أنا فاهم قصدك واللي وصلت له ومقدر الظروف اللي عملت فيك كدا وخلتك تظن الظنون باقرب الناس ليك، زي أنا ما ظنيت ومن غير ما أتأكد وكنت هامنع ارتباطك بنجمة المسكينة اللي اتحملت ورضخت لكلامنا من غير حتى ما تسأل ليه عملنا كده؟ ودا عشان هية متربية وبنت ناس.

ليرد وحيد قائلا: يا افندم انت عارف الظنون خادتني لفين؟ والشكوك جرتني لإيه سعادتك؟

ويكمل قائلا: يا افندم أنا الظنون وصلتني لدرجة إني اعتقدت إن نجمة (واستغفر الله العظيم وسامحني يارب) كانت بتحاول الانتحار بقطع شرايين إيديها، فعلا دا حصل يا افندم وسامحني في كل ظنوني.

ويواصل وحيد قائلا: معلش يا افندم وماتزعلش مني أنا عاهدت سعادتك إنه يكون فيه شفافية ووضوح من أول ما قعدنا.

ويواصل قائلا: منها لله الشيطانة المنقبة الكاذبة اللي بدأت حملة الشكوك وخلتنا نسيء الظن بأقرب الناس لينا، وكذلك تلك المتبجحة الداعرة التي زادت من شكوكي وجعلتني أسيرًا لسوء ظني بسبب ما أخبرتني به، وعلى العموم الحمد لله انقشعت الغمامة وزالت الغشاوة.

ويواصل وحيد قائلا: ألف حمد وشكر لك يارب.

❊ ❊ ❊

ثم كان اللقاء

ويواصل قائلا: يالا بينا بقى يا افندم عشان نروح لنجمة نطئمن عليها ونقولها الحقيقة واللي حصل وكمان ندى هانم ونفرحهم ونفرح معاهم.

ليرد ضياء قائلا: متسرع على إيه يا وحيد؟ وبعدين الأصول أصول وبلاش تركبنا الغلط يا ابن الناس لأن الأصول بتقول لازم نطمئن على أبوك الأول.

ليرد وحيد قائلا: فيك الخير يافندم انت دايما تعرف الأصول ربنا يبارك في سعادتك.

وفي غرفة نجمة وبعد أن ظهرت الحقيقة وأضحت جلية واضحة سادت الفرحة وعمت السعادة كل الحجرة وجنابتها، ولن أكون مبالغًا إن قلت كل المستشفى بأروقتها وعنابرها ومرضاها وتمريضها، حتى وإن كنت من خلال كلماتي مجاملا ومضخمًا لما حدث، لكني أريد أن أقول إن الفرحة كانت طاغية وكان اللقاء ما أروعه حتى وإن كان هناك بعض اللوم والعتاب من الطرفين لكن ما أيسر عتاب العشاق وما أروع وأجمل لوم المحبين.

نعم لقد كان هناك أخطاء وبحسن نية حدثت ومن الجميع دون استثناء، لكنها وبكل تأكيد بنسب متفاوتة، وبعد أن اجتمع ضياء

ووحيد وندى ونجمة صدفة وقدرًا حيث لم يكن مرتبا لهذا الجمع سلفا، وكما أسلفنا كان لابد من أن تدور بينهم الحوارات وإن كانت في مجملها ومضمونها لا تخلو من اللوم والعتاب كما أسلفنا.

حيث ردت نجمة معاتبة أبيه ضياء قائلة: وما ذنب وحيد يا أبيه إن كانت أخته فعلا المتهمة المنقبة؟ وعلى فرض أن له أخوات بنات.

وتواصل قائلة: وكمان خبيتوا عليا ومحدش صارحني بالحقيقة على اعتبار إني صغيرة في نظركم جايز، وجايز على اعتبار إنكم خايفين على مشاعري وأحاسيسي ودا أنا متأكدة منه ألف في المية.

وتواصل قائلة: لكن لازم نعرف إن المصارحة والمكاشفة والشفافية في كل مواضيعنا وأمورنا الحياتية دايما هي نص حل المشكلة إن لم تكن أكتر وبكتير كمان.

وتواصل قائلة: يعني باختصار اللي أقصده إن لو انتوا قولتولي اللي حصل كنت هقولكوا إن الست دي كدابة في أصل وشها عشان أنا عارفة إن وحيد مالوش أي أخوات لا بنات ولا ولاد.

وتواصل قائلة: ويمكن ده من الأسباب أو من الحاجات اللي خلتني أتعاطفت مع وحيد جدًا وزودت حبنا لبعض لأننا عرفنا قد إيه إحنا محتاجين بعضينا.

وتواصل قائلة: يمكن وحيد بحكم ظروفه دي وبحكم إن مامته اتوفت هي كمان رحمة الله عليها بعد ولادته محتاجلي أكتر مانا محتاجاه.

ثم تواصل قائلة: وانت يا وحيد ليه تجري ورا شكوكك وتعيش أسير سوء ظنك وتصدق كلام المتهمات إياهم وانت أدرى الناس بيهم وبنوعيتهم، وكمان عارف إن هم بيتلونوا بكل الألوان.

وتواصل قائلة: وكمان لما شفتني في وضعي ده فكرت غلط برضو وكان سوء الظن موجود لما افتكرت وهاجيبهالك على بلاطة.

وواصلت تقول: انت افتكرت يا وحيد إن أنا فعلا المتهمة المنقبة وأكيد قلت لنفسك إن أنا انتحرت أو بمعنى أدق حاولت الانتحار بعد ما اتكشف أمري وكمان أكيد قلت لنفسك إن حكاية حادثة والكلام إياه ده عبارة عن تمويه وكلام بيتقال عشان نداري الحكاية.

وتواصل قائلة: وأنا والله عاذراك ومش بالومك رغم كل سوء الظن ده لأن يمكن أبيه ضياء لم يصارحك باللي حصل من الأول، وزي ما قلت برضو أبيه ضياء خاف على شعورك مع إنه لو كان فيه مكاشفة وعرفت الحقيقة في حينها كان اتحل الموضوع في ساعتها، وكمان كانت المتهمة اخدت جزاءها ودخلت السجن وماهربتش بجريمتها.

ليرد وحيد قائلا: أنا آسف جدًا لك نجمتي العزيزة لكل ما حدث مني، لكن يشفع لي إني لم أكن أنا منذ أن علمت منكم رفضكم غير المباشر والمفاجئ لي وبدون أي مقدمات أو تقديم أية مبررات.

ويواصل قائلا: يعني باختصار من ساعة ماروحتلك البنك واللي حصل منك وردك عليا واللي حصل من ضياء بك من تغير، كل ده خلاني مش أنا وبقيت واحد تاني تايه شارد سواح.

ويواصل قائلا: وآخر حاجة كنت أتوقعها المتبجحة اللي جاتني النهاردة الصبح واللي زودت الطين بلة وبلا أي رحمة دبحتني بسكينة باردة وقضت على البقية الباقية مني وبقيت ماشي مانيش وحيد خالص، يعني كنت عبارة عن أشلاء أو بقايا إنسان.

ويواصل قائلا: ومع كل ذلك لا أنكر إني كنت غلطان لأني كان المفروض ألح وأعافر ويكون عندي عزيمة وإصرار أكبر بكتير وأحاول وبكل وسيلة لحد ما أعرف الحقيقة كاملة من ضياء باشا ومهما كلفني.

ويواصل قائلا: ماهو لو عرفت الحقيقة في وقتها ماكانش انضحك علينا م المتهمة المنقبة وأكيد كمان المتبجحة بتاعة النهاردة ماكانتش هتقول الكلام اللي قالته.

ويواصل قائلا: لأن لو فعلا وزي ما قالت نجمة كان فيه مصارحة أكيد ماكانش هيكون فيه مشكلة، لكن أرجو حبيبتي وأطمع أن تغفري لي وأن تسامحيني.

ويعقب ضياء قائلا: وأنا كمان متأسف ليكي يا نجمة وزي ما قلتي في كل كلامك أنا مأيدك فيه إن المصارحة والمكاشفة هي الخطوة الأهم في حل أي مشكلة واحنا كلنا غلطنا، بس بصراحة أنا نصيبي في الغلط أكبر بكتير من أي حد يعني كان نصيب الأسد.

ويواصل ضياء قائلا: ومش عيب أبدًا إن إحنا نتعلم حتى لو كان من ناس أصغر مننا سنًا زي نجمة اللي كبرت قوي في نظري بكلامها اللي قالته وحكمتها ولباقتها، وعلى فكرة هي طول عمرها كدا بس إحنا اللي كتير مبناخدش بالنا خصوصًا من الناس اللي قريبة مننا.

لترد ندى زوجة ضياء قائلة: خلاص يا جماعة وإن كان ع الغلط كلنا غلطنا، جوزي عشان خبى الموضوع وكان المفروض مايفوتوش أبدًا ويخليه يعدي ويمر مرور الكرام وهو فعلا له نصيب الأسد في الغلط وزي هو نفسه ما قال.

وتواصل ندى قائلة: ووحيد عشان برضو مابذلش مجهود كبير عشان يعرف الحقيقة ولو أصر كان أكيد عرفها وماكانش ساب دماغه فريسة لظنونه وأوهامه واللي كان ممكن تؤدي بيه إلى ما لا يحمد عقباه.

وتواصل ندى قائلة: وأنا كمان مخطئة عشان كان لازم أتصرف بسرعة أكتر لما علمت امبارح بالموضوع من ضياء وماكانش أبدًا لازم نستنى للنهاردة، بمعنى لو وحيد عرف امبارح بالحقيقة واللي حصل كان هيعرف يرد ع المتهمة المتبجحة إياها وماكانش حصله اللي حصل وعاش في وهمه وظنونه ساعات كأنها السنوات.

وتواصل قائلة: وحتى نجمة شاركت في الغلط بسكوتها وموقفها السلبي رغم حبها الكبير لوحيد.

وتواصل ندى قائلة: أيوا نجمة كان لازم تقف وتصمم لأن الموضوع موضوعها أولا وأخيرًا ولازم تعرف ليه المواقف اتبدلت وليه ضياء

غير موقفه لأنه لو صممت تعرف الحقيقة كانت عرفتها لأن ساعتها أكيد ضياء كان هيقولها اللي حصل وكانت هتعرف الحقيقة كاملة، وأكيد الحقيقة كانت هتحل المشكلة أو بمعنى أصح مكنش هيبقى فيه مشكلة من أساسه؟

وعندها تقاطع نجمة قائلة: إحنا كلنا اشتركنا في الغلط وأنا بالطبع شاركت فيه زي ما قالت ندى أختي ولو كنتوا سيبتوني أكمل كلامي كنت وبكل تأكيد هاوصل لغلطي واللي هو إني كان لازم ألح حتى لو وصل إلحاحي ده لدرجة الغلاسة عشان أعرف الحقيقة وللأسف ده ماحصلش واستسلمت للظروف.

وتواصل قائلة: أيوا كلنا غلطنا وسيبنا كل حاجة للصدف والتساهيل وادينا فرصة للتواكل والعشوائية عشان يتحكموا في مصيرنا وكل قرارتنا.

وتواصل قائلة: يعني الخلاصة ومع احترامي للجميع إن احنا كلنا أخطأنا وكلنا غلطنا، لكن عزائي إن كل اللي حصل من غلط وخطأ سببه إن احنا كلنا بنحب بعض.

وتواصل قائلة: أيوا هي دي الحقيقة، كل واحد بيحب التاني وغلط عشانه وهو مش عارف إنه غلط.

وتواصل قائلة: والله بنحب بعض! وحب كبير قوي ما زيه حب ولا قده حب في الدنيا كلها.

ثم تنهض نجمة من فوق سريرها فجأة دون مساعدة من أحد وسط اندهاش واستغراب الجميع.

وعليه يسألها ثلاثتهم قائلين: مالك يا نجمة فيه إيه قمت ليه كدا ومرة واحدة؟

لترد نجمة قائلة: الحمد لله مفيش حاجة أنا كويسة ماتخفوش عليا.

لتقاطع ندى: وقمت ليه يا حبيبتي لو عايزة حاجة قوليلي وأنا أجيبهالك عشان خاطر الجرح يا حبيبتي.

لترد نجمة قائلة: والله يا أختي الحمد لله ومفيش أي حاجة وإن كان ع الجرح طاب خلاص يا حبيبتي.

لترد ندى قائلة: طاب إزاي يا حبيبتي وانتى إيديكي فيها يجي عشرين غرزة ولسا الغرز معمولالك يادوب من ساعتين تلاتة؟

لترد نجمة قائلة: مع احترامي ليكي يا أختي الكبيرة وكمان أبيه ضياء، أنا جرحي عمره ما كان في ايدي، جرحي كان في قلبي والحمد لله زي أنا ما قلت طاب تمامًا.

وتواصل قائلة: يا جماعة كل اللي أنا أقصده وعايزة أقوله إن جرح البدن ومهما طال واتسع علاجه عمره ما هيزيد عن كام غرزة وغيارين تلاتة ويلتئم، لكن جرح القلوب ومهما كان صغير ممكن يفوت العمر كله وينتهي وما يندمل.

ليقاطع ضياء قائلا: إحم إحم نحن هنا.

ويواصل قائلا: والله أنا باسمع حكم ودرر، انتي كنتي مخبية الكلام ده فين يا نجمة؟

لترد نجمة قائلة: ماتنساش يا أبيه إن مفيش حد غريب معانا ودي اول حاجة وتاني حاجة إني قبل ما انطق أو اقول أي كلمة قلت مع احترامي لاختى وابيه ضياء ويبقى كدا أكيد عداني العيب !

وتواصل قائلة: والحاجة التالتة اللي عايزة أقولها وأكيد كلكوا عارفينها إن أي خلق أو إبداع أو تميز وفي أحيان كتيرة مش ممكن يتولدوا إلا من رحم المعاناة ودا طبعا مع الوضع في الاعتبار إن الكلام اللي أنا قلته كان فيه شيء من خلق وتميز أو إبداع وماهوش مجرد مجاملة رقيقة من ناس بحبهم كتير وبيحبوني أكتر.

ليرد ضياء قائلا: أنا عارف ومتأكد يا نجمة إن الأصول عمرها ما تفوتك أبدًا وكمان انتي عارفة ومتأكدة إن كلامي معاكي تلات أرباعه إن لم يكن كله هزار ومزح.

ويواصل قائلا: كل اللي أنا باطلبه من ربنا انه يتمم شفاكي انتي وابو وحيد وترجعوا بيتكم معافين تمامًا ونعملكوا حفلة تلاتة في واحد يعني حفلة رجوعكم بالسلامة مع حفلة زفافكم مع حفلة ترقية وحيد عشان بصراحة نفسنا نفرح ونفرح نفسنا شوية وكمان إحنا حقيقي محتاجين بسمة وفرحة كبيرة تسعد قلوبنا وتعوض معاناتنا كلنا طوال أسبوعين عدوا علينا كأنهم الدهر كامل.

ليرد وحيد قائلا: حقيقي يا ضياء بيه إحنا محتاجين أي حاجة تفرحنا وتسعدنا وأكيد إن احنا في أمسّ الحاجة للحفلة تلاتة ف واحد اللي سعادتك أشرت بيها ونعم الرأي والله يا باشا.

لتقاطع ندى قائلة: حقيقي الفرحة جميلة وكمان لمتنا مع بعض أجمل وأحلا من أي حاجة في الدنيا.

وتواصل قائلة: ألف حمد وشكر ليك يا رب .

وتواصل قائلة : إيه رأيكم يا جماعة مش المفروض نكلم ماما وخالو عشان لحد دلوقتي مايعلموش بحادثة نجمة.

ليرد ضياء قائلا: خالو ماشي يا ندى لكن رأيي بلاش ماما لحد ما نروح البيت.

لترد نجمة قائلة: بلاش ماما يا ندى دى لو علمت إن أنا في المستشفى أكيد هتتخض جامد وهي عندها الضغط والسكر ومسكينة مش محتاجة وكمان عمرها ما هتصدق إنها حادثة بسيطة وانتوا عارفين ماما أكتر مني.

وتواصل قائلة: وكمان ماتنسيش يا ندى لما تكلمي خالو تقوليلو مايقولهاش.

ليرد وحيد قائلا: هي نجمة مش ممكن تخرج النهاردة ؟

لترد نجمة قائلة: ياريت والله أنا كمان كويسة خالص ومش حاسة بأي تعب.

ليرد ضياء قائلا: لأه ياجماعة الموضوع مش عشان كويسة أو مش كويسة الموضوع وزي ما فهمت من الدكاترة إنه طالما كان فيه خبطة بالرأس يبقى لازم تفضل تحت الملاحظة ع الاقل اربعة وعشرين ساعة ودا إجراء روتيني معروف في كل المستشفيات بعد أي حادثة.

لتقاطع ندى: مش مشكلة يا جماعة طالما الروتين مع اللوائح والأصول بيقولوا نستنى تحت الملاحظة يبقى نستنى وأكيد دا في مصلحة نجمة وإحنا مش هنعرف أكتر من الأطباء.

لترد نجمة قائلة: طب طالما بنتكلم في الأصول مش من الأصول برضو إني أدخل الحمام وأغير هدوم الميتين اللي أنا لابساها دي؟ وأروح معاكم أطمن وأزور حما المستقبل وعمي وبابايا أبو وحيد.

ليقاطع وحيد قائلا: يا حبيبتي انتي لسا الحادثة مأثرة عليكي وبابا والله بقى زي الفل وكمان هو مجرد ما يعرف إن انتي هنا هيجيكي بنفسه ويطمن عليكي.

ويواصل قائلا: والله دا بيحبك يا نجمة يمكن أكتر مني ويادوب دعالي إن ربنا يهدي سري ويجمعني بيكي وزي ما تكون أبواب السما ساعتها كانت مفتوحة ربنا استجاب على طول لدعاه.

لتقاطع نجمة قائلة: أبوك دا راجل طيب وبركة فعلا يا وحيد لكن إحنا قلنا إيه؟ الأصول أصول يا وحيد، والأصول والواجب بيقولوا إن أنا اللي أروح لعمي مش عمي اللي يجيني يا وحيد.

ليرد وحيد قائلا: ألف حمد وشكر ليك يارب. ويكرر: ألف حمد وشكر ليك يارب.

لتقاطع نجمة قائلة: بتحمد ربنا يا حبيبي عشان أنا قلت أزور والدك مع إن زيارتي دي فرض وواجب عليا قبل أي حاجة.

ليقاطع وحيد قائلا: لا يا نجمة أنا مش باحمد ربنا عشان زيارتك لوالدي أنا بحمد ربنا عشان رزقني بيكي.

لتقاطع ندى قائلة: فعلا الحمد لله ربنا يديم علينا نعمة الحب والرحمة والود ويجمعنا في المسرات دايما ودائمًا.

وعليه تحتضن شقيقتها فرحة سعيدة وكذلك ضياء ووحيد وتعم الفرحة وترفرف السعادة على الجميع.

❊ ❊ ❊

البحث عن السراب

وتمضي الأيام والأسابيع.

وها هو ضياء يقسم إنه لابد أن يأتي بتلك المرأة اللعوب والتي غررت به وبالجميع، لكن كيف له أن يقسم وكيف له أن يأتي بها وهو لم يسجل أية بيانات لها أو تخصها كما أن المتهمة لم يكن معها أي إثباتات شخصية حينها، مما يعني أن اسمها حتى لو تم تسجيله فمن المؤكد أنه اسم وهمي من خيال صاحبته، أضف إلى ذلك أنه لم يرَ وجهها حيث كانت منقبة مما يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل الوصول إليها حتى لو عادت إلى مزاولة نشاطها، ومن المؤكد أنها ستعود، وإذا ما تم القبض عليها حينها من قبل مباحث الآداب مرة أخرى، أيضًا في تلكم المرة لن يتم أبدًا التعرف عليها لأنها ليست من الغباء لترتدي نقابا كما كان في المرة الأولى.

ليقاطع وحيد قائلا: يافندم أنا هطمن سعادتك إننا هنجيبها بإذن الله حتى لو ماكانش لها اسم ومحدش يعرف شكلها، الحمد لله أنا أقدر أطلعها من وسط ألف وسعادتك عارف فراستي في الحاجات دي.

ليرد ضياء بسخرية قائلا: انت هتقولي على فراستك تاني يا وحيد؟ هو لو فيه فراسة من أساسه كان حصل اللي حصل؟

ويواصل مازحًا قائلا: ياراجل هو فيه واحد عنده فراسة يقبض بنفسه على واحدة تطلع أخته وهو مايعرفش؟!

ليرد وحيد مبتسما قائلا: يا افندم أنا أعرف واحد قبض على أخته في جريمة آداب وقبل ما يوصل بيها القسم كان سربها، لكن بعدها قعد يجي شهرين مكتئب وميكلمش حد.

ليرد ضياء قائلا: طب دا كويس اللي جات لحد كدا دا كان المفروض ينتحر.

ليرد وحيد قائلا: وأنا معاك يا افندم إنه كان المفروض ينتحر بس تفتكر ليه سعادتك؟

ليرد ضياء قائلا: وهي محتاجة ليه؟ عشان أخته اتقبض عليها آداب، هو فيه أكتر من كدا؟

ليرد وحيد قائلا: هو كان المفروض ينتحر بس مش عشان أخته اتقبض عليها آداب، عشان الغبي بعد ما هربها وقعد مع نفسه شوية وشربله سيجارتين افتكر إنه ماعندوش إخوات بنات من أصله وإنه كمان مقطوع من شجرة.

ليرد ضياء ساخرًا مازحًا قائلا: والله أنا شاكك تكون الحكاية دي حصلت معاك انت خصوصًا إنك كان بيجي عليك وقت تقعد مكتئب بالشهرين والتلاتة.

ليرد وحيد قائلا: ومين يافندم يشتغل شغلالتنا دي ومايجلوش اكتئاب من كتر اللي بيشوفه؟

ويواصل قائلا: لكن بعيد عن الهزار سعادتك أنا ليه مش عارف يافندم ساعات بيجيلي إحساس إن المتهمة المنقبة دي ممكن تكون مظلومة.

ليقاطع ضياء قائلا: كان ممكن كلامك ده يكون مظبوط يا وحيد وأنا مانكرش كمان إنه جاء في دماغي أول ما شفتها إنها ممكن تكون بريئة.

ويواصل قائلا: بس دا كان ممكن يكون موجود لو ماكنتش اعترفت ليا وقالتلي آخر غلطة وهتبعد عن طريق الرذيلة وهتوب واستر عليا وكلام من ده كتير.

ويواصل قائلا: انت عارف لو مكنتش سمعت الكلام ده منها يمكن كنت شكيت إنها ممكن تكون مظلومة.

ويواصل قائلا: الله يخرب بيت المنقبة وسنينها كانت هتنسيني هقولك إيه.

ويواصل قائلا: أيوا يا وحيد بالله عليك أنا همشي دلوقتي عشان ورايا حاجة كده لازم أعملها وابقى شوف الصول الجديد عبادة هتمسكه شغل إيه؟

ليرد وحيد قائلا: هوا مين عبادة ده يا افندم؟

ليرد ضياء قائلا: عبادة دا صول قديم ورجل طيب وابن حلال خدم معايا تلات شهور كان منتدب فيها وأنا ملازم أول.

ويواصل قائلا: وأعتقد إن فاضله سنة ولا حاجة ويطلع معاش ومنقول من مديرية أمن القليوبية لهنا، أهو يقضي معانا السنة اللي فاضلاله دي جنب بيته لحد ميتقاعد.

ليرد وحيد قائلا: خلاص اتفضل سعادتك وأنا هاقعد مع عبادة وارتب معاه.

هذا ولم يدر بخلد وحيد أو يخطر بباله أن يكون عبادة المساعد المنقول حديثا إلى إدارة مباحث الآداب قادمًا من مديرية أمن القليوبية هو نفسه المساعد الذي التقاه منذ أكثر من ثماني سنوات أيام واقعة البلطجية وما حدث فيها، تلك الرواية التي عاشت مع وحيد طويلا والتي طالما كان يرويها للضابط ضياء مرارًا وتكرارًا مستغربًا ومستنكرا ما حدث من المساعد وردة فعله تجاهه وموقفه السلبي غير الواضح حينها، ورغم أن وحيد ومن خلال عمله الشرطي طوال أكثر من ست سنوات قد تعلم الكثير وأضحى لديه خبرات لا يستهان بها، وعليه نجده قد تفهم السبب في تصرفات الصول وردود أفعاله الغريبة معه حينها، وإن كان مازال لديه تحفظاته على بعض تلك التصرفات وردود الأفعال.

وعندما حضر الصول عبادة ليلتقي الملازم وحيد في مكتبه من أجل إنهاء أوراق مباشرته العمل بالإدارة، حيث من المحتمل أن يسند إليه الضابط وحيد بعض الأعمال الخفيفة سيكون منوطا به إنجازها أو ترتيبها وذلك بناءً على توصية من الضابط ضياء

بالتخفيف على الرجل أو بمعنى أصح تكريمه خلال السنة التي سيقضيها في مباحث الآداب قبل تقاعده.

وبكل تأكيد لم يخطر ببال المساعد عبادة أن الفتى الشجاع الذي صادفه في نقطة السلام منذ سنوات عدة سيلتقيه الآن ضابطا في مباحث الآداب، ترى ماذا سيحدث بعد أن التقيا الآن مجددًا وبعد كل تلك السنوات؟ وهل سيتعرف كل منهما على الآخر وعندها هل سيتذكران ما حدث وكان في النقطة أم أن الانشغال في الحياة اليومية وزحمة العمل والتشتتات الحياتية والمعيشية من هنا ومن هناك وطوال تلك السنوات قد أنست كلا منهما الآخر.

لذا علينا أن نتريث قليلا ولا نتعجل حيث سنعرف حالا ونتعرف على كل ما سيحدث من خلال السطور القليلة التالية.

حيث سأل وحيد عبادة قائلا: شكلك مش غريب عليا يا صول عبادة زي ما أكون شفتك قبل كده، بس شفتك فين؟

ويواصل قائلا: شفتك إيه؟ دا أنا أكيد شفتك يا عبادة، أيوا أكيد شفتك.

ليرد عبادة قائلا: والله وسعادتك يافندم برضو الشكل مش غريب عليا أبدًا وأكيد برضو أنا شفت سعادتك، بس فين ياربي؟

ليرد وحيد قائلا: إوعى تقول لي يخلق م الشبه أربعين وحد شبهك قابلته ولا صادفته وحاجات من دي.

ثم يواصل قائلا: انت قلتلي منقول منين يا صول عبادة ؟

ليرد عبادة قائلا: من مديرية أمن القليوبية يا افندم.

ليقاطع وحيد قائلا: لا يا عبادة أنا قصدي قبل مديرية أمن القليوبية كنت فين؟

ليرد عبادة قائلا: أنا اتنقلت مديرية أمن القليوبية من تلات سنين يا باشا، وقبل مديرية أمن القليوبية يا افندم كنت في الحرس الجامعي.

ليقاطع وحيد قائلا: قبل الحرس الجامعي يا عبادة يا ريت تفتكر كنت فين؟

ليرد عبادة قائلا: قبل الحرس الجامعي يا افندم كنت ماسك نقطة السلام وقعدت فيها فترة طويلة.

ويواصل قائلا: وقبل نقطة السلام كنت ف.....

❊ ❊ ❊

عبادة من تاني !

ليقاطع وحيد قائلا: بس كدا يا صول عبادة، خلينا ف نقطة السلام مش عايزين اللي بعدها، ولا يلزمنا اللي قبلها ياعبادة.

ليرد عبادة قائلا: أيوا نقطة السلام قعدت فيها يجي خمستاشر سنة وسبتها يا دوب من سبع سنين تقريبًا.

ليقاطع وحيد قائلا: أيوا نقطة السلام يا عبادة، ويكرر: أيوا نقطة السلام يا عبادة.

ويواصل قائلا: انت فاكرني يا صول عبادة ولا لأأأ؟

ليرد عبادة قائلا: شكل سعادتك يا افندم ممكن تكون جيت مرور علينا ولا حاجة أكيد يا افندم.

ويواصل قائلا: أكيد يا افندم في حملات تفتيش.

ليرد وحيد قائلا: لا يا صول عبادة أنا مجتش مرور عليكم ولا تفتيش أنا جيتكم مجني عليا لكن على ما يبدو خرجت من عندكم كما لو كنت أنا الجاني.

ويواصل قائلا: فاكر يا صول عبادة الشاب الصغير اللي جالك وكان متخانق مع تلاتة بلطجية في المنطقة اللي ورا النقطة على طول؟

ليرد عبادة قائلا: وإزاي مش فاكر يا فندم؟ هوا أنا ممكن أنسى سعادتك مهما طال الزمن يا افندم؟

ويواصل قائلا: سعادتك هو والله، والله هو.
ويواصل قائلا: أيوا أنا كدا افتكرت كل حاجة والذاكرة رجعت تمام وكأن العيال البلطجية قدامي مدغدغين
ليرد وحيد قائلا: طبعا هو أنا وأنا هو، وبأمارة الكارنيه وبأمارة ما مشيت البلطجي قبل مني لو فاكر ولا نسيت يا صول عبادة ؟
ليرد عبادة قائلا: أنسى سعادتك إزاي يا باشا؟ حتى بأمارة البطاقة الشخصية اللي ماكانتش مع سعادتك وكنت ساعتها أقل من ستاشر سنة بس بسم الله ما شاء الله ونمسك الخشب كان عودك فارع وكنت أكبر من سنك.
ويواصل قائلا: صحيح كنت أقل من ستاشر سنة بس كنت أسد يا باشا ضربت تلاتة من أخطر البلطجية وأكثرهم إجراما في المنطقة لدرجة إنهم بطلوا البلطجة من بعدها.
ويواصل قائلا: بس مش عارف هم بطلوا البلطجة عشان تابوا ولا عشان ماعادوش قادرين من بعد علقة سعادتك ليهم.
ويواصل قائلا: أنا من واقع خبرتي معتقدش أبدًا انهم يتوبوا لكن المؤكد انهم من بعد علقتك قصدي علقة سعادتك انتهوا خلاص وأكيد غيروا نشاطهم لأي حاجة تانية إلا البلطجة.
ويواصل قائلا: وكان لازم يبطلوا لأنهم يا باشا اتكسرت عينهم أو بلغتهم اتعلم عليهم وبالجامد قوي ومتنساش سعادتك رغم إن انت ضربتهم بالليل والوقت كان متأخر لكن مع كدا ناس يامه شافتهم

واتفرجت على اللي حصلهم فضاعت هيبتهم المزيفة اللي كانوا بيخوفوا بيها عباد الله.

ويواصل قائلا: وجايز يكونوا بطلوا بلطجة عشان ماعادوش قادرين على الحركة من بعد ما اتكسحوا من الضرب واتشنع بيهم ف كل حتة.

ويواصل قائلا: المهم إنه من يوم ضرب سعادتك ليهم معدوش يقدروا يبلطجوا إطلاقا لا ف حتتهم ولا ف غيرها والفضل لسعادتك بعد ربنا ف اللي حصل وف خلاص الناس الغلابة من شرورهم وبلطجتهم.

ويواصل قائلا: سعادتك يا افندم كنت بطل فعلا ودي حقيقة.

وعليه قام عبادة من مجلسه ليحتضن الضابط وحيد فرحًا سعيدا وكذلك وحيد، وبعد أن تعانقا عناقا حارًا جلسا سعيدين فرحين ومندهشين في ذات الوقت من تلك الصدف العجيبة التي جمعتهما مرة أخرى حتى وإن اختلفت الأوضاع وتبدلت الأماكن وبالتأكيد المراتب والمكانات.

وعندها يتحدث وحيد قائلا: شفت يا صول عبادة الدنيا صغيرة قد إيه؟ سبحانك يارب مين كان يصدق وصحيح مسير الحي يتلاقى؟

ليرد عبادة قائلا: طبعا الدنيا صغيرة وصغيرة جدًا يا باشا

ويواصل قائلا: سعادتك ماتعرفش قديه أنا سعيد وفرحان بسعادتك.

ويواصل قائلا: وبعدين يا باشا ماتنساش إني أول واحد اتنبأ لسعادتك بأنك هتبقى ظابط وأظن سعادتك مانستش كلمتي ليك يومها **لما إن شاء الله تبقى ظابط هتعرف أنا عملت كدا ليه ؟**

ويواصل قائلا: والله كان عندي إحساس شبه أكيد إنك هتبقى ظابط، يمكن الإحساس ده جاني من جرأتك وقوة شخصيتك وشجاعتك وكنت فعلا أكبر من سنك رغم إن انت كنت لسا ومتأخذنيش سعادتك عودك أخضر.

ويواصل قائلا: بس اللي خلاني سعيد جدا ومبسوط كده مش بس عشان إن إحساسي ماخذلنيش وبقيت فعلا ظابط زي ما توقعت لك سعادتك لكن عشان إني كمان قابلت سعادتك وشفتك وكمان من حسن حظي هاشتغل معاك يا افندم.

ليرد وحيد قائلا: وللا زمان يا صول عبادة ومسير الحي يتلاق.

ويواصل قائلا: دانا ياراجل دخلت النقطة وخرجت ومعرفتش اسمك إيه يومها.

ويواصل قائلا: والله ما كنت أعرف إن انت عبادة إلا دلوقتي لما اتقابلنا.

ويواصل قائلا: دا حتى لما الظابط ضياء قالي الصول عبادة ملفتش نظري الاسم إطلاقا لأني فعلا ماعرفوش، حتى إني سألت ضياء باشا مين الصول عبادة ده؟

ليرد عبادة قائلا: ماهو سعادتك برضو دخلت وخرجت وأنا ماعرفتش اسمك إلا وسعادتك خارج من باب النقطة وبكدا تبقى واحدة بواحدة يا افندم.

ليرد وحيد قائلا: بس انت ماعرفتش اسمي قاصد خصوصًا في الأول يا عبادة، لكن أنا معرفتش اسمك عشان برضو انت كنت قاصد يا عبادة.

ويواصل قائلا: ع العموم سيبنا من اسمي واسمك يا صول عبادة وخلينا دلوقتي في السؤال الأهم.

ويواصل قائلا: أنا كنت عايز أسألك سؤال بقاله سنين ف دماغي وبصراحة محيرني لحد دلوقتي.

فيقاطع عبادة قائلا: معلش وآسف سعادتك أنا عارف سؤال سعادتك إيه من غير ما تسأله سعادتك.

ويواصل قائلا: سعادتك كنت عايز تسألني انت ليه يا صول عبادة عملت معايا كده؟ وليه موقفك السلبي ده وعشان إيه؟

ليقاطع وحيد قائلا: بالظبط كده يا صول عبادة انت أخدتها من على طرف لساني ياريت بقى تجاوبني ليه ده حصل.

ليرد عبادة قائلا: بص يا باشا أنا هقول لسعادتك، أولا الولد اللي انت كنت جايبه كنت عادمه العافية يا باشا يعني مدغدغه وأكيد الاتنين التانين شرحه مدغدغين هما كمان وسعادتك يومها بسم الله ما شاء الله ولا حتى خدش صغير.

ويواصل قائلا: ثانيا أنا مشيته قبليك عشان صحابه وأهله واللي هم بلطجية أكيد زيه هيفرحوا بخروجه وعليه هياخدوه ع البيت على طول عشان يعرفوا منه اللي حصل.

ويواصل قائلا: لكن لو سعادتك كنت خرجت قبليه كان ممكن جا ف دماغهم وأكيد كان هيجي إن ابنهم خلاص هيتحبس وأكيد بسببك وكان ممكن ساعتها يحاولو يأذوك بأي طريقة وماكانوش هيغلبوا لأنهم بلطجية.

ويواصل قائلا: وعشان كدا أنا أخرجت سعادتك بعديه بعشر دقايق وكنت ساعتها متأكد إنهم مشيوا وإن مفيش حد منهم موجود حوالين النقطة.

ليقاطع وحيد قائلا: وبعدين كمل يا صول عبادة.

ليرد عبادة قائلا: وكمان لو سعادتك فاكر أنا زيادة في الحرص عليك يومها مسألتكش اسمك وعنوانك ولا حتى نصحتك باللي نصحتك بيه إلا بعد ما خرج البلطجي وكمان قلتلك خد تاكسي من عند باب النقطة وعلى بيتكم على طول.

ويواصل قائلا: باختصار يا باشا لو عملت محضر يومها زي سعادتك ما كنت عايز كان أكيد هم كمان هيقولوا إن انت اللي ضربتهم وطبعا دا كان واضح وممكن يجيبوا تقرير طبي في ساعتها وهم يعرفوا يعملوا الكلام ده كويس.

ويواصل قائلا: وسعادتك ماكانش معاك أي شاهد يومها وهم كان هيبقى عندهم اتنين شهود ع الأقل وممكن يجيبوا عشرة كمان.

ويواصل قائلا: وأكيد سعادتك يا باشا وانت سيد العارفين وعارف إيه اللي كان هيحصل خصوصًا إن وضع البلد وظروفها كانت غير النهاردة.

ليرد وحيد قائلا: أنا طبعًا عارف إن انت عملت كدا ليه ومقتنع تمامًا بكل كلمة قلتها بصرف النظر عن تحفظي على بعض الحاجات.

ويواصل قائلا: جايز أيامها كنت مستغرب وكان تصرفك ده هيجنني لكن بعد كدا عرفت انت عملت كدا ليه خاصة لما اشتغلت ف الشرطة وجربت وشفت.

ويواصل قائلا: لكن برضو ورغم نبل هدفك ف اللي عملته معايا لكن ده مايمنعش إن كان ليا شوية تحفظات ع اللي حصل زي ما قلت لسعادتك قبل كدا.

ليرد عبادة قائلا: طبعا يا باشا أكيد لسعادتك تحفظات لكن بصراحة أنا يومها اتصرفت في حدود علمي ومفهوميتي وكنت خالص النية مع إن تصرفي لا كان فيه قانون ولا روح قانون لكن كان تصرفي بناء على قانون عبادة يعني على قدي وفي حدود الإمكانات المتوفرة ليا يا سعادة الباشا.

ليقاطع وحيد قائلا: بالعكس يا عبادة أنا شاكر لك ع اللي حصل حتى لو كان من تمن سنين فاتوا لأن الجدعنة والمرجلة عمرها ما تسقط بالتقادم يا عبادة.

ويواصل قائلا: وكمان انت هتكون معانا هنا وبعيد عن الميري انت والد وأخ أكبر وأكيد هنستفيد من خبراتك الطويلة لصالح العمل والصالح العام.

ليرد عبادة قائلا: وأنا يشرفني ويسعدني يا باشا إني أقضي السنة اللي فاضلالي مع سعادتك وسعادة الباشا ضياء وسعيد جدا بكلام سعادتك عني واللي أنا أصغر منه بكتير والله يا باشا وربنا يقدرني ويعيني وأكون عند حسن ظن سعادتك.

❊ ❊ ❊

حتى وإن لم تكن خطايا!

وها هي السنوات قد مرت سريعة متعاقبة وها هو النقيب وحيد والذي قد مر على زواجه بنجمة تسع سنوات رزقهم الله فيها بطفل جميل اسموه بهاء لكنه أيضًا وحيد كما الأب، ولقد زاد بهاء الابن حياتهما بهجة وسعادة وملأ عليهما الدنيا فرحة وسرورًا.

وبالطبع تنامت العلاقة وتوطدت إلى أقصى درجاتها وأضحت أكثر رسوخا عما كانت في الماضي بين النقيب وحيد والعقيد ضياء والذي يعمل الآن رئيسا لشرطة المرافق بحي شرق، حيث تجمعهما أسرة واحدة ناهيك عن الصداقة والزمالة بينهما ومنذ ما يقارب العقدين من الزمن.

لكن ما يدهشك عزيزي القارئ أن موضوع المرأة المنقبة مازال يؤرقهما ومازالت في الذاكرة والوجدان فعلتها النكراء وكلما التقيا يذكر أحدهما الآخر بها.

وبالفعل لم ينس أي منهما ما فعلته تلك المرأة به وحسب ما يترائى له فها هو وحيد يراها قد ادعت زورًا وبهتانا أنها أخته ويحملها ما ترتب على ادعائها هذا ويراها أيضًا قد ألصقت به تهمة هو بريء منها كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب، وبالنسبة لضياء فقد كذبت

ودلست عليه عامدة متعمدة، كما أنه يحملها هو الآخر كل تبعات كذبتها تلك وتدليسها عليه.

لكن المدهش أنه ربما لم يسأل أي منهما نفسه وفي أي يوم من الأيام ومنذ تلك الحادثة وحتى يومنا هذا ما هو الخطأ وإن شئت قل الجرم الذي اقترفه أثناء تأديته لوظيفته ومهام عمله تجاه تلك المتهمة وفي حقها.

فها هو وحيد لم تكن إجراءاته عند القبض على المنقبة مكتملة وبكل تأكيد حيث لم تكن هناك أية أدلة للثبوت كما لم تكن هناك أي من الأحراز والمضبوطات، ناهيك عن أن المتهمة المنقبة لم تكن أبدًا متلبسة وبأي حال من الأحوال ويظهر ذلك واضحًا جليا لكل ذي عين.

وبالنسبة لضياء ولكونه كان حينها رائد شرطة لذا من المؤكد أن يكون له خبراته العملية والميدانية في مجال عمله الشرطي وفي تحرياته وتحقيقاته، وعليه كان لابد له من أن يسأل تلك المرأة ويستقصي حتى يتبين أنها مدانة أو بريئة، وهل هي فعلا أخت زميله من عدمه، لا ليطلق سراحها كما حدث، ولكن حتى لا يكون هناك إهمال أو قصور في تأديته لمهام وظيفته، كما أن تسريحه للمرأتين خطأ لا يغتفر حتى وإن كانت إحداهما شقيقة لزميل له في العمل فمن المفترض أنه في أي عمل كان والعمل الشرطي على وجه الخصوص هناك لوائح ونظم تحكم هذا العمل ويتم تطبيقها

والعمل بمقتضاها لا وفق أهوائنا وعواطفنا والتي يجب أن ننحيها جانبا ودائمًا أبدًا.

وقد تتعجب قارئي العزيز من أني قد وصلت بخطأ الضباط إلى درجة الجرم والجريمة.

وقد يكون برأيك أنه حتى لو كان فهو ليس بتلك الفداحة، وبالطبع لم يكن ذلك خطأ مني فيما كتبته وسطرته بل هو ما قصدته وأردته تمامًا، وعليه أسأل سؤالين أؤكد بهما وجهة نظري؛ أولهما لوحيد: هل سجن بريء وتلويث سمعته وكل أفرد أسرته وعائلته وأقربائه وربما أصدقائه وجيرانه دون ذنب اقترفه جرمًا؟ أم مجرد خطأ بسيط يمر مرور الكرام؟

وثانيهما لضياء: هل تسمى تبرئة مذنب مجرم وإطلاق سراحه مجاملة أو مواءمة أو لكونه صديقا أو شقيق لصديق أو حتى أخيك أو ابنك نفسه عدلا؟ أم جرمًا وجريمة؟

وبالطبع أنا لا أريد منكم إجابات ولا أنتظر من قرائي ردودًا ولاحتى ردودًا لأفعالهم ولم أسأل من أجل ذلك ولم يكن مطلقا هدفا لي، بل إني هنا أطرح وجهة نظري وكما هي وفي صيغتها الاستفهامية تلك دون أية رتوش أو معالجات علها تصل وتلك هي أقصى أماني.

وقبل أن أنهي هذا الموضوع وأتطرق إلى آخر وحتى نكون منصفين يجب ألا نغفل ضياء ووحيد حقهما فتلك كانت الغلطة الوحيدة وإن شئت قل السابقة الأولى لوحيد، وكذلك كان هناك لوم وعتاب وصل لدرجة التعنيف من ضياء بسبب ملابسات القبض على

المتهمة كما لا ننسى أن هناك إحساس داخلي ظل ينتاب وحيد بين الحين والآخر ويحدثه بأن تلك المرأة المنقبة قد تكون مظلومة، لكن كل ذلك يبقى مجرد إحساس من وحيد يسبقه لوم وعتاب من ضياء لا أكثر ولا أقل ولا يعدو غير ذلك، وبالطبع هذا لا يعفي الاثنين أبدًا مما ارتكباه من جرم في حق تلك المرأة مذنبة كانت أو بريئة.

وها هي السنون تمر سريعًا وها هو العقيد **وحيد** والذي يعمل بشرطة السياحة منذ فترة طويلة، والذي أبدًا لم تفارقه ابتسامته ولم تغب بالتأكيد فراسته وحضوره ولقد أحب وحيد عمله بالسياحة أكثر بكثير عما كان في مباحث الآداب، ولقد أضحت **نجمة** مديرًا للبنك الذي كانت تعمل به منذ تم تعيينها، ورغم مشاغلها الكثيرة كمدير للفرع الرئيسي إلا أنها لا تألو جهدًا في خدمة أسرتها وتلبية كل طلباتها واحتياجتها، كما أنها في عملها تتابع وبنفسها كل كبيرة وصغيرة وتهتم بمشاكل العملاء والموظفين وتسعى جاهدة لإيجاد الحلول السريعة لأية معضلات هنا أو هناك، ويبقى حبها لزوجها وحب زوجها لها هو العنوان الرئيسي والمعني الأهم في كل مناحي حياة أسرتهما.

وها هو **اللواء ضياء المتولي** ينتظر التقاعد وبعد أن تم التمديد له لمدة عام أوشك على الانتهاء وهو يعمل حاليا بإدارة البحث الجنائي.

وها هي زوجته **ندى** نائب الرئيس للمجلس القومي لحقوق المرأة والذي تترأسه السيدة الفاضلة **نادرة سعد الدين** سيدة الأعمال

المعروفة وعضو مجلس الشعب للفترة الثالثة على التوالي عن دائرة الدقي، تلك السيدة التي لها جماهيريتها الطاغية ليس فقط بحي الدقي التابعة له ولكن كل أحياء القاهرة، والسبب في ذيوع صيتها وشهرتها الواسعة يعود بالطبع إلى خدماتها اللا محدودة التي تقدمها للجميع، كما أنها لا تألو جهدًا في مواجهة المحسوبية ومكافحة الفساد والمفسدين في كل مكان.

ولقد كان هناك علاقة من الود قد نشأت بين تلك السيدة الفاضلة والسيدة ندى حرم اللواء المتولي أو ندى المتولي كما يطلق عليها، بل إن السيدة نادرة هي من رشحتها نائبًا لها عندما خلا المكان وأصبح شاغرًا بوفاة السيدة الفاضلة **لمياء الوكيل** رحمة الله عليها.

ولقد جاء ترشيح السيدة نادرة سعد الدين للسيدة ندى المتولي وتزكيتها لها وذلك لما رأته منها منذ كانت عضوة عاملة بالمجلس من جهودها المضنية ومساعيها الحثيثة وحيويتها وحركتها الدؤوب داخل المجلس وإلمامها بكافة التفاصيل ما كبر منها وما صغر وكل ما يدور داخل المجلس.

ناهيك عن ثقافتها ووعيها واستنارتها وإلمامها الكامل باللوائح والنظم والبروتوكولات، بالإضافة للباقة والحضور ونشاطها الواضح في كل المجالات هنا وهناك ومن خلال عملها المستمر في خدمة المرأة، وحرصها وتفانيها في مجال الخدمة العامة.

❊ ❊ ❊

ميران عادل !

وفي الأسابيع الأخيرة أصبح ذهاب **عادل** للنادي شبه يومي ربما من أجل ممارسة رياضته المفضلة وهي لعبة التنس الأرضي التي يهواها منذ صغره وقد يكون حرصه ومداومته على الذهاب خاصة في الأيام الأخيرة من أجل لقاء محبوبته **ميران**، وربما الاثنين معًا لا سيما وأن ميران هي الأخرى من هواة التنس الأرضي وعشاقه حتى وإن كانا في كل مباراة تجمعهما يتبادلان النظرات أكثر مما يتبادلا الكرات، ويشغلهما الهمس والابتسامات أكثر من انشغالهما بالمضارب والضربات، وها هي والدته تحثه من خلال الموبايل وتطلب منه أن يمر عليها بمقر المجلس القومي للمرأة لأن سائقها الخاص تعرض لوعكة صحية مفاجئة وتم نقله على أثرها للمستشفى.

وعليه تسأله ميران قائلة: مين بيكلمك يا عادل؟

وتواصل قائلة: هو دا وقته؟

ليرد عادل قائلا: دي ماما يا ميران.

لترد ميران قائلة: آسفة والله يا عادل أنا افتكرت حد من صحابك.

ليرد عادل قائلا: ماما عايزاني أعدي عليها في البتاع اسمه إيه ده المرأة ولا مجلسها اللي بيقولوا عليه ده.

لترد عليه ميران قائلة: يا عادل أكيد انت تقصد المجلس القومي للمرأة.

وتواصل قائلة: على فكرة شكلك مابتحبش المرأة ولا إيه يا عادل؟

ليرد عادل وبسرعة قائلا: المرأة!! دانا أموت في المرأة لكن باكره المجالس واللجان والمؤتمرات والأسماء المجعلصة دي كلها!

لتقاطع ميران قائلة: على فكرة ماما برضو في المجلس القومي للمرأة.

وتسأل عادل ساخرة قائلة: إيه الحكاية يا عادل؟ مامتك في المجلس وأنا ماعرفش ومامتي في المجلس وانت أكيد أول مرة تعرف إيه الصدف دي يا عادل؟ ويا ترى الأقدار مخبيالنا إيه تاني؟

ليرد عادل قائلا: والله والحمد لله لحد دلوقتي كل الصدف والأقدار بتقربنا أكتر من بعض وإذا استمرت على كده تبقى أحلى صدف ويبقى أهلا بيها.

ويواصل كلامه قائلا: وأكيد انتي فاكرة أول مرة اتقابلنا فيها كانت صدفة لما خبطتيني بعربيتك وبوظتيلي عربيتي ودمرتيهالي وأنا طبعا يومها اتنازلت وسامحتك وقلتلك حصل خير والحمد لله اللي جات لحد كدا واتفضلي يا افندم.

ويواصل قائلا: عارفة يا ميران كل دا حصل ليه؟

لترد ميران قائلة: حصل ليه يا حبيبي؟

وتواصل قائلة: أنا عارفة الإجابة بس عايزة أسمع منك يا حبي.

ليرد عادل قائلا: عشان الخبطة دي كانت أحلى خبطة في حياتي وكأنها جات في قلبي ويمكن يكون اللي حصل ده بسبب دعوة من حد ظلمته في شغلي من غير ما آخد بالي وعليه المسكين دعا عليا.

وقال: روح إلهي تجيك ضربة في قلبك!

ويواصل عادل قائلا: المسكين كان مفكر إنه دعا عليا وأتاريه ومن غير ما يقصد دعا لي.

ويواصل عادل قائلا: ومن يومها ارتبطنا ببعض وكل يوم بيفوت بيقربنا أكتر وأكتر من بعضينا.

ويواصل عادل قائلا: وسبحان الله تاني يوم وبعد الخبطة اتقابلنا في النادي وصدفة برضو واتضح إن إحنا الاتنين أعضاء في النادي، ورغم إن أنا لسة عضو جديد واشتركت في النادي ده وبعد ما أخدت شقة قريبة وفي نفس الحي.

ويواصل عادل قائلا: وكأنه مكتوبلي إني أصادف أحلى حب في حياتي هنا مع إني قعدت عمري في النادي التاني واللي أنا عضو فيه برضو لكن مفيش ولا مرة اتخبطت كده، قصدي صادفت الحب الجميل ده.

ويواصل عادل قائلا: وأخيرًا وليس آخرًا بالتأكيد اللي حصل في المجلس القومي بتاع المرأة واللي اتضح لينا وبرضو صدفة إن أمي وأمك فيه.

يواصل قائلا: وإيه آخرتها معاكي يا صدف؟ وبعدين معاكي يا أقدار؟

لترد ميران قائلة: إيه يا عم مالك عمال تتكلم لك لك لك لك وكأن مفيش حد معاك وكأنك انت بس اللي اتخبطت ونسيت إن أنا كمان اتخبطت وفي قلبي برضو وكانت خبطة أكبر من خبطتك.

وتواصل ميران قائلة: يعني زي مبيقولوا كدا انطسيت أو اندهست مع إن أنا اللي طسيت وبعربيتي.

وتواصل ميران قائلة: بس على فكرة يا عدولتي يا حبيبي اللى انت متعرفوش وهيكون مفاجأة لك؟ إن مامتي مش أي حد في المجلس القومي للمرأة.

وتواصل قائلة: مامتي حاجة كبيرة خالص، مامتي نمرة اتنين في المجلس كله، يعني نائب رئيس المجلس يا حبيبي.

ليرد عليها عادل ساخرًا قائلا: مامتك نايبة؟

ويواصل قائلا: طب خدي عندك بقى واللي انتي متعرفهوش إن مامتي نايبة ورئيس للمجلس كله يعني أمي أكبر حاجة في البتاع ده يعني رئيس المجلس كله يا ميران.

ويواصل قائلا: شفتي الصدف والأقدار يا حبيبتي؟

لترد ميران قائلة: أنا مش فاهمة حاجة يا عادل بطل تهريج يعني إيه ريسة ونايبة؟ مهو ياريسة يا نايبة زي ما بتقولها.

ليرد عادل قائلا: أنا هشرحلك يا حبيبتي، أمي رئيس المجلس القومي للمرأة، وفي نفس الوقت نايبة في المجلس التاني الكبير بتاع الشعب المصري كله، قصدي مجلس الشعب.

لترد ميران وهي في قمة اندهاشها قائلة: يعني انت يا عادل مامتك طنط نادرة سعد الدين؟

ليرد عادل قائلا: بالظبط كدا مامتي هي نادرة سعد الدين.

لتقاطع ميران قائلة: دي أحلى صدفة وأجمل خبر والله سمعته وعرفته عارف ليه يا عادل؟

ليرد عادل قائلا: لأه مش عارف، شكل الحكاية مشوشة شوية عندي والرؤية مش واضحة ياريت توضحيلي يا حياتي.

لتقاطع ميران قائلة: والله انت عارف بس بتستعبط يا حبي، لكن هقولك برضو إن دا أحلى خبر وأجمل صدفة عشان عرفت إن البرنسيسة نادرة هانم السيدة الجميلة دي تبقى مامتك واللي ماما دايما منبهرة بيها وملهاش سيرة إلا هي في أخلاقها واحترامها ووقارها.

وتواصل ميران قائلة: وكمان ماما مش بس معجبة بثقافة وأفكار نادرة هانم، دي دايما بتقول إنها أجمل وأشيك سيدة عرفتها، بالإضافة لأرستقراطيتها وأصلها الطيب وماما بتعتبرها قدوتها ومثلها الأعلى.

وتواصل ميران سائلة قائلة: وانت ليه يا عادل مقولتليش؟

ليرد عادل قائلا: أنا مقلتلكيش يا حبيبتي يمكن عشان مجتش فرصة، وبعدين يا ستي أنا أساسًا مش مقتنع بالمجلس والحاجات دي زي ما قلت لك.

ويواصل عادل حديثه قائلا: وبعدين أنا شايف إن إحنا كل ما نتعرف على بعض أكتر نلاقي بعضينا قربنا قوي من بعض، وكل ما تزيد المعرفة نلاقي نفسنا بنتدبس في بعضنا أكتر وأكتر.

لترد ميران قائلة: بقى كده، بتسمي قربنا من بعض تدبيس يا عادل؟

ليرد عادل قائلا: أيوا طبعا تدبيس.

ويواصل قائلا: بس الحقيقة أجمل تدبيس شفته في حياتي عشان بيقرب حبيب من حبيبته.

ويواصل قائلا: أنا خايف يوم ما أروح أخطبك يطلع إن بابا الله يرحمه كان جوز خالتك ولا حاجة.

لترد ميران قائلة: والله جايز يا عادل إيه اللي يمنع.

وتواصل قائلة: على فكرة اللي انت متعرفوش يا عادل إن خالتو نجمة فعلا كانت متجوزة قبل جوز خالتي.

ليقاطع عادل قائلا: انتي هتتلككي يا بنتي؟ أنا أبويا ماتجوزش غير أمي، دا حتى مات وسابها حامل فيا يعني ماشفتوش من أساسه.

ويواصل قائلا: بصي يا بنت الناس أنا لما أحب أتدبس أتدبس بمزاجي آه! لكن مش بالطريقة دي يا حياتي.

لترد ميران قائلة: يا سيدي مش مهم يطلع الله يرحمه باباك جوز خالتي ولا جوز عمتي، المهم بس تتدبس انت وتيجي وتخطبني خلينا نخلص بقى.

حقيقة لقد نما الحب وتنامى في قلب ميران وعادل وها هو قد وصل لذروته، وبالفعل بدأ أو كانت بدايته وكما أسلفنا بحادث السيارة، ورب ضارة نافعة وكما يقولون في الحكم أو الأمثال ما محبة إلا بعد عداوة، والحمد لله لم تنشأ أية عداوة بين الحبيبين نتيجة للحادثة، بل كان الحب والود الذي جمع بين قلبيهما ليكونا أجمل حبيبين وأحلى عروسين بإذن الله في القريب العاجل.

وها هما الآن في فترة ما قبل الخطوبة، وبالطبع وبإذن الله ستكون حفلة الخطوبة قريبًا، لكن وبكل تأكيد سيتم الإعداد والترتيب بعد موافقة الأهل والأسرتين هذا بالرغم من أن أسرة ميران وحتى يومنا هذا كل ما تعلمه أن ميران تحب شابًا محترمًا مهذبًا يعمل وكيلا للنائب العام، وأنها قد تعرفت عليه صدفة بعد حادث السيارة والذي صدمت فيه سيارته.

وكذلك أسرة عادل تعلم أيضًا أنه يحب فتاة متعلمة مثقفة بالسنة النهائية بالجامعة الأمريكية ومن خلال حادث السيارة نفسه أيضًا.

وحتى لو أن الأسرتين لم تعلما قصة الحب كاملة وبكل تفاصيلها ومفرداتها والتي نشأت بين ميران وعادل، لكن تبقى الصدف والرؤى دائما أبدًا لها دورها الفاعل والمؤثر وتصطف كما عودتنا ومنذ البداية بجوار عادل وميران، وها هما ومنذ لحظات قد علما وبالصدفة أيضًا أن رئيس المجلس ونائبه إحداهما أم عادل والأخرى أم ميران، رغم أن عادل كان يعرف أن والدته رئيس

المجلس وميران كانت تعلم أن والدتها نائب المجلس، لكن كليهما لم يكن يعلم عن والدة الآخر شيئا حتى كانت الصدفة.

وبالطبع المجلس الذي أقصده والذي أعنيه هو مجلس المرأة لا مجلس الشعب، حتى وإن كانت المرأة نصف الشعب وربما أكثر قليلا لذا ومن خلال تاريخ عادل وميران مع الصدف من المؤكد أن حفلة الخطوبة ستكون قريبًا وقريبًا جدا إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

دوامة العمل

وها هو عادل يذهب وبصحبة ميران إلى حيث المجلس القومي للمرأة وفي سيارته الخاصة، وبالطبع سيكون اللقاء مع والدتيهما فرصة للتعارف أكثر بين الأسرتين خاصة بعد ما اتضح أن عادل وميران يتبعان الرئيس ونائبه، ورغم أن الرئيس ونائب الرئيس يعلمان الكثير عن بعضهما البعض وهنا أقصد السيدة نادرة والسيدة ندى، لكن من المؤكد أنهما لا يعلمان إلا القليل جدًا عن الأبناء، فها هو الرئيس يعلم أن نجله عادل أو نجلها بمعنى أدق يحب فتاة جميلة وسيتم خطبتها عن قريب، وكذلك نائب الرئيس يعلم أن ميران الابنة تحب شابًا محترمًا في وظيفة محترمة، لكنهما وأقصد هنا الرئيس ونائب الرئيس لا يعلمان وحتى الساعة من هي الفتاة التي يحبها عادل وما هي كنيتها ومعالمها وإحداثياتها؟ ولا من هو الشاب الذي تحبه ميران وماهيته وكينونته؟ لكن وبكل تأكيد ستعلم السيدة نادرة والسيدة ندى الكثير عن أبنائهما عندما يكون لقاء اليوم مع عادل وميران.

وللأسف في أيامنا تلك نجد الكثير من الأسر خاصة التي يشغلها العمل العام أو التطوعي كما يطلقون عليه تهتم أكثر بعملها أكثر ما تهتم بأبنائها، وتلك هي الحقيقة والواقع ولا تندهش من هذا ولا

تستغرب من حدوثه، فأمثال تلك الأسر (وأنا هنا لا أقصد أسرة عادل وأسرة ميران بعينهما) لا تشغلهم صغائر الأمور والتي من ضمنها وللأسف أبناؤهم بل إن كل ما يهمهم ويشغلهم ويملأ عليهم كل حياتهم هو العمل العام كما يسمونه وبالطبع ظهورهم الإعلامي كما يشجيهم ودائمًا أبدًا المديح الزائد والثناء الدائم وبكل تأكيد يطربهم التصفيق والتهليل.

لذا لا تندهش أبدًا من ردة فعل تلك الأسر إذا ما أحبت ابنتهم أو حتى تزوجت دون علم أسرتها زواجًا كما هي زيجات هذه الأيام والتي أضحت ميسرة سهلة وفي متناول الجميع ولا تحتاج أي جهد أو عناء، وبالقطع هي زيجات غير شرعية حتى لو كان هذا هو رأيي الشخصي ولا يعبر إلا عن وجهة نظري فقط، لذا علينا ألا ننخدع ومهما كانت مسمياتها وما يطلقونه عليها كالعرفي والقرفي وزواج الورقة والبركة وزواج الكلمة والأملة، ناهيك عن الأنواع القديمة كالمتعة والباتعة والمسيار والخيار بالإضافة إلى الترانزيت والمبيت واللقيط والغتيت! وأرجو منك قارئي العزيز أن لا يزعجك كل تلك الأسماء والمسميات من الزواج لسبب بسيط جدا وهو أن أغلب تلك المسميات قد سطرتها من وحي فكري وخيالي ساخرًا، لكن ربما من نسخر منه اليوم سيكون هو الحقيقة والواقع وعما قريب.

باختصار ما أريد أن أقوله وأبينه أن الفتاة من الممكن أن تتزوج أيا كان نوع الزواج والذي ذكرنا البعض منه عاليه دون أن تعلم أسرتها، لكن حتى وإن علمت الأسرة وهذا عادة ما يحدث أو في

الغالب الأعم بعد إتمام الزواج، وربما قد تجهل الأسرة ولا تعلم بزواج ابنتها إلا بعد إنجاب الأول وربما الثاني.

لكن والحق يقال إذا ما علمت الأسرة بزواج ابنتها عندها ستجد رد فعل شديد من تلك الأسر ومن المؤكد أنه حتما سيدهشك هذا الرد وسيثير استغرابك! حيث يكون رد الفعل عنيفًا جدًا من قبل تلك الأسرة تجاه الابنة، وقد يصل إلى حد منع المصروف عنها لمدة يوم وقد يصل المنع لثلاثة أيام!! وقد تتطور الأمور ويتفاقم العقاب ليصل إلى العتاب وربما اللوم! إذا لم يؤثر منع المصروف، وفي بعض الأحيان قد يصل العقاب إلى أقصى ذروته ويتم توبيخ الابنة على فعلتها لكن من المؤكد أنه لا يتم تعنيفها مطلقا ومهما حدث منها.

وأنا هنا أضرب المثل بالابنة لا الابن حيث إن الابنة من المفترض أنها هي الحلقة الأضعف في مجتمعاتنا الشرقية، وربما مازالت حتى وقتنا هذا على ذات الوضعية وما أعنيه هنا أنه إذا كانت الحلقة الأضعف إن جاز لنا أن نسميها كذلك في الأسرة تفعل كل تلك الأفاعيل دون علم أسرتها فما بالك بالحلقة الأقوى وهي من المفترض الابن بل هي هو وبكل تأكيد والذي يمتلك الحرية الأكبر وله المجال الأوسع في الحركة والنشاط وتحديد المصير وتصريف الأمور.

لذا ليس بمستغرب أن تجد الأسرة من تلك النوعية التي أعنيها أن الابن وبعد غياب سنتين أو ثلاثة يدخل عليها بامرأة وأطفال.

ويبدأ بتعريف أسرته عليهم قائلا: ماما بابا دي **نوسة** مراتي ودا **ميمو** ابني الكبير والكلبوزة ده ابني الصغير **تمورة**، وبسرعة تحتفل الأسرة فرحة سعيدة بالابن وزوجته وأطفاله والذين يرونهم للمرة الأولى حيث إنه من العيب أو ربما في عرف تلك الأسر من سمات الرجعية والتخلف أن تسأل الأسرة ابنها متى وكيف حدث ذلك؟

ورغم أنني ضد التفرقة بين الرجل والمرأة وبكل أشكالها لكن ما سردته في سطوري آنفا وللأسف هو واقع نعيشه ونحيا فيه، وكم أتمنى أن ينقشع ويزول فأنا دومًا ضد تهميش دور المرأة، بل إني أرى أن دورها ربما أكثر أهمية من الرجل، وهذا ليس تحيزًا مني للمرأة، ولكنه الواقع والذي للأسف لا يراه الكثيرون، فالمرأة هي مصدر الحب والحنان والعاطفة وهي عنوان المشاعر والأحاسيس على سطح هذا الكوكب الذي نعيش عليه، وربما على سطح كواكب أخرى قد لا نعلمها حتى وإن كنا قد اكتشفناها لكن لم نتأكد من وجود المشاعر والأحاسيس فيها حتى وقتنا هذا.

كما يجب ألا ننسى أن المرأة هي الأم والأخت والزوجة والابنة وقد تكون الأب في أحيان كثيرة كما هو الحال في المرأة المعيلة وكما أسهبنا كثيرًا بشأنها سلفا في أحداث روايتنا.

❊ ❊ ❊

زيارة المفاجآت

ونعود للأحداث حيث كان لابد لأسرة عادل أن تزور أسرة ميران من أجل التعارف أو بمعنى أدق إكمال التعارف ومن ثم طلب يد ميران من أسرتها لتكون النصف الآخر وعروس المستقبل لعادل الابن ومن أجل الاتفاق على تحديد ميعاد للخطوبة وما يلزمها بالإضافة للتوافق على الشبكة ونوعية المجوهرات المختارة وقيمتها، وكذلك في أي قاعات الفنادق ستكون الحفلة والمراسم المطلوبة في مثل تلك المناسبات.

وبالفعل تم تحديد ميعاد الزيارة لأسرة عادل والاتفاق على عدد الزائرين وذلك من خلال التواصل بين الأسرتين وهو عرف ونظام معمول به ومتعارف عليه وموجود لدى الكثير من الأسر المصرية خاصة أسر الطبقة المتوسطة في مجتمعاتنا والتي قد تعودوها واعتادوا عليها ومنذ عقود من الزمن، لكن وبما أن الطبقة المتوسطة لدينا وفي زمننا هذا قد تآكلت تمامًا ولا أبالغ إن قلت إنها ربما قد انقرضت أو قاربت على الانقراض، لذا لم يعد هذا العرف مطبقا أو معروفًا إلا عند القليل من الأسر والتي يطلق عليها في أيامنا تلك أسر الهاي كلاس وهم يسمونها كذلك ويطلقون عليها

ذلك الاسم لتميزها عن غيرها وكنوع من الأرستقراطية والاستقلالية وربما لمزيد من التميز عن الآخرين.

وبالطبع يختفي تمامًا هذا العرف النمطي الروتيني المعمول به في الأسر الهاي كلاس ويتوارى تمامًا عند كافة الأسر المصرية والتي في أغلبها إن لم تكن كلها أسر مصرية بسيطة حيث تترك مثل تلك الأمور لديهم للظروف والتساهيل والتي ما هي إلا نوع من التواكل المقنن والذي قد يصل إلى حد التجاهل واللامبالاة، حيث إن مواعيد تلك الأسر عادة ما تكون بعيدة كل البعد عن الساعات والدقائق ليحل محلها بعد العصر هنجيلكم أو في العشا ميعادنا وأحيانا ع الغدا نتقابل وهلم جرا، وفي أحيان كثيرة يكون للعشوائية اللذيذة والغوغائية المحببة دورها الفاعل في كل مناسباتهم وحفلاتهم ومن بدايتها وحتى النهاية.

وكان لابد أن تذهب نادرة هانم بصحبة شقيقها لواء **سامي سعد الدين** خال ابنها الوحيد وبالطبع في وجود عادل العريس وذلك من أجل طلب يد ميران من أسرتها كما أسلفنا وكما هي عادة المصريين وما تقتضيه وتحتمه الأعراف والتقاليد المتوارثة في مثل تلك الظروف.

وبالفعل كانت الزيارة وفي وجود العقيد وحيد وزوجته نجمة وابنهما بهاء وهو ملازم أول شرطة يعمل بشرطة السياحة، وللعلم فإن والد عادل رحمة الله عليه **إبراهيم الأفندي** كان ضابطًا أيضًا والذي لم يره عادل حيث استشهد في حادث أليم وكانت والدته

حامل في شهورها الأخيرة في عادل، ولقد عمل عادل أيضًا ضابطا للشرطة قبل أن يغير مساره إلى النيابة العامة.

ولعلك قارئي العزيز تستغرب أو تندهش من أن عادل كان ضابطا قبل أن يتحول إلى وكيل للنائب العام ووالده رحمة الله عليه أيضًا وخاله كذلك ووالد خطيبته وزوج خالتها وابن خالتها جميعهم ضباط للشرطة وتلك ظاهرة قد تفشت ومنذ العقد الأخير من القرن الماضي وأضحت محسوسة ملموسة في كل مناحي مجتمعنا، وهي حقا ظاهرة تستحق منا الدراسة والبحث والتمحيص حيث إنه لم يعد مستغربا أن تجد ابن الضابط ضابطا وابن الطبيب طبيبا وابن الأستاذ كذلك وابن القاضي قاضيًا حتى في أبناء الإعلاميين والفنانين حتى البوابين وخفراء الدرك، وتلك الظواهر الجديدة على مجتمعاتنا يبدو أنها قد تفشت وأضحت وباء استشرى غير عابئ ولا مهتم بكل ما يحيطه.

والبعض من الخبراء أو المخبورين والذين ابتلينا بهم في تلك الأيام وأضحوا يتحفوننا بكل ماهو مضحك ولذيذ صباح مساء وعلى كل الشاشات والقنوات وفي برامج التوك شو وكافة الفضائيات، يرجع تفشي تلك الظواهر الغريبة على مجتمعنا ومنها التوريث بالطبع والتي لم تكن إلى عهد قريب من ضمن أعرافنا وتقاليدنا، هؤلاء الخبراء أو المخبورين يعزون وجود تلك الظواهر وتناميها بهذا الشكل المبالغ فيه إلى تحسن رهيب في تربة الفساد والمحسوبية

بحيث أضحت تلك التربة صالحة تمامًا لنمو زراعات دون غيرها، ويبدو أن أشجار الكوسة ونباتاتها قد وجدت ضالتها في تلك التربة الجديدة فنمت وتنامت وازدهرت وترعرعت دون غيرها من النباتات ولقد تم تهجينها في الآونة الأخيرة لتنتج ثمرات مهجنة جديدة لم يعتدها الكثيرون ولم يتعودوا أشكالها وأحجامها والتي تعادل في معظمها القرع العسلي وربما تفوقه حجما ووزنا في بعض الأحيان.

لذا لا تندهش قارئي العزيز أن يكون للكوسة دورها الفاعل في المرحلة القادمة من حياتنا أو ما سوف يكون لها وبكل تأكيد من تأثيرات وأفاعيل ملموسة محسوسة في المستقبل القريب وسيكون لها شأنها ومقامها العالي والذي لا ينكره إلا جاحد كاره لتممدها هنا وهناك وحاقد لا يروقه نموها المطرد في بلادنا شمالا وجنوبا وشرقا وغربًا، وستبقى لها مكانتها المميزة والتي فعلا تستحقها والتي لا تضاهيها مكانة أخرى ناهيك عن علو هامتها وارتفاع قامتها وشموخها في كافة الأماكن ومختلف المجالات، فالمحروسة لم تترك أي مجال إلا ودخلته ولا أية هيئة إلا وداستها وهي الآن تعبث بكل مصالحنا ومؤسساتنا.

ونعود للقاء المرتقب بين الأسرتين، حيث كان هناك ترحيب وحفاوة ما بعدها حفاوة، وكان بالطبع السؤال الأهم من قبل أسرة ميران ألا وهو لماذا لم يحضر اللواء سامي؟

وكانت الإجابة من عادل حيث قال: إحنا متأسفين جدا للأسف خالو جالو اتصال مفاجئ من معالي وزير الداخلية لكنه سيأتي حتما بإذن الله بمجرد انتهاء الاجتماع.

وتواصل نادرة هانم حديث عادل قائلة: إحنا متأسفين يا جماعة.

ليرد ضياء بك قائلا: آسف على إيه سعادتك يا هانم إحنا مقدرين وعارفين الكلام ده كويس وكمان سيادة اللواء سامي بحكم وظيفته ومنصبه والمسئولية اللي عليه في الوزارة بتحتم إنه طول يومه مشغول بمشاكل الوزارة برة وجوا.

ويواصل اللواء ضياء قائلا: الله يكون في عونه ويساعده على الحمل التقيل اللي شايله.

ليرد عادل قائلا بسخرية: والله يا عمو أونكل سامي دايما يعملها فينا وهي دي عادته مش هيشتريها.

ليقاطع اللواء ضياء قائلا: لا يا عادل دي مسئولية كبيرة الله يكون في العون، وبعدين يا عادل وعلى رأي المثل: اللي ع البر عويم.

لتقاطع نادرة هانم قائلة: معلش يا جماعة أصل عادل واخد كل حاجة هزار، لكن إن شاء الله خاله هيجي لأني عارفة قد إيه هو كان حريص على إنه يكون معانا.

وبعد أن تم التعارف بين الموجودين وبعد تبادل أطراف الحديث بينهم عن بعض الأشياء هنا وهناك، كان لابد من الحديث في الموضوع الأهم والذي من أجله كان لقاء الأسرتين وهو موضوع خطوبة عادل وميران، إذ يبدو أن انتظار اللواء سامي سيطول ومن

المؤكد أن هناك ظروف قهرية خارجة عن إرادته قد منعته من المجيء وعليه كان لابد للسيدة نادرة أن تنوب عنه.

وعليه تحدثت نادرة هانم قائلة: خلاص يا جماعة أعتقد إننا لازم نتكلم في موضوع عادل وميران صحيح كان نفسنا يكون سامي أخويا موجود لكن ما باليد حيلة.

وتواصل السيدة نادرة قائلة: لكن قبل ما نتكلم في أي حاجة أنا ليا رجاء بسيط ياريت الشباب الصغير يسيبنا عشر دقايق على ما نخلص إحنا العواجيز اتفاقاتنا ورواياتنا واللي بلاش يصدعوا دماغهم بيها.

وبالفعل يخرج عادل وميران وبهاء ولبنى.

وعليه تتحدث نجمة بسخرية قائلة: وأنا كمان أخرج مع الشباب ولا أنا هتعتبروني من العواجيز؟

لترد عليها نادرة هانم قائلة: لا طبعًا يا نجمة هانم انتي صحيح شباب ويمكن أكتر شباب من الولاد لكن انتي معانا هنا يا حبيبتي ولا مفر.

وتواصل نادرة هانم قائلة: على فكرة يا جماعة إحنا مافيناش عواجيز والحمد لله بس كان لازم نقول كدا للشباب عشان مياخدوش على خاطرهم من طلبي الغريب اللي أنا طلبته منهم.

وما إن خرج الشباب حتى بدأت السيدة نادرة في الحديث ولم يكن حديثها نيابة عن اللواء سامي صدفة أو بسبب ما فرضته الظروف بسبب تأخر اللواء سامي عن الحضور، فالسيدة كما يعرف الجميع

وبادئ ذي بدء سيدة مجتمع من الدرجة الأولى ومتحدثة لبقة ومتمرسة في العمل الاجتماعي ولديها القدرة على إدارة أية حوارات ببساطة وتلقائية دون أي تكلف منها.

وعليه بدأت حديثها قائلة: طبعًا إحنا يشرفنا ويسعدنا إن إحنا نحط إيدنا في إيدكم ونطلب إيد بنتكم الغالية الأمورة البرنسيسة الجميلة ميران لابننا عادل. وقبل أن تكمل يدق جرس الباب وإذا باللواء **سامي سعد الدين** والذي كان قد تأخرعن الموعد وكما أسلفنا بسبب انشغاله مع الوزير في بعض الأمور التي تخص الوزارة وخاصة في مجال الأمن العام، وبمجرد أن انتهى اللقاء جاء مسرعًا، وبعد الترحيب والحفاوة البالغة به وبعد اعتذاره بسبب ظروفه الطارئة والتي بالقطع يقدرها أهل ميران بحكم مهنتهم وطبيعة عملهم كضباط في المجال الشرطي.

وعليه تقول نادرة هانم: ياللا يا سيادة اللواء، ياللا يا أخويا العزيز كمل أصل أنا لما انت اتأخرت قلت لنفسي إن أكيد فيه أمر مهم هو اللي منعك وخلاك تتأخر.

وتواصل نادرة هانم قائلة: وأنا عارفة الشغل دايما واخدك مننا وإحنا كمان اتعودنا على كدا ومابقاش غريب علينا تأخيرك لأننا عارفين إنه دايما خارج عن إرادتك.

وتواصل قائلة: عشان كدا أنا قلت إن انت ممكن ماتجيش لأني كنت عارفة ومتأكدة وبنسبة تسعين في المية إن ممكن يحصل زي

ما حصل، لكن الحمد لله أديك جيت ويارب مايجيلك تليفون قبل مانخلص موضوعنا.

ليرد اللواء سامي قائلا: لا إن شاء الله مافيش تليفون تاني.

لتقاطع نادرة هانم قائلة: بص يا سامي أنا لما انت اتأخرت كنت ابتديت أتكلم في الموضوع، وسامحني عشان ميعادنا مع البهوات واتفاقنا معاهم.

وتواصل قائلة: وطالما الحمد لله جيت وقبل ما يجيلك تليفون تاني ياله يا حبيبي اتفضل كمل.

ليرد اللواء سامي مازحًا قائلا: مش أعرف انتوا وصلتوا لحد فين عشان أكمل؟

لترد أخته قائلة: أنا يا دوب وصلت عند كلمة يشرفنا نطلب إيد... وانت جيت.

ليكمل اللواء سامي قائلا: حقيقي يا جماعة إحنا يشرفنا بالفعل إن احنا نطلب إيد بنتكم الأمورة الصغيرة ميران لابننا عادل، وطبعا عمرنا ما هنلاقي ناس أحسن منكم لو لفينا الدنيا.

ويواصل اللواء سامي قائلا: وكمان يشرفنا فعلا ويسعدنا حقيقي إن إحنا نكون أسرة واحدة وعيلة واحدة دايما وطول عمرنا.

ويواصل قائلا: واسمحولي عشان أنا دخلت في الموضوع على طول كده من غير مقدمات، أصل أنا زي كل بتوع الشرطة وزي ماتعودنا في شغلنا بندخل في المواضيع على طول ومن أقصر الطرق وملناش في الكلام المنمق ولا المزوق إياه.

ويواصل قائلا: لكن قبل ماتردوا علينا فيه موضوع مهم جدًا لابد من طرحه ومناقشته قبل الكلام في أي حاجة تانية وحتى لو كان الموضوع القديم ده واللي هنتكلم فيه مالوش أي تأثير على موضوعنا الجديد واللي هو خطوبة عادل وميران.

ويواصل سامي بك قائلا: وفي الموضوع اللي أنا بقول عليه ده أختي هي اللي هتكلمكم فيه مش أنا لأن بصراحة مينفعش غيرها هي اللي تتكلم فيه رغم إني معاها ضامن متضامن، لكن وللأمانة يخصها هي أكتر من أي حد تاني.

ويواصل اللواء سامي قائلا: وماتستغربوش من الكلام اللي أنا بقوله ده عشان خلاص إحنا هنبقى أهل ونسايب وعيلة واحدة وعشان كدا يبقى لازم يكون فيه وضوح وشفافية ومصارحة في كل حاجة تخصنا صغيرة كانت أو كبيرة لأنها أكيد ومن النهاردة ورايح هتخصكم معانا.

ليرد الجميع مندهشين قائلين: خير يافندم فيه إيه؟

ليرد اللواء سامي قائلا: خير إن شاء الله يا جماعة ولا فيه غير الخير.

ويشير اللواء إلى أخته قائلا: ياللا يا نادرة قولي اللي عندك.

لتتحدث نادرة هانم قائلة: معلش يا جماعة أنا هاخد من وقتكم شوية وهرجع بيكم لزمن فات وعدى عليه فترة طويلة لكن أنا فاكراه كأنه امبارح.

وتواصل قائلة: فاكرين يا جماعة من أكتر من سبعة وعشرين سنة كان فيه واحدة متهمة قبضتوا عليها في حملة لمباحث الآداب وكانت منقبة وجات للظابط ضياء وهو كان لسه رائد أيامها وكان معاه الملازم وحيد ويمكن كان لسه معلقش ملازم.

وعندها ينتاب الجميع الذهول وتلفهم الدهشة.

وعليه يسأل اللواء ضياء نادرة قائلا: ياه يا هانم، إنتي حضرتك أخدتينا بعيد قوي لأكتر من ربع قرن من الزمن.

ويواصل اللواء ضياء قائلا: أيوا فعلا اتهيألي إن الكلام دا حصل.

ويواصل قائلا: لا لا مش اتهيألي دا أكيد الكلام ده حصل أيام ما كنت ماسك مباحث الآداب وكان معايا وحيد صح.

ويواصل قائلا: لكن اسمحيلي سعادتك إيه علاقة حضرتك باللي حصل ده ومن سبعة وعشرين سنة؟ ويا ترى عرفتي الحكاية دي منين سعادتك؟

ورغم إن الحضور مازالوا في قمة ذهولهم ودهشتهم من المفاجأة لكن يبدو أن ذهولهم واندهاشهم سيزيد وبكل تأكيد عندما ترد السيدة نادرة على سؤال اللواء ضياء.

وتجيب نادرة هانم قائلة: أيوا يا جماعة الموضوع عارفاه كويس وفاكراه زي ما يكون دلوقتي، أيوا فاكرة كويس اللي حصل يومها.

وتواصل قائلة: أيوا كان فيه واحدة من إياهم متهمة وقالت لضياء بيه يومها إنها أخت الملازم وحيد، وأكيد البهوات فاكرين الموضوع ده كويس لأني ماعتقدش إن الموضوع ده يتنسى بسهولة حتى لو

من سبعة وعشرين سنة فاتت. لتقاطع ندى قائلة: طبعًا يا هانم فاكرين ومين ينسى موضوع زي ده حتى لو فات عليه سنين وسنين.
وتواصل ندى قائلة: مين يقدر ينسى الموضوع اللي كان هيتسبب في منع جواز وحيد من نجمة أختي وكان هيفرق بينهم لأن المتهمة يومها ومنها لله ادعت لضياء جوزي إنها أخت وحيد وعشان كدا ضياء ماحبش يجرح شعور وحيد وعليه كان لازم يمشيها ويمشي اللي معاها كمان.
وتواصل قائلة: رغم إنه اتضح في النهاية إن وحيد لا له إخوات ولاد ولا بنات بس للأسف جوزي طبعا ماكنش يعرف الكلام ده وقتها.
وتواصل قائلة: لكن الحمد لله الموضوع انكشف وبانت الحقيقة على طول وماغيبتش والمية رجعت لمجاريها تاني والحمد لله وأهي نجمة ووحيد اتجوزوا وخلفوا وقربوا يبقوا جدود.
ليرد وحيد وبعد أن يهز رأسه وكأنه يستفيق مما هو فيه قائلا: أيوا صحيح الكلام ده حصل من يجي سبعة وعشرين تمنية وعشرين سنة تقريبا. ويواصل قائلا: فعلا كان فيه واحدة شيطانة كاذبة ملعونة ادعت كذبًا وبهتانا لضياء بيه إنها أختي لكن ادعاءها بكل تأكيد كان باطل وكانت كاذبة مخادعة لسبب بسيط جدًا وهو إن أنا وزي ندى هانم ما قالت سعادتك مليش أي اخوات لا بنات ولا ولاد.

❊ ❊ ❊

اللعنة تطاردهم

لترد نادرة هانم قائلة: هي فعلا وأكيد كانت تبقى ملعونة وشيطانة بس لو كان اتقبض عليها يا سعادة الباشا حسب القانون وطبقا للوائح المعمول بيها في جرائم الآداب يعني متلبسة سعادتك مش كدا برضو؟

وتواصل قائلة: وأكيد انتوا عارفين معنى كلمة متلبسة ومعنى اكتمال أدلة الثبوت في جرائم الآداب تبقى إيه يا بشوات.

وتواصل السيدة نادرة قائلة: وطبعا سيادة اللواء ضياء والعقيد وحيد عارفين معنى الكلام اللي أنا قلته كويس بحكم إنهم ظباط شرطة في المقام الأول، وعلاوة على إنهم ضباط شرطة كمان اشتغلوا سنين طويلة في مباحث الآداب.

وتواصل قائلة: يعني عارفين كويس إنه لما تكون المتهمة مظلومة ومفترى عليها ومقبوض عليها ظلما وعدوانا زي ما حصل مع المتهمة المنقبة إياها تبقى أكيد المتهمة دي بريئة وأكيد عمرها ما هتكون أبدًا شيطانة ولا ملعونة زي ما قال عليها ووصفها العقيد وحيد.

ليقاطع اللواء ضياء قائلا: أنا شايف يا هانم ومعلش يعني وسامحيني حضرتك وسامحني سعادتك يا سامي بيه، أنا شايف إن الهانم كأنها فعلا ضابط شرطة من خلال أسئلتها واستجواباتها.

ويواصل اللواء ضياء قائلا: يمكن دا بحكم إنها أخت سعادتك يا سامي بيه.

ثم يواصل قائلا: أنا فعلا قابلت المتهمة دي وأنا فعلا صرفتها من مكتبي وماكملتش محضرها ولا حتى أخدت بياناتها، وكمان مش بس كدا دا أنا كمان صرفت المتهمة اللي كانت معاها.

ويواصل قائلا: أيوا صرفتها هي كمان عشان مبقاش خرجت واحدة عشان أخت وحيد واحتجزت التانية عشان مش أخته.

ومازال اللواء ضياء يواصل حديثه قائلا: فعلا كل دا حصل لكن للأسف عرفت بعدها إن أنا اتخدعت خدعة كبيرة والمتهمة كذبت عليا في كل كلامها وادعاءتها.

ويواصل قائلا: واللي ضللني وخلاها تخدعني إنه ماكانش معاها أي إثبات للشخصية وكانت منقبة كمان وطبعا أنا وقتها ماكنتش أعرف إن وحيد معندوش اخوات بنات من أصله.

لتقاطع نادرة هانم قائلة: ممكن أسأل سيادتك يا ضياء بك سؤال بسيط لو سمحتلي؟

ليرد ضياء بك قائلا: اتفضلي يا هانم !

لتساله الهانم قائلة: هو عادي في مباحث الآداب ممكن نلاقي متهمة منقبة؟ وهل فعلا دا ممكن يحصل؟ وهل أدلة الثبوت تبقى مكتملة قي حالة زي دي؟

ليجيب ضياء ووحيد معا قائلين: استحالة ودي كانت أول مرة وآخر مرة تحصل خلال كل الفترة اللي اشتغلناها في مباحث الآداب.

لترد نادرة هانم قائلة: أنا متاكدة إن استحالة الكلام ده يحصل لأن طبيعة المتهمات اللي زي دي النوعية عشان يبقوا متهمات فعلا وحسب القانون الموجود ولوايحه إنه لازم يتقبض عليهم وهم متلبسات وأكيد عمر ما هتكون واحدة منقبة متلبسة.

وتواصل قائلة: ودا مش عشان إن صاحبة النقاب لازم تكون عفيفة وشريفة لأنه كتير قوي شفنا حالات كتير بتاخد النقاب وسيلة يحجبوا بيها جرايمهم وأفعالهم المشينة عن الناس وكتير واخدينه ستار يحجب ويداري بلاويهم وأفعالهم المشينة.

وتواصل نادرة هانم بسخرية وربما تهكم قائلة: أنا اتهيألي إنه ممكن تكون المنتقبة أو المتغطية متهمة فعلا في حالتين.

وتواصل قائلة: الحالة الأولى لو اتقبض عليها متلبسة ثم بعد ذلك أخدت إذن من اللي قبضوا عليها وقالت لهم بعد إذنكم خمس دقايق أتنقب وأجيلكم على طول وهم ردوا عليها وقالوا لها تحت أمرك وبراحتك وعلى أقل من مهلك يا هانم، وطبعًا الكلام ده عمره ما هيحصل أبدًا وسعادتكم أدرى الناس بكده.

وتواصل قائلة: والحالة التانية إنها فعلا يكون اتقبض عليها متلبسة وركبت البوكس بوضعها اللي مسكتوها وقبضتوا عليها بيه، لكن وهي في الطريق لحد مباحث الآداب استأذنت من الإخوة الأشاوس والمخبرين اللي معاها إنها تلبس النقاب وقالولها برضو اتفضلي سعادتك براحتك خالص واحنا هندي ضهرنا ليكي ونسد باب السيارة عشان محدش يشوفك من الشارع وبراحتك خالص

استري نفسك والبسي نقابك، وطبعا الكلام ده استحالة يحصل برضو.

وتواصل السيدة نادرة قائلة: يعني باختصار استحالة تكون في مباحث الآداب واحدة مقبوض عليها متلبسة ولبسها زي ما كانت لابسة المتهمة إياها من سبعة وعشرين سنة !!

وتواصل نادرة هانم حديثها وسط وجوم وذهول الموجودين قائلة: يا جماعة الكلام اللي أنا قلته هو الحقيقة، يعني اللي اتقبض عليها وصرفتوها من غير ما يتعملها محضر ومن سبعة وعشرين سنة كانت بريئة تمامًا وانقبض عليها ظلما وعدوانا.

وتواصل قائلة: والدليل إنها بريئة إن وحيد بك كان موجود مع القوة اللي قبضت ع المنقبة، بل كان هو قائد القوة وطالما هي كانت متهمة يبقى زي ما قلنا تبقى أكيد كانت متلبسة وبالتبعية طالما كانت متلبسة ووحيد هو اللي قبض عليها يبقى حسب تفنيدنا في اللي فات شافها وكمان بانت ملامحها وأكيد مش بس وشها اللي كان مكشوف وهي متلبسة.

وتواصل قائلة: يعني باختصار لو كانت المتهمة أخت وحيد بك كان أكيد عرفها ومن أول وهلة وكان أكيد برضو ساعتها هيكون له تصرف تاني خالص من المؤكد والأكيد فيه إنه مافهوش ولا ممكن يكون من بينه أبدًا إنها تتاخد في البوكس أو يتعملها محضر.

وتواصل قائلة: ومش هنقول برضو إنه ساعتها كان ممكن يضربها بالنار أو يخنقها بايده أو يضرب نفسه لا سمح الله لأن دا برضو مش قانوني !

ومازالت نادرة هانم تتحدث قائلة: وتاني حاجة عايزة أقولها إن كمان ضياء بك مدان في الموضوع ده رغم اللفتة الإنسانية اللي عملها، عارفين ليه مدان؟

وتواصل قائلة: مدان لأنه صدق إن المنقبة ممكن تكون أخت وحيد فعلا رغم إنه هو اللي إدا الأوامر لوحيد عشان يروح ويقبض عليها، يعني عارف إن وحيد هو اللي قبض عليها، ورغم كدا صدق بسهولة وخالت عليه إن المتهمة هي أخت وحيد وطبعا اللي حصل مش عشان إن ضياء بك كان ناسي لا قدر الله إن وحيد هو اللي قبض عليها.

لتواصل قائلة: لأه محصلش الكلام ده لان ضياء بك كان عارف ومتاكد إن عملية القبض على الست دي كان فيها عوار قانوني واضح.

وتواصل قائلة: يعني اللي عايزة أقوله إن ضياء بك كان متأكد تمامًا إنها اتقبض عليها بنفس هدومها وزي ماهي كدا يعني أخوها اللي قبض عليها ماشفهاش عشان قبض عليها متغطية، يعني ماكانتش متلبسة ولا حاجة زي ما بتقولوا.

وخلال تفنيد نادرة هانم للموضوع وتحليلها المنطقي لكل الملابسات المتعلقة والتي أحاطت بالمتهمة المنقبة سيطر الوجوم والذهول على الحضور جميعهم.

وعليه تواصل نادرة هانم حديثها قائلة: باختصار يا جماعة من خلال اللي اتقال ممكن نستنتج إن المتهمة إياها بريئة تمامًا وإنها اتقبض عليها ظلما وعدوانا.

وتواصل قائلة: بل إن المدان في كل ما حدث هو من ألقى القبض على بريء دون ذنب أو جرم جناه، بالإضافة إلى من حقق ولم يتحقق من براءة متهم لا حول له ولا قوة، وكذلك كل من اشترك في تلك الجريمة صغيرًا كان أو كبيرًا لكن أبدًا ليست المتهمة البريئة.

وعندها يفيق وحيد من هول الصدمة سريعًا قبل الآخرين قائلا: لو سمحتي لي يا هانم أنا فيه عندي سؤال يمكن يكون محرج شوية.

وقبل أن يكمل أو يسال سؤاله تقاطعه نادرة هانم قائلة: من غير ما تتكلم أنا عارفة انت هتسأل إيه، وأنا عشان كدا هجاوبك من غير ما تسأل لأن سؤالك أكيد كان هيكون انتي مين بالضبط؟ وكان ممكن يبقى بصيغة تانية ويتحول لاستفهام آخر له نفس الإجابة وهو: سعادتك تعرفي المتهمة منين؟

لتواصل قائلة: فعلا أنا أعرف المتهمة البريئة كويس جدا وكانت قريبة مني إلى أبعد ما تتصوروا.

وتواصل قائلة: عارفين الهانم اللي قاعدة معاكم دي، قصدي نادرة هانم هي نفسها بشحمها ولحمها المتهمة المنقبة اللي اتقبض عليها من ما يقرب من سبعة وعشرين سنة.

وتواصل قائلة: أنا يا جماعة هي، وتواصل: أنا اللي قلتلك يا سيادة اللواء إني أخت الملازم وحيد لتصيب الدهشة والحيرة كل الوجوه غير مصدقين.

لكنهم ما لبثوا أن قالوا: مش ممكن مش معقول لا لا انتي أكيد بتهزري، لا لا مش ممكن أبدًا.

لترد نادرة هانم قائلة: صدقوني هي دي الحقيقة.

وعندها يصمت الجميع وينظرون إلى بعضهم البعض.

وعندها يقاطع اللواء سامي قائلا: لا تندهشوا ودعوها تكمل لكم الرواية.

لكن اللواء ضياء يسال اللواء سامي قائلا: وسيادتك كنت عارف الحكاية دي يا سيادة اللواء؟

ليرد اللواء سامي برد زاد من اندهاشهم واستغرابهم قائلا: بالطبع كنت عارف ومن وقت ما حصلت الحكاية دي.

ويواصل قائلا: ياريت تسمعوا الكلام للآخر يمكن يجاوب على أسئلة أكيد ممكن تكون موجودة في دماغكم دلوقتي.

لتكمل نادرة هانم قائلة: انتم عارفين إن انتم لما جيتوا قبضتم عليا كنت يا دوب لسة داخلة الشقة أنا وجوزي الخليجي الله يرحمه اللي هوه **راكان الشلوفي** رجل الأعمال المعروف وكنت

ساعتها لسة ماخلعتش نقابي، يا دوب كنت كشفت وشي وبتكلم مع جوزي ولما حصل اللي حصل وكسروا الباب علينا كان بالطبع أول حاجة عملتها ولا شعوري إني غطيت وشي.

وتواصل قائلة: ساعتها كنت قاعدة في الصالة وضهري للباب ولبسي ونقابي كاملين، وطبعا النقاب ده هوه الزي بتاع بلد جوزي واللي جوزي كان بيفضل إني ألبسه خصوصًا لو فيه حد غريب أو كنا مع بعض في الشارع أو في أي خروجة أو فسحة أو زيارة.

وتواصل قائلة: لكن عرفنا بعد كدا إن إحنا كنا متراقبين والشقة كمان والكل كان في انتظارنا والمخبرين متابعينا ووراانا وإحنا مساكين آخر من يعلم لا شايفين ولا عارفين أي حاجة.

وتواصل قائلة: لحد يادوبنا دخلنا الشقة ولقيت الرزع ع الباب وقبل ما أقول مين وأفتح الباب كان الباب بقى جوة الشقة يعني اتكسر عنوة واتكسر إزازه وملا المكان وكأن الحرب قامت، وطبعًا وحيد بيه عارف إيه اللي حصل بعد كدا.

ليرد وحيد قائلا: فعلا دا اللي حصل إحنا كنا مراقبين الشقة ومجرد ما دخلت المنقبة ومعاها الخليجي استعجل المخبرين فعلا ودخلوا بعد ما كسروا الباب على طول حتى قبل ما أديهم الأمر بالاقتحام وفعلا دي كانت غلطة وغلطة كبيرة مني.

ويواصل وحيد قائلا: واللي زاد الطين بلة إن إحنا كملنا الموضوع وقبضنا على السيدة واللي كانت فعلا بكامل ملابسها، وعلى فكرة

أنا بعد القبض ع المتهمة كنت شاكك في الأمر وكان ضميري بيعذبني ويمكن ارتحت كتير لما ضياء بك صرفها.

ويواصل قائلا: لكن ده مايمنعش إنه كان فيه حاجتين هما اللي خلوا الشك موجود ومن ضمنهم وأولهم إنه كان فيه تحريات مسبقة أكدت إن الشقة كانت مشبوهة وللأسف بيتردد عليها بعض الساقطات بصحبة ناس من الخليج.

ويواصل قائلا: والسبب التاني واللي شككنا أكتر إن الشخص الخليجي اللي كان موجود نط من الشباك وهرب وبالطبع مجاش في دماغنا أبدًا إنه يكون جوز المنقبة لأنه من الطبيعي لو كان جوزها إيه اللي هيخليه يهرب من الشباك زي ما حصل؟

وعندها ترد نادرة هانم قائلة: فعلا الحاجتين اللي قلتهم كانوا حقيقة، الراجل اللي كان موجود واللي هوه جوزي على سنة الله ورسوله هرب من الشباك وكمان اتضح لنا وللأسف إن الشقة كانت متراقبة.

وتواصل قائلة: وأنا هشرح لكم ليه ده حصل، أولا جوزي رجل الأعمال المعروف كان عاطي لأخوه الصغير المفتاح وأخوه كان بيدرس في الجامعة الأمريكية وأتاريه للأسف كان عامل الشقة وكر زي ما تقاريركم بتقول وطبعا جوزي نط من الشباك بس بعد كسر الباب والهجوم علينا ولو منطش كان هيتاخد معانا يعني ماتفرقش وماكانش هيمنع كسر الشقة.

وتواصل قائلة: لكن تفتكروا إن دا سبب يخليكم تدخلوا الشقة عنوة وتاخدوا واحدة بلبسها وتتهموها بجريمة ما أبشعها جريمة انت بنفسك دلوقتي بتعترف إنها كانت غلطة وإن المخبرين كسروا الباب من غير ما ياخدوا الأمر منك.

وتواصل قائلة: لكن في النهاية انت يا وحيد بك وافقت على اللي عملوه مخبرينك ورجالتك ووافقت كمان على إنهم يشيلوني ويحطوني عنوة في البوكس وكأني مجرمة عتيدة في إجرامها.

وتواصل قائلة: وكمان ضياء بك أكيد كان موافق على اللي حصل، والدليل زي ما قلت قبل كدا إنه صدق إنها أخت وحيد رغم علمه إن وحيد اللي قبض عليها وصدق، ليه لأنه متأكد إن وحيد ماشفش حاجة.

❊ ❊ ❊

الشلوفي

ليرد ضياء بيه قائلا: أنا مش فاهم حاجة.. جوزي.. والخليجي.. وأخوه.. ووكر وكسر الباب.. الموضوع ده بقاله زمن صدقوني أنا مش فاهم حاجة.

ليقاطع اللواء سامي قائلا: جوز اختي الخليجي اللي انتم بتقولوا عليه يبقى رجل الأعمال الشهير **راكان الشلوفي** المعروف مش بس على مستوى منطقة الخليج ومصر دا على مستوى العالم، وطبعًا هو جوز أختي وعلى سنة الله ورسوله وموثق جوازهم في السفارة والخارجية والتواريخ موجودة ومسجلة ومسجل كمان إمتى كان الجواز قبل الحادثة بسنة كاملة.

ويواصل اللواء سامي قائلا: وكان حفل الزواج في أكبر فنادق القاهرة، وكان حاضره مشاهير العالم العربي وكمان بعض رجال الأعمال حتى من دول غير عربية أوربية وأمريكية.

ويواصل قائلا: والسبب اللي خلا أختي وجوزها يروحوا الشقة في اليوم المشئوم ده إن الفيلا بتاعتهم اللي في الزمالك كان فيها شغل الصيانة السنوي الدوري.

ليسأل وحيد قائلا: طب وسعادتك لما الحكاية كدا ليه نط من الشباك طالما إنه رجل معروف وله سمعته ووضعه الاجتماعي ودي حقيقة، الشلوفي رجل أعمال كل الدنيا عارفاه وكمان جوز الهانم.

ويواصل قائلا: وعلى فكرة هروبه ده هو اللي زود شكوكنا سعادتك.

ليجيبه اللواء سامي قائلا: معاك حق يا وحيد بيه، لكن هقولك هو عمل كدا لأنه معرفش مين اللي دخل عليه، خصوصًا بعد ما كسروا الباب.

ويواصل اللواء سامي قائلا: مع إني لحد دلوقتي مش عارف ليه كسروا الباب وعشان إيه كسروه مع احترامي للي دخلوا الشقة، عشان كدا الله يرحمه افتكر إنهم عصابة السطو المسلح إياها ومعاه حق في اعتقاده.

ويواصل قائلا: المرحوم افتكر إن العصابة جاية قصداه وعشان تنتقم منه وتقتله زي ما هددته قبل كدا.

ويواصل قائلا: ماهو أصل المرحوم كان اتعرض للسطو المسلح من عصابة بلطجية وهجامة هاجمته قبل فترة ودخلوا عليه على أساس إنهم بوليس واتضح إنهم لا بوليس ولا حاجة وإنهم عصابة وبلطجية، لكن بعد ما كانوا استولوا على مجوهرات تقدر بعشرة مليون جنيه.

ويواصل قائلا: وطبعا بعد ما قالوله إحنا هنسيبك عايش مش هنموتك بس بشرط إياك تبلغ البوليس وإلا عمرك هيتاخد وعلى

إيدينا، لكنه كان شجاع وماهموش وبلغ البوليس واتجابت العصابة ورجعت المجوهرات، وكان رجوعها والقبض ع العصابة من خلالي وعن طريقي وكانت دي هي بداية معرفتي برجل الأعمال اللي بعدها بقى صديقي ثم جوز أختي.

وواصل قائلا: عشان كدا الراجل لما دخلتم عليه الشقة بالطريقة اللي انتوا دخلتوا بيها افتكركم إنكم العصابة وعرف أكيد إن بلطجية العصابة المرة دي مش جايين عشان أموال ومجوهرات بل أكيد جايين يقضوا عليه ويدبحوه زي ما هددوه قبل كدا عشان بلغ عنهم ودخلوا السجن وعشان يبقى عبرة للي ما يسمعش كلامهم.

ويواصل قائلا: وعليه لما الباب اتكسر الراجل لاشعوري صرخ في أختي ومسكها من إيدها وقالها ياللا نطي معايا، لكن للأسف أختي من اللي حصل رجليها كانها اتسمرت في الأرض وماقدرتش تتحرك من مكانها.

ومازال يواصل قائلا: ولما أختي ماقدرتش تتحرك قالتله اهرب انت يا راكان، وبدون أدنى تفكير لقى نفسه بينط من الشرفة لكن بمجرد ما خرج جاني بسرعة ع القسم.

ويواصل قائلا: وقبل ما أعمل أي تصرف جاني تليفون من نادرة إنها وصلت البيت وكمان قالت إن اللي قبض عليها كان بوليس الآداب وماكانتش عصابة زي ما افتكرنا.

ويواصل قائلا: ولما سألتها إيه اللي حصل وعملوا معاكي إيه قالت اطمئنوا ماحصلش أي حاجة الحمد لله ولما تيجي البيت هكملك اللي حصل، وطبعا بقية الحكاية انتم عارفينها.

وعند ذلك تقاطع نادرة هانم قائلة: انتم عارفين إن اللي حصل معايا ده خلاني أكتر من شهر مانامش وكان ممكن أموت نفسي من الإهانة اللي اتعرضتلها واللي شفته رغم إني عارفة إني بريئة وجوزي وأخويا عارفين كدا.

وتواصل قائلة: لكن حالتي النفسية رغم كل ده كانت سيئة جدًا ورحت لأكتر من طبيب نفسي وكمان كنت مصممة على الطلاق رغم إن جوزي الله يرحمه معذور من اللي شافه قبل كدا وإنه كان عارف إنه المقصود مش أنا وعشان كدا اتصرف بتلقائية وبدون ما يدري.

وتواصل قائلة: لكن اللي عايزة أقوله إن فيه ناس ممكن تتظلم كتير زي ما حصل معايا، ورغم إني بريئة لقيت نفسي متهمة وفي جريمة تمس الشرف والعرض والأخلاقيات جريمة تتورث تبعاتها لأجيال جاية وتفضل عار طول العمر.

وتواصل قائلة: أنا مش هاشكك في إن الشقة ممكن إنكم كنتم مراقبينها لكن لقيتوا واحد راكب عربية فاخرة ومعاه سواقه الخاص وكمان بودي جارداته ونزل من السيارة هو ومعاه واحدة ست في إيده وماشيين مطمنين خالص ولا في دماغهم أي شيء.

وتواصل قائلة: يعني لو كانوا من النوعية إياها كانوا يبقوا خايفين ومتلصصين ويتلفتوا يمين وشمال لأنهم بيعملوا حاجة غلط وخايفين حد يشوفهم.

وتواصل قائلة: لكن اللي أنا مستغرباله إزاي تقبضوا على ناس نازلة من سيارتهم ومعاهم عمال شايلة شنطهم وبواب عمارة بينحني ويرحب وبيجري يفتح الشقة.

وتواصل قائلة: ويادوب ندخل شقتنا تتهجموا علينا بالشكل ده وتكسروا الباب، وياترى لما دخلتم فاكر لقيتوا إيه يا حضرة الظابط واللي على أساسه جرجرتونا على البوكس بالشكل اللي حصل؟

وتكمل قائلة: دا يا دوب جوزي كان شال العقال والغطرة وحطهم على الترابيزة وفتح شباك النافذة واحنا في الطابق الأرضي يعني شباك مفتوح ولابسين لبسنا كامل مكمل وداخلين معانا البواب والشيالين والسواق منتظرنا في السيارة ومعاه البودي جارد.

وتواصل قائلة: أنا عايزة أسأل هل تم اكتمال كل أدلة الثبوت واستيفائها بالنسبة لحالتي؟ وكمان نفسي أفهم كانت فين الجريمة والجرم اللي على أساسه أخدتوني وكأني داعرة مشبوهة وألفاظ قذرة سمعتها من هنا ومن هناك وعبارات مهينة من كل الموجودين والمخبرين وموقف مخزي مذل أول وآخر مرة أشوفه وأتعرض له.

وتكمل قائلة: لكن أنا بعد مرور كل السنين دي نفسي أسأل الظابط وحيد سؤال وياريت يجاوبني عليه بصراحة وأمام ندى

هانم ونجمة هانم وضياء بك وهو: يا ترى كل اللي أنا قلته ده هو اللي حصل بالظبط ولا اللي حصل حاجة تانية غير اللي أنا قلته وحكيته يا سيادة العقيد؟

ليرد وحيد: فعلا اللي سعادتك قلتيه هو الحقيقة فعلا ولا غيرها، وأنا فعلا بتأسف عليه ويا ريت سعادتك ممكن تسامحيني.

لترد نادرة هانم قائلة: وأنا يكفيني إجابتك قدام الناس دي ويهمني جدا يعرفوا الحقيقة وعشان نبرأ واحدة ربما عاشت كل السنين دي في نظرهم مجرمة وكانت كمان هتتسبب في جريمة أكبر بالتفريق بين اتنين لكن الحمد لله ماحصلش.

وتواصل قائلة: أنا والله ماقصدش بالموضوع ده إن سعادتك تتأسف، أنا خلاص الموضوع عدى وانتهى من سنين، ويمكن كمان أنا أكون غلطانة في حقك لما ادعيت إن أنا أختك.

وتواصل قائلة: وجايز كان لا شعوري مني ومن غير ما أقصد اخترتك انت بالذات من بين الموجودين، جايز عشان انت كنت رئيس المجموعة اللي قبضت عليّ وكان ممكن مايحصلش اللي حصلي ده بكلمة واحدة منك لو قلتها.

وتواصل قائلة: والله حقيقي ما عارفة ليه اخترتك؟ وليه انت بالذات دونا عن كل زملائك رغم أني سمعت وعرفت كل أسماءهم تقريبا أثناء وجودي في البوكس وبعد ما دخلت المكتب بتاعكم.

❊ ❊ ❊

حق المتهم

ويقاطع اللواء سامي قائلا: وطبعًا كان استحالة لأختي تثبت براءتها في التحقيق، وطبعًا لو أخرجت أوراقها أو ما يثبت شخصيتها كانت هتبقى فضيحة أكبر حيث جوزها رجل معروف وشقيقها ضابط شرطة وزوجها السابق كذلك، وكما تعلمون سعادتكم أن تلك مادة خصبة وجاذبة لكل وسائل الإعلام.

ويواصل قائلا: وعليها هتلاقي الصحافة شغالة منشتات وعواميد والنهش في الأعراض على كل الصفحات وفي كل الجرائد وفي كل المجلات وأكيد كمان برامج التوك شو، بتلاقي نفسها في المواضيع والحكايات اللي زي دي وتستضيف النخبة والخبراء والمحللين، وكل يدلي بدلوه وبالطبع مايجيش في دماغ أي حد منهم تبعات اللي بيقولوه والمشاكل اللي بتترتب على كده من تدمير أشخاص وربما أسر بأكملها.

ويواصل قائلا: وحلني على ما كنت أجي أنا وجوزها ونثبت الحقيقة وتكون براءتها ساعتها تكون الدنيا كلها عرفت والفضيحة انتشرت وكمان هتلاقي اللي يشكك وأكيد هيشكك في براءتها ويقول عشان جوزها فلان وأخوها علان برأوها.

ويواصل قائلا: ورغم أني أحبذ وأؤكد دايما على الصراحة والصدق والحقيقة ومع إن أختي كان المفروض تقول الحقيقة ولا غيرها لكن للأسف وزي ما احنا متعودين في بلادنا مفيش متهم بيفضل بريء لحد ما تثبت إدانته وللأسف ده واقع وموجود.

ويواصل قائلا: أختي كانت بريئة وعمرها ما كانت متهمة وطبعًا وحيد بك عارف الكلام ده كويس ومتأكد منه حتى لو فات عليه أكتر من سبعة وعشرين سنة وأكيد ضميره كان بيعذبه طوال كل الفترة دي لأني عارف نوعية وحيد ومن خلال ملف خدمته إنه من أحسن الناس ويمكن دي كانت الزلة الوحيدة في دوسيه واللي الحمد لله متسجلتش ولا دونت وطبعًا الكلام اللي اتقال على العقيد وحيد ينطبق بالضبط على اللواء ضياء، وعشان كدا يشرفنا فعلا إن احنا نحط إيدنا في إيدكم.

وتواصل نادرة هانم قائلة: عارفين مين اللي أوحى لي بأني أعمل اللي عملته وادعي إن وحيد أخويا؟ اللي عمل كدا المتهمة التانية اللي كانت معايا واللي الضابط ضياء صرفها هي كمان أسوة باللي حصل معايا.

وتواصل قائلة: عارفين ليه عملت معايا كده وهي الساقطة كما كانت تسمى؟ عملت معايا كدا لأنها وثقت تمامًا في براءتي وعشان كدا ربنا تاب عليها بسبب اللي حصل واللي عملته معايا وربنا كرمها وحجت بيت ربنا وبقت إنسانة جديدة تمامًا غير اللي كانت قبل

سبعة وعشرين سنة. ثم تنظر نادرة هانم إلى ندى وتقول: عارفة يا ندى الحاجة أم الخير اللي ماسكة البوفيه في المجلس؟

لترد ندى قائلة: طبعًا عارفة الست الطيبة الرقيقة خالص أم الخير.

لترد نادرة هانم قائلة: أهي أم الخير دي هي نفسها المتهمة اللي كانت معايا واللي كانت ساقطة قبل سبعة وعشرين سنة، واللي الحمد لله ربنا كرمها ونجحت في كل حاجة بعد كدا.

وها هو اللواء سامي يتحدث قائلا: انتم أكيد هتسألوا وإيه لازمة الكلام ده دلوقتي مادام فات عليه سنين وخلينا في الحاضر واللي احنا فيه دلوقتي؟

ويواصل قائلا: أقول لأه طالما فيه جواز يبقى لازم يكون فيه الصراحة والوضوح ولازم يكون فيه كمان الشفافية والمكاشفة، وممكن حد يقولي برضو ولما انتم بتقولوا شفافية ووضوح مارجعتوش ليه ووضحتم الحقيقة واللي حصل في مباحث الآداب؟ خاصة وإن أنا رجل بوليس وعارف الأصول وفاهم اللوائح والقوانين.

ويواصل قائلا: وأنا هقول عشان أنا رجل قانون في المقام الأول قبل ما أكون رجل بوليس كان المفروض نبحث عن الحقيقة ونحط النقاط ع الحروف وفي وقتها ونشوف أدلة الثبوت اللي مش موجودة من أساسه.

ويواصل قائلا: وكان وبكل سهولة هنثبت براءة أختي وفي نفس الوقت كان هيتم إدانة وحيد وضياء بس زي ما قلت قبل كدا، كانت هتبقى تبعيات الموضوع كبيرة وإحنا في الأول وفي الآخر بشر عندنا عواطف ولينا مشاعر وأحاسيس من الجايز إنها ممكن تتحكم فينا خصوصًا لو كان الموضوع متعلق بأقرب الناس لينا.

ويكمل قائلا: وزي ما حصل مع اللواء ضياء لما عرف إن المتهمة أخت صاحبه ماتصرفش حينها وفق القانون ولا طبقا للوايح، لأه تصرفه كان نتيجة لسيطرة عواطفه وأحاسيسه، ورغم إن الكلام ده خطأ وهو كان عارف إنه خطأ، عشان كدا ساب المتهمة التانية عشان فاكر إن ده هيريح ضميره.

ويواصل قائلا: ودا معناه إن جواه ضمير حي وكمان ضميره ده ماكانش موافق على اللي عمله مع اللي مفروض إنها أخت واحد صاحبه.

ويكمل قائلا: ورغم إن العواطف المفروض ملهاش دخل في عملنا والعمل عمل والقانون قانون، لكن زي ما قلت كلنا ضعفنا أمام مشاعرنا وعواطفنا، وكلنا أخطأنا وحيد وضياء وأنا وكمان معانا الشنوفي وأختي.

ويواصل قائلا: لكن دايمًا أخطاء رجال القانون بتكون أفدح وأكثر جرمًا من الآخرين لأن مهما كانت الظروف القانون قانون ولو اتطبق القانون بحذافيره هيبقى فيه عدل وممكن يكون مع تطبيق

القانون أخطاء ودا شيء وارد، لكن بالتأكيد مش هيكون فيه خطايا أبدا.

ويواصل اللواء سامي قائلا: وما علينا، وبعد ما عرفنا الحقيقة ووضحت الخبايا لازم ننسى الموضوع دا خالص ونخلينا ف الموضوع اللي إحنا جايين بصدده، وتاني وتالت يشرفنا ويسعدنا إن إحنا نطلب إيد بنتكم ميرام لابننا عادل قلتم إيه؟

ليرد ضياء وندى ووحيد ونجمة قائلين: الشرف لينا إحنا سعادتك. وتسمع الزغاريد هنا وهناك.

وتعقب ندى قائلة: بس ياريت يكون ميعاد الخطوبة كمان أسبوعين عشان يا دوب نكون استرجعنا قوانا بعد اللي حصل من مفاجآت ماكانش حد يتوقعها ولا كانت تخطر على بال أي حد مننا.

ويرد ضياء قائلا: أنا حقيقي آسف على اللي حصل مع الهانم حتى لو كان من سبعة وعشرين سنة.

ويقاطع وحيد قائلا: وأنا كمان آسف وياريت تسامحوني، ويمكن الحكاية دي كانت أول وآخر غلطة.

لترد نادرة هانم قائلة: يا جماعة آسفين على إيه؟ إحنا خلاص بقينا أهل وعيلة واحدة، واحنا كان كل غرضنا إنه يكون فيه الشفافية والمصارحة خصوصًا مع النسب الجديد، وكمان عشان نبرأ واحدة اتظلمت حتى لو من كلمة كان ممكن تتقال عليها أو في حقها، حتى لو كانت الواحدة دي مجهولة ومش معروفة وقبل ماتكون نادرة.

ويقاطع اللواء سامي قائلا: على فكرة إحنا معرفناش إن ميران اللي هيرتبط بيها عادل تبقى ابنة اللواء ضياء إلا قريب قوي وبالصدفة لما راح عادل وميران المجلس القومي للمرأة وتقابلوا هناك مع ندى هانم ونادرة أختي، رغم إني وبحكم وظيفتي أعرف تمامًا ضياء ووحيد ومن أيام ما كانوا في الآداب، بس بالتأكيد ماكنتش أعرف إن فيه عندهم ميران عروستنا الجميلة.

ويكمل قائلا: وبناءً عليه لما عرفنا كان لازم نوضح الأمور برغم إن كان ممكن مانجبش سيرة الماضي واللي حصل وماكانش هيحصل أي حاجة، لكن إحنا وزي ما قلنا قبل كده كتير فضلنا يكون فيه شفافية ومصارحة طالما هيكون فيه نسب، وأعتقد إن احنا اخترنا الأصح والأصوب.

لترد ندى قائلة: على فكرة إحنا عندنا لبنى كمان أمورتنا الصغيرة واللي تقريبًا مقري فاتحتها على ابن خالتها بهاء.

لترد نجمة بسخرية قائلة: تقريبًا إيه يا ندى دي مقري فاتحتهم من زمان، ولا انتوا عايزين تهربوا مننا وتفركشوا لما بقى فيه نادرة هانم؟

لترد نادرة هانم: أنا مبسوطة وسعيدة إن احنا هنبقى عيلة واحدة ونجمة الجميلة وبهاء وعادل وميران ولبنى.

وتواصل قائلة: انتوا ناس طيبين قوي واحنا محظوظين بنسبكم ومصاهرتكم.

لتقاطع ندى ونجمة قائلتين: إحنا اللي شرف لينا وشرف كبير يا نادرة هانم.

وبعد السهرة وما تم فيها من مصارحة، وبعد قراءة الفاتحة والاتفاق على ميعاد ومكان الحفل والشبكة وخلافه، انصرف اللواء سامي ونادرة هانم وبعدهم بساعة تقريبًا انصرف عادل وكان في وداعهم كل أفراد الأسرة.

تاني فراسة !

وبعد أن عاد النقيب بهاء مبكرًا على غير عادته لكنها لم تكن مفاجأة لا له ولا لضيوفه، حيث إنه يعلم تمام العلم أن هناك ضيوفا لديه، وبالطبع سيتناولون طعام الغداء معًا، وبالرغم من أن المعازيم جميعهم ليسوا ضيوفا على الإطلاق بل هم أهله وأسرته حيث والده وحيد ووالدته نجمة ووالد زوجته أو حموه ضياء وحماته أو أم زوجته ندى، وبالطبع زوجته لبنى وهي كما نعلم الابنة الصغرى لأسرة اللواء ضياء، وها هو بهاء يسأل فور وصوله ودخوله الشقة قائلا: أمّال فين عادل وميران؟ ليه لحد دلوقتي ماجوش؟

ويواصل قائلا: أنا عارف، تلاقيهم مش واثقين في أكل زوجتي، الظاهر نسيوا إنها خلاص بقت أستاذة دلوقتي في الطبخ والطبيخ وعدت مرحلة سلق البيض وعمل السلطة الخضراء.

لترد نجمة قائلة: مفيش فايدة فيك وف تهريجك عمّال على بطال، طالع لباباك، صحيح من شابه أباه ما ظلم.

ليرد وحيد قائلا: وماله باباه يا نجمة؟

لترد نجمة قائلة: هو فيه ف الدنيا زي باباه حبيبي.

وتواصل قائلة: طب ياريته ربع باباه.

ليرد بهاء قائلا: جرا إيه انتوا هتتغزلوا ف بعض قدامي وعلى حسابي كمان؟!

لترد نجمة قائلة: على فكرة يا بهاء انت لو لفيت الدنيا مش هتلاقي زي لبنى وف كل حاجة خصوصًا أكلها وذوقها ف كل حاجة بتعملها.

ليرد بهاء قائلا: أنا عمري ما شفت حما بتحب مرات ابنها أكتر من ابنها غير عندنا هنا.

لتقاطع نجمة قائلة: حما ف عينك.. لبنى دي بنتي إوعى اسمعك تقول الكلمة دي تاني فاهم وللا لأ؟

ليرد بهاء قائلا: مافيش فايدة نفسي أعمل أي فورتينة تخليهم يبقوا زي ما بشوف واسمع على اللي بيحصل بين الحما ومرات ابنها، لكن مافيش فايدة مش عارف أوقع بينهم أبدًا.

لترد ندى قائلة: سيبك من الكلام يا بهاء انت عمرك ما هتأثر ع العلاقة اللي بين لبني وخالتها دا طول عمرها كانت بتحب خالتها نجمة أكتر مني.

ليرد بهاء قائلا: لا دا كان حب كدا وكدا عشان كانت راسمة عليا فكانت بتقرب من نجمة عشان تلطش ابنها.

لترد ندى قائلة: مافيش فايدة فيك بتجيب مرادفات غريبة وألفاظ أغرب؛ تلطش.. وراسمة.

وتواصل قائلة: ع العموم ياللا غير هدومك عايزين نتغدى عشان نروح لميران بسرعة وكلنا يعني انت ولبنى معانا.

وتواصل ندى قائلة: انت عارف إن عادل اتصل بيتأسف لأن ميران حست بألم شديد وراح بيها لدكتورة النساء وقالتله احتمال تكون بشاير ولادة وخليها مريحة أربعة وعشرين ساعة وهنلاحظ الموضوع.

ليرد بهاء قائلا: ويعني هي البشاير وولادتها ماتجيش إلا يوم عزومتنا؟ له في وضعه حكم!

لتقاطع نجمة قائلة: هوا يا بني بإيدها إيه؟ دي ولادة أظن مافيهاش هزار الحكاية دي يا حضرة الظابط.

وتواصل قائلة: والله صعبانة عليا ميران، دا المسكينة كان نفسها تحضر وكانت مكلماني بالليل وقايلالي أنا جاية يا خالتو لكن ظروفها بقى جات كدا، ربنا يقومها بالسلامة يا رب.

ليقاطع ضياء بك قائلا: ماتخدناش في دوكة يا نقيب، ياللا عايزين ناكل ونكمل كلامنا واحنا ع السفرة عشان مانضيعش الوقت ف الكلام ونسيب ميران لوحدها.

ليرد بهاء قائلا: تروحوا فين يا عمي؟ مافيش خروج من هنا وبالأمر.

ليقاطع وحيد قائلا: جرى إيه يا ولد انت نسيت نفسك ولا إيه؟

ويواصل قائلا: انتباه يا نقيب.

ليرد بهاء قائلا: أمرك يا افندم.

ويواصل قائلا: دانا عندي ليك يا عمو ضياء قصدي يا سيادة اللواء حكاية حصلت معايا النهاردة أغرب من الخيال وكأنها من ألف ليلة وليلة.

ليقاطع وحيد قائلا: إوعى تكون حكاية من إياهم؟

ويواصل قائلا: حاكم أنا عارف حكاويك وتندراتك إياها.

ليرد بهاء قائلا: لا والله أنا باتكلم بجد المرة دي، يا بابا دي حكاية غريبة فعلا وأول مرة تحصل معايا في خلال كل حياتي الوظيفية الطويلة.

ليرد ضياء: طويلة إيه يا بني دا كلهم سبع تمن سنين اللي انت اشتغلتهم.

ويواصل قائلا: ولا انت هتشتغلنا؟

ليرد بهاء قائلا: لا والله يا عمو ما هي اشتغالة أبدًا، بالعكس دي حقيقة وواقع.

ليرد وحيد قائلا: طب ياللا خلصنا يا سيدي وقلنا إيه الحكاية اللي أغرب من الخيال دي شوقتنا.

لتقاطع نجمة قائلة: تلاقيها حكاية هايفة زي كل حكاياته بس هوا اللي عايز يشوقنا وخلاص وعايز يقول حكاية من إياهم.

وتواصل قائلة: ع العموم المية تكدب الغطاس.

لتقاطع ندى قائلة: أنا عارفة يا بهاء انت جبت الحكاية دي عشان فاكر إن انت تقعدنا معاك وننسى ميران.

وتواصل قائلة: لا يا حلو ميران بتولد ولازم نروح لها.

ليقاطع بهاء قائلا: انتوا ليه يا جماعة مش مصدقين إن فيه حكاية وحكاية غريبة؟

ويواصل قائلا: هو أنا يا جماعة ضحكت عليكم قبل كده في أي حاجة عشان يكون رأيكم؟

لترد لبنى قائلة: يا بهاء مافيش مانع تحكي الحكاية واحنا ع السفرة بناكل عشان انت عارف إن أكيد احنا كمان هنروح معاهم نطمن على ميران يا حبيبي.

ليقاطع بهاء قائلا: أمرك يا فندم علم وسينفذ.

ويواصل قائلا: خلاص طالما الكلام جا من الحكومة يبقى لازم نكمل واحنا بناكل وزي ما أمرت سعادتها.

ويواصل قائلا: دا حتى الكلام مع الأكل بيبقى له طعم تاني وأنا بصراحة جعان قوي ودايما نفسي بتبقى مفتوحة لما يكون عندنا مامتيني وبابايني.

لترد ندى قائلة: اللي يسمع الكلام ده يقول إن احنا كل يوم عندكم.

ليقاطع ضياء بك قائلا: خلينا في الجد شوية يا عم النقيب ويالا قلنا حكايتك العجيبة خلينا نمشي ورانا بنت تانية.

ويواصل قائلا: ما إحنا خلفناكم وكبرناكم وجوزناكم كمان وبرضو مافيش فايدة لسا شايلين همكم لحد دلوقتي.

ليقاطع بهاء قائلا: يا عمو أنا ولبنى آخر تمام مش بنتعب حد مننا وحتى موضوع الخلفة ده اتفقنا مع بعض إن احنا نأجله شوية وعشان ماتعملوش حجتنا.

ليرد وحيد قائلا: يابني خليك ف روايتك ولا حدوتك وخلصنا.

ليقاطع بهاء قائلا: انتوا فاكرين إن أنا باهزر، والله أبدًا النهاردة فعلا جاتني متهمة وفي تهمة سرقة بالإكراه.

ليقاطع ضياء قائلا: وإيه الجديد في كدا؟ عادي جدا في شغل الأمن العام إنك تلاقي واحدة متهمة وبتهمة سرقة بالإكراه، وكمان ممكن يكون مع السرقة بلطجة وشروع في قتل كمان.

ليرد بهاء قائلا: يا بابا أنا عارف، يا عمو أنا فاهم إن دا عادي خاصة في الأيام اللي احنا فيها دي.

ويواصل قائلا: لكن الغريب والمدهش في اللي جاي واللي أنا هقوله.

ويواصل قائلا: يا بابا المتهمة جاتني منقبة ومتغطية خالص مانيش عارف راسها من رجليها.

ليقاطع ضياء بك قائلا: وبعدين بقى في الحكاية دي؟

ويواصل قائلا: هو التاريخ بيعيد نفسه ولا إيه يا وحيد؟

ليرد بهاء قائلا: قصدك إيه يا عمو ضياء أنا مش فاهم؟

ليقاطع وحيد قائلا: عديها يا بهاء عمك ضياء مايقصدش أي حاجة يا حبيبي.

ويواصل قائلا: يلا كمل يا نقيب.

ليكمل بهاء قائلا: الغريب بقى إنها لما دخلت عندي قعدت تشاورلي وكأنها خرساء ويمكن أنا اعتقدت كده، وأتاريها كانت عايزة مني أخرج الصول جويدة من المكتب، وفعلا طاوعتها وخرجت الصول وبعدين...

ليقاطع الموجودون ضياء ووحيد حتى ندى ونجمة قائلين: وبعدين قالتلك إنها أخت الصول جويدة وهو مايعرفش واستر عليها الله يسترك وكمان قالت مامعهاش أي إثبات شخصية.

ويواصل الأربعة قائلين: وانت طبعا بطيبة قلبك وعشان خاطر جويدة الصول اللي شغال معاك صرفتها وماعملتلهاش محضر يا مسكين.

ليقاطع بهاء با ستغراب ودهشة قائلا: إيه يا جماعة دا انتوا كأنكم كنتوا معايا في مكتبي وخطوة بخطوة.

ويواصل قائلا: وكمان ماما وخالتو زي ما يكونوا كانوا ظابطات قبل كدا وأنا معرفش ولا إيه؟ لترد ندى قائلة: هي المسكينة اللي تتجوز ظابط شرطة بتبقى أكتر من الظابط نفسه من كتر اللي بتسمعه.

وليقاطع بهاء قائلا: بس انتوا عرفتوا كل دا منين؟

ليرد ضياء ووحيد قائلين: مش محتاجة يا نقيب دي من واقع خبرة السنين، ويواصلان قائلين: انت مفكر الخبرات بتيجي بالساهل؟

ليرد بهاء بمفاجأة قائلا: الظاهر يا عمو انت وبابا خبرتكم محتاجة تحديث وعايزة فرمطة من أول وجديد أو حتى أب ديتد من وقت للتاني عشان تواكبوا العصر وكل مستجداته يا أهل الخبرات الطويلة.

ليرد وحيد قائلا: تقصد إيه يا ولد انت بتشكك في قدراتنا؟

ليقاطع بهاء قائلا: أبدًا والله يا بابا انت وعمو دا انتوا على دماغي من فوق وعمري ما أشكك في خبراتكم، بس أهي مرة تصيب ومرة تخيب، والمرة دي بصراحة ماصابتش خالص وطلعت فشنك، وعليه يبقى من حقي أقول اللي قلته وماحدش يلومني ولا يعتب عليا.

ليقاطع اللواء ضياء قائلا: يعني إيه ماصابتش يا نقيب؟

ليرد بهاء قائلا: لأن المتهمة لما قالتلي إنها أخت جويدة وطلع مامعهاش إثبات شخصية كمان زي سعادتكم ما قلتوا، وبناء عليه كان لازم أسألها اسمها الرباعي بالكامل، وطبعًا ماكانش فيه أي اسم يشبه أي اسم موجود في اسم جويدة خالص لا من قريب ولا من بعيد.

ويواصل قائلا: وعليه ناديت جويدة وقلتله شيل الغطا عن أختك، وفعلا جويدة نفذ الأمر وكشف وشها وهو مش عارف أنا ليه قلتله أختك.

ويواصل قائلا: وبعد ما جويدة كشف وشها قلتله سلم على أختك يا جويدة، وطبعا جويدة رد مستغرب وقاللي: أختي مين يا باشا؟

وكمان المتهمة ردت ببجاحة قائلة: أنا أخته منين يا باشا؟

وواصلت المتهمة المنقبة قائلة: أنا يوم ما أختار لي أخ لازم يكون ظابط مش حتة صول لاراح ولا جه يا سعادة البيه.

ويواصل بهاء قائلا: وطبعا حولتها للنيابة ومعاها تهمة جديدة وهي الادعاء الكاذب والتلفيق فوق تهمتها اللي جاية بيها وهي بلطجة وسرقة بالإكراه.

ويواصل قائلا: عارفين ليه الحكاية بتاعة المنقبة دى ماخالتش عليا وفقستها من أولها؟

ويواصل قائلا: لأنه لسوء حظها الصول جويدة كان معايا في نبطشية من أسبوع تقريبا وماكانش فيه زباين آخر الليل والدنيا

هس هس، وقعد بسلامته يحكيلي قصة حياته وإزاي انه وحيد أمه وأبوه لا له خوات بنات ولا صبيان، وبسلامته ماكانش عنده جيش لكن حبه للميري خلاه يتطوع في الشرطة.

ويواصل قائلا: وحتى لو جويدة ماكانش حكى ليا قصة حياته المملة برضو عمر الحكاية ما كانت هتعدي عليا ولا عمرها كانت هتعممني أبدًا.

ويواصل قائلا: لأن ظابط الشرطة الشاطر لازم يكون نبيه ويفكر بدماغه كويس، ولازم يكون كمان لماح ويفهمها وهيا طايرة، يعني بالعربي كدا لازم يكون عنده فراسة يا عمو.

ليقاطع اللواء ضياء قائلا: وإيه يعني اللي انت عملته ده؟ ويجي إيه جنب اللي احنا عملناه زمان واحنا يادوب ف سنك أو أكبر شوية؟

ويواصل قائلا: غيرك ومن زمان قوي عمل كل ده ومن غير ما يسأل حتى المتهمة اسمها إيه؟ ومن غير ما يشوف إثبات شخصيتها ولا يكشف وشها أو أي حاجات من دي ومن غير حتى ما يسمع حكاية جويدة أو يعرف أي حاجة عن أسرته ويعرف إذا كان له اخوات بنات أو مالوش.

ليقاطع بهاء قائلا: ويا ترى المتهمة كانت منقبة برضو وجريمتها كانت سرقة بالإكراه وقالت إنها أخت الصول؟

ليرد وحيد قائلا: أيوا كانت منقبة بس اللي ادعت إنه أخوها ماكانش جويدة وماكانش صول، كان ظابط وكمان جريمتها كانت آداب مش سرقة بالإكراه.

ليرد بهاء قائلا: طب مين الظابط اللي قالت عليه أخوها؟
ليرد ضياء قائلا: اللي اختارته أخوها كان باباك يا بهاء، والله كان باباك.
ليقاطع بهاء قائلا: طالما اختارت بابا أخوها يبقى أكيد اللي اكتشفها عمو ضياء، وأكيد ده حصل أيام ما كنتوا شغالين مع بعض في الآداب.
ويواصل قائلا: بس مش ملاحظين إن المتهمتين بتاعتي وبتاعتكم كان حظهم سيء عشان الناس اللي اختاروهم دونا عن بقية الخلق الموجودة ملهمش اخوات بنات؟
ويواصل قائلا: صح الكلام ولا أنا غلطان؟
ليرد ضياء قائلا: ماقدرش أقولك صح وكمان ماقدرش أقولك غلط.
ليرد بهاء قائلا: يعني إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.
ليقاطع وحيد قائلا: قصد عمك ضياء يقولك إنه صرف المتهمة لما عرف إنها أختي وده عشان هو كان بيعزني جدا، وبالطبع ماكانش يعرف إن أنا مليش إخوات بنات ومقطوع من شجرة.
ويواصل قائلا: وكمان عمك ضياء أكيد كان عايز يقولك إنه الحمد لله إن دا هو اللي حصل ومحصلش حاجة تانية غير كدا.
ليقاطع بهاء قائلا: والله مانا فاهم حاجة خالص، ولخبطتولي دماغي رغم إني كنت جاي بيها متظبطة ومية مية.

ليرد ضياء ووحيد قائلين: طالما انت مش فاهم حاجة ودماغك اتلخبطت زي ما بتقول يبقى إحنا وصلنا للي إحنا عايزينه وتبقى دي فعلا هيا الفراسة بحق وحقيق.

لترد نجمة وندى قائلتين: ماتشغلش بالك يا بهاء وماتحيرش نفسك وتضرب أخماس ف أسداس واحنا ماشيين رايحين لميرام هنفهمك على كل حاجة ونبين لك حقيقة فراسة باباك وعمك اللي بيقولوا عليها.

ليقاطع بهاء متلهفا قائلا: طب ياللا بينا على ميرام مستنيين إيه دا احنا اتأخرنا ودي ولادة يا جماعة.

ليرد الجميع قائلين: العب غيرها يا حلو مش متحركين إلا لما ناكل الأول، ولو انت مستعجل ممكن تسبقنا واحنا نحصلك إن شاء الله!!

تمت

❊ ❊ ❊

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

حسناء للنشر والتوزيع